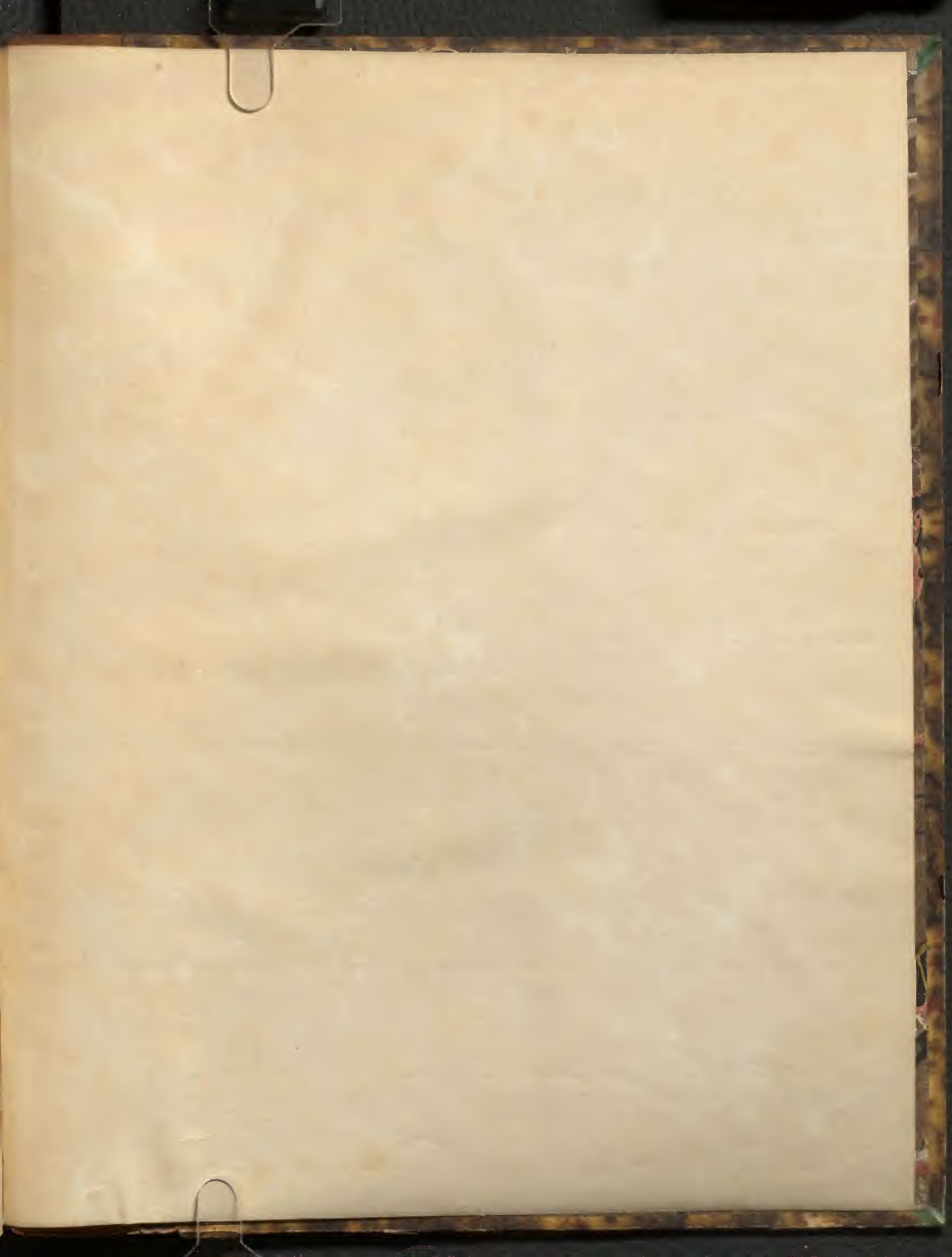
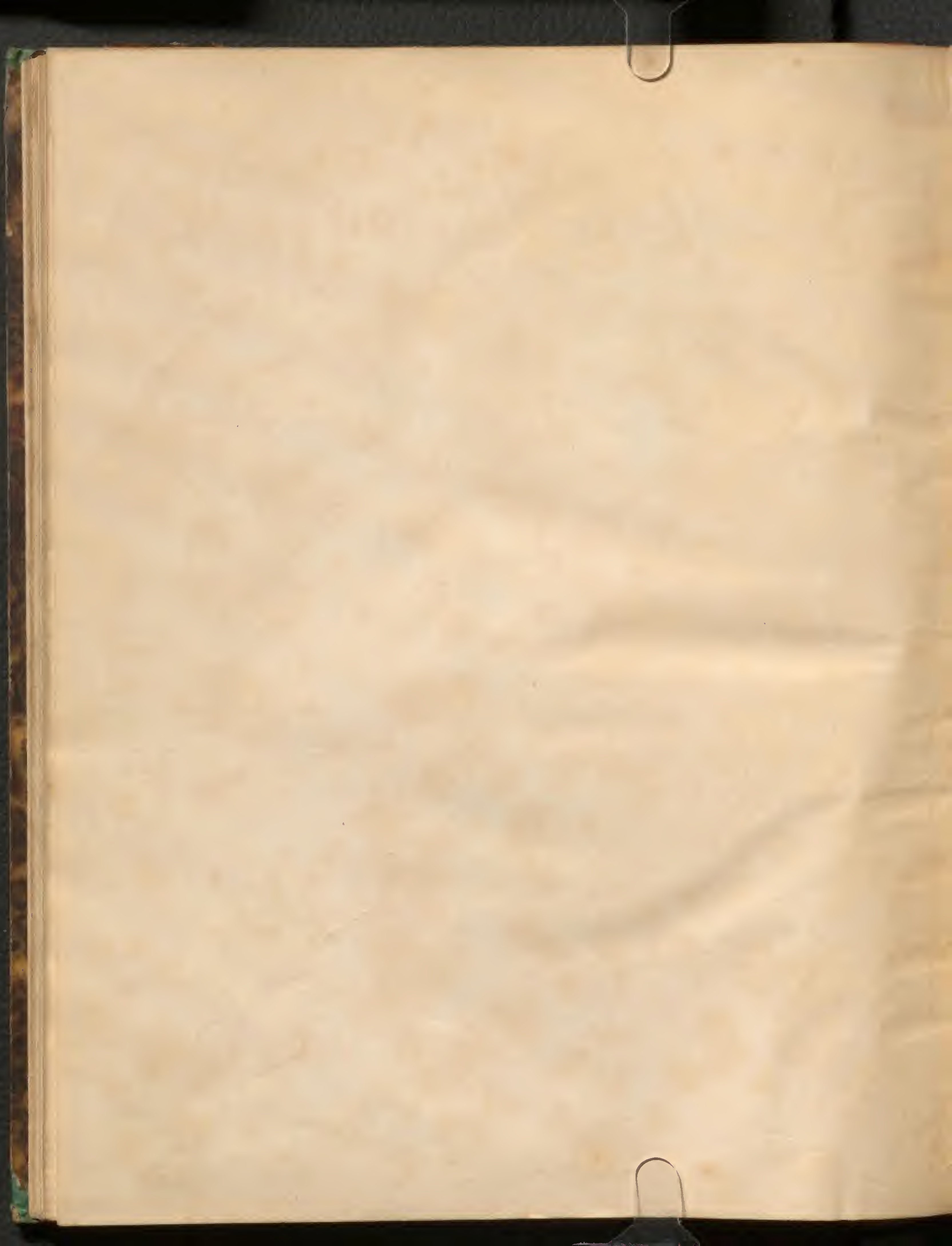








الذين هاجروا للمدينة رغبة فى قربه وسلم تسليما كثيرا وبعد
فيقول الفقير الى رحمة ربه المنان محمد بن السيد عمر التونسى بن
سليمان لما وفقنى الله تعالى لقراءة علوم العربية واترع كاسى
من بينها بالفنون الادبية حسبت من بنى الادب وذويه
وعشيرته اناخ الدهر بكلكله على ما بيدى من العين فعاد
اثرا بعد عين وكانت همتى اذ ذاك مصروفة بتحصيل العلوم
وجمع المنثور منها والمنظوم وحين شاهدت معاندة
الزمان لمقتى تمثلت بقول العلامة الصفتى

من الكامل

هبطت ثريا الثنا رذات لهمتى ... وصعدت فى العرفان كل سماء
وفقهت غيرى فى العلوم وانما ... بينى وبين المال كل تناء
فعجبت اذ عقد اللوا للجاهل ... والفقر عم عمائم الفقهاء

وصفرت الراحة وقرعت الساحة ومال المال وحال الحال
وغار المنبع ونبا المربع انشدت من مقالى على شرح
حالى شعرا

من الكامل

ما حيلتى ولذا الزمان متاعب ... يوذى الشريف وللوضيع يصون
زمن له حرب على اهل التقى ... بازايه حرب البسوس يهون
فتراه يرفع كل غمر جاهل ... ويسيئ كل مهذب ويهين

وتمثلت بقول القائل

من الهزج

تبيت الأُسْد في الغابات جوعا … ولحم الضان يلقى للكلاب
وخنزير ينام على حرير … وذى علم ينام على التراب

ثم ناجتنى القرونة ان اسئل من بعض الناس المعونة فتذكرت ان ليس كل احمر لحمة ولا كل ابيض شحمة وربما يُريق الانسان ماء وجهه ولا يحظى بقصده وان اراقة ماء الحياة دون اراقة ماء المحيا سيما اذا وقع التعس والنكس وكان الطلب من نحس قال الشاعر

مجزو الرجز

لقلعُ ضرسٍ وضنك حبس … ونزعُ نفسٍ وورد رمسِ
ولفع نارٍ وحمل عار … وبيع دار بربع فلس
وقود قرد وفرط برد … ودبغ جلد بغير شمس
ونقد الف وضيق خسف … وضرب الف بالف قلس
اهون من وقفة لحُرٍّ … يرجو نوالا بباب نحس

لا سيما وقد وجد على بعض الاحجار بقلم قدرة العزيز الجبار كل من كد يمينك وعرق جبينك وان ضعف يقينك اسئل الله يعينك فدخلت فى خدمة من تزينت بلطائفه صفحات الايام ونارت بعوارفه حوالك الظلام ظل الله الظليل على

البلاد

البلاد والامصار حامى ذمار الاسلام وقامع الفجار من انام الانام
فى وارف حلمه واحانه واذاقهم حلاوة الامن بنجدته وامانه

ملكٌ ماجدٌ حليم كريم جوده ناسخ لكل الوجود
ناشر العدل وهو للجور طاو واقف فى الاحكام عند الحدود
صالح الفعل صادق القول واف بوفا العهد منجز للوعود
همه القطع للفساد واصلا ح جميع البلاد والتمهيد
نحن من روض امنّ دولته فى خفض عيش به وظل مديد
ايها المالك الذى يحتمى عن حدّ اوصافه العلا بحدود
انت من حصن ربنا فى امان من جبون العدا وكيد الحسود

من الخفيف

الا وهو فاتح الحرمين الشريفين بجيشه المنصور ومالك الاقطار
الشامية بابراهيمه البطل الغضنفر المشهور امير المومنين
الحاج محمد على باشا ولى النعم اعلا الله سرادق عزدولته وابّد
ملكه بجده وصولته وكان اول خدمتى بوظيفة واعظ فى الالاى
الثامن من المشاة وسافرت معه الى المورة وكابدت المشقات
وكنت قبل ذلك سافرت الى بلاد السودان ورايت فيها من
العجايب ما اذا سُطِّر يكون كزهر بستان ثم استخدمت فى
مدرسة ابى زعبل لتصحيح الكتب الطبية وخُصِّصْتُ منها

بتصحيح كتب الاجزاجية ومكثت على ذلك حتى اجتمعت
بابرع اهل زمانه حذاقة وفهما واذكى اهل عصره صناعة
وعلما معلم الكيميا الحكيم پيرون الفرنساوى وقرأ على كتاب
كليله ودمنه باللغة العربية فذكرت له بعض ما عاينته فى
اسفارى من العجايب البهية فحملنى على ان ازين وجه الدفتر
بايضاح ما شاهدته من العجايب واخبّره بما حصل لى فى
تلك الاسفار من الغرايب فامتثلت امره لما له علىّ من اليد
البيضا ورايت ان ذلك اجمل بى ايضا لقول صاحب المقصورة

من الرجز

انما المرء حديثٌ بعده   فكن حديثا حسنا لمن وَعَى

فشرعت فى ابراز فرايدها من صدف الاذهان وكشف
حجاب خرايدها الحسان الى العيان وضممت لذلك من
النوادر ما سمعته من الثقات او نقلته من الكتب على سبيل
الاستطراد للمناسبات لتكون هذه الرحلة روضة يانعة
الازهار لمن تامل فيها وحديقة دانية الثمار لمن تصفح معانيها
ولم آل جهدا فى ايضاح معانيها للمتاملين ولم اتعمق فى غريب
اللغة ليسهل فهمها على السامعين ورتبتها على مقدمة ومقصد
وخاتمة وفى كل منها ابواب كما من الفهرسة وسميتها تشحيذ

الاذهان

الاذهان بسيرة بلاد العرب و السودان والله اسئل ان ينشر
عليها حلة القبول ويقيها شر حاسد يطعن فيما فيها من
المقول وكم من عائب قولا صحيحا وافته من الذهن السقيم ملم
اني وان اتقنتها وهذبتها وفي احسن قالب سبكتها لا
اقول انها عارية عن الخلل بريئة من الزلل لاني انما انا بشر من
الانسان محل للخطاء والزلل والنسيان لكن انما اتعوذ من
غمر يرمقها بعين الحسد ويندّد بانها من الخرافات عند كل
احد وهَبْني قلت هذا الصبحُ ليل أَتَعْمى المعالمون عن الضيآء
فرحم الله امرأ رأى الزلل فستره وشاهد الخلل فجبره ان تجد
عيبا فسد الخللا جل من لا عيب فيه وعلا وبالله استمد
التوفيق الى اقوم طريق وهو حسبي ونعم الوكيل نعم المولى
ونعم النصير المقدمة وفيها ثلاثة ابواب الباب
الاول في السبب الباعث لرحلتي لبلاد السودان حكى
لي والدي عليه سحائب الرحمة والرضوان ان جده كان
من عظمآء اهل تونس وكيلا من طرف سلطان المغرب
المولى الاكمل الملك المظفر العادل المرحوم الشريف محمد
الحسني فاجتمع له بذلك مال جزيل حتى صار من اغنى اهل

زمانه ولما مات كان قد خلف من الولد ثلاثة بنين فتنازعوا
تراث ابيهم وباعوا دارهم التي كانت تاويهم وسكن كل منهم
على حدته باولاده وزوجته فاتفق ان اباه كان من اهل العلم
جيد الخط ينسخ الكتاب فيبيعه بضعف ما يبيع به غيره وكان
يعرف صباغة الثياب بالالوان فكان ارفه اخوته معاشا واحسنهم
ارتياشا فاتفق له انه اشتاق لروية البيت الحرام وزيارة قبر
نبيه عليه السلام فباع بعض عقار كان له وتأهب للسفر واشترى
معه احرمة وطرابيش واعطاه الناس اموالا كثيرة يتجر لهم فيها
لما يعلمون من صدقه وامانته حتى انه وسق من السفينة
جانبا عظيما وحين توجه ودعه اخوانه حتى وصل الى السفينة
فركبها واقلعت بهم بريح طيبة ثم اختلفت الرياح على السفينة
حتى انهم اخذوا طريقا غير طريقهم وذلك انهم جاوا على طريق
رودس وبيناهم امنين مطمئنين اذ هب عليهم عاصف ريح
وكانوا اذ ذاك بجانب رودس فتلاطمت عليهم امواج البحر
وبُدّل الصفو بالكدر على حد قول الشاعر شعر

من البسيط

حسّنتَ ظنك بالايام مذ حسنت ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي واغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وكان

وكان بسفينتهم خلل فلما تلاطمت عليها الامواج و سطت
عليها سطوة العجاج تحلل تركيبها وفسد ترتيبها و تفرقت
اجزاؤها وانفصلت افلاذها وغرق من فيها و لم ينج الا القليل
من راكبيها وكان ممن نجى معهم جدى المذكور فخلص بعد غص
الريق الى البلد المذكور

من الطويل

اذا سلمت هام الرجال من الردى فما المال الا مثل قص الاظافر

فمكث فى رودس مدة ونفعه فيها هميان كان فى وسطه فيه
بعض ذهب فكان ينفق منه مدة اقامته ثم اشترى زادا
وركب فى سفينة الى ثغر اسكندرية وكان ذلك ابان الحج
والذهاب الى العج و الثج فتوجه فى الحال من غير اهمال الى ان
وصل الى تلك البقاع وبلغ مأموله جهد ما استطاع وكان
لسان حاله يقول قبل بلوغ المأمول

من الرجز

ابرك الايام يوم قيل لى هذه طَيْبَة هذى الكُثُب
هذه روضة طه المصطفى هذه الزرقا لديكم فاشربوا

والياء فى هذى بدل عن الهاء ولما قضى ما وجب عليه وتملى
بزيارة الحبيب وصاحبيه افاق من دهشته وفاء الى
سكينته وافتكر فى ضياع ماله وتشتت حاله وافتضح من

دفع له الى تونس ذا عسر وفاقة بعد ان كان ذا يسر واناقة وكيف يصبر بعد الرفاهية على النكد ويراه على هذه الحالة اهل البلد وربما تذكر ما قد حدث انشد على وجه الجد لا العبث

من الطويل

سأضرب في الافاق شرقا بغربها ... واكسب مالا او اموت غريبا
فان تلفت نفسي فلله درها ... وان سلمت كان الرجوع قريبا

ومن المعلوم انه يسهل على المرء ان يعيش في تعب ونصب وكد في بلد لا يعرفه فيه احد خصوصا في هذا الزمن الذي يكرم به اليهودي لماله ويهان الشريف لفقره وسوء حاله ورحم الله القائل

من الرجز

يغدو الفقير وكل شيء ضده ... والارض تغلق دونه ابوابها
وتراه ممقوتا وليس بمذنب ... ويرى العداوة لا يرى اسبابها
حتى الكلاب اذا رات ذا ثروة ... مالت اليه وحركت اذنابها
واذا رات يوما فقيرا عاريا ... نبحت عليه وكشرت انيابها

ولذا قال الامام علي كرم الله وجهه الفقر داء لا دواء له ان اذعته فضحني وان كتمته قتلني وقد قيل اذا افتقر الانسان خونه من كان يامنه واساء فيه الظن من كان يحسنه وابعده من

كان

كان بقربه وصله من كان يجهله شعر

من البسيط

ان قل مالى فلا خل يساعدنى	وان غنيت فكل الناس خلانى

وليت الانسان اذا افتقر يترك هو وشانه ولا يحتقر لا والله بل يكذب فى المقال وان كان صوابا ويهان وان لم يكن عابا

شعر

من الكامل

من كان يملك درهمين تعلمت	شفتاه انواع الكلام فقالا
وتقدم الاخوان فاستمعوا له	ورايته بين الورى مختالا
لولا دراهمه التى فى كيسه	لرايته اسوء البرية حالا
ان الغنى اذا تكلم بالخطا	قالوا صدقت وما نطقت محالا
واذا الفقير اصاب قالوا كلهم	اخطات يا هذا وقلت ضلالا
انّ الدراهم فى المواطن كلها	تكسوا الرجال مهابة وجمالا
وهى اللسان لمن اراد فصاحة	وهى السلاح لمن اراد قتالا

واذا كان كذلك فالموت خير لذوى الاحساب من ان تلتصق ايديهم بالتراب شعر

من مجزوء الرجز

الموت خير للفتى	من ان يعيش بغير مال
والموت خير للكريم	من التضرع والسوال

ولما علم النبى صلى الله عليه وسلم ان الفقير يهان بعد

الاكرام ويذل بعد العز والاحترام قال اكرموا عزيز قوم ذل وغنى
قوم افتقر لكن كل ذلك بحسب ما سطر في ام الكتاب وقدره
في علمه العزيز الوهاب والا فكم من فقير اسعفته الاقدار
وكم من غني اصبح لا يملك ربع دينار ومن ذلك ما حكى ان
الوزير المهلبي كان في اول امره فقيرا لا يملك نقيرا واتفق انه
سافر راجلا من بغداد الى مكة في قافلة وقد اضرّ به الجوع واحرّه
الهجوع فانشد يقول

من الهزج

الا موتا يباع فاشتريه ... فهذا العيش ما لا خير فيه
الا رحم المهيمن روح عبد ... تصدق بالوفاة على اخيه

فسمعه احد التجار فاعطاه رغيفا ودرهما ثم تغيرت الاحوال
فترقى المهلبي الوزارة وافتقر التاجر حتى صار لا يملك قوت يومه
وبلغه ان المهلبي ترقى الوزارة فذهب اليه وكتب له في رقعة
ما صورته

من الهزج

الا قل للوزير فدته نفسي ... مقالا مذكرا ما قد نسيه
اتذكر اذ تقول لضنك عيش ... الا موتا يباع فاشتريه

وارسلها له مع بعض خدمه فلما قراها بكى واستعبر وتذكر ما قد
سلف وامر له بعشر وسبعمائة درهم وكتب له على رقعته مثل الذين

ينفقون

ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل
وكل سنبلة مائة حبة الآية فعلم من ذلك انه ينبغى اكرام
من افتقر بعد غناه وذل بعد ان بلغ فى العز منتهاه واذا
عنّت للانسان حاجة واراد يسئل فيها الناس فان كان
عاقلا لا يسئل الا من كان ذا فضل ومروة ولا يسئل من
تموّل بعد فقره وعز بعد ذله قال الشاعر

من الطويل
سل الفضل اهل الفضل قدماً ولا تسل غنياً ربى فى الفقر ثم تمولا

ثم ان المال تميل الى صاحبه القلوب وتنضم عليه ازرار الجيوب
به تتم الارادات وتقضى جميع الحاجات ولقد اجاد الحريرى فى
مدح الدينار حيث قال

من مشطور الرجز

أكرِمْ به اصفر راقت صفرتُهْ	جوّاب افاقٍ ترامت سفرتُهْ
مأثورة سُمْعتُه وشهرتُهْ	قد أُودعتْ سِرّ الغنى اسرَّتُهْ
وقارنتْ نُجْحَ المساعى خطرتُهْ	وحُبِّبَت الى الانام غرّتُهْ
وان تفانت وتوانت عترتُهْ	ياحبّذا نضارُه ونُضرتُهْ
وحبّذا مَغْناتُهُ ونُصْرَتُهْ	كم آمر به استتبّتْ إمرتُهْ
ومُترَفٍ لولاه دامت حسرتُهْ	وجيشِ همّ هزمَتْهُ كَرَّتُهْ
وبدرِ تمٍّ انزلتْه بدرتُهْ	ومستشيطٍ تتلظى جمرتُهْ

اسر حواه فلانت شرته   وكم اسير اسلمته اسرته
انقذه حتى صفت مسرته   وحق مولى ابدعته فطرته
لولا التقى نقلت جلت قدرته

ولقد شوهد ان الالكن اذا استغنى يصير فصيحا والاعمش اذا تمول يعود بصره صحيحا ومصداق ذلك اني رايت في سفرتي هذه رجلا يسمى محمد المكني وكان خادما على باب يوسف باشا صاحب طرابلس الغرب وكان اعمش العينين مسلق الجفنين ترشح دموعه ويقل هجوعه ودام كذلك الى ان تولى حاكما على اقليم فزان فبرئ عمشه ونبت رمشه وذهب وجعه وبطل دمعه وصار اجمل اهل عصره واوجه اهل قطره قلت ولعل الامراض انما تعتري الفقراء لما يرونه من الذل والمسكنة والعري والمسغبة فيهتمون لضيق معاشهم وعدم ارتياشهم فتتشوش اذهانهم وتسقم ابدانهم والغني ليس كذلك نعم وان كانت له هموم لكنها من جهة اخرى شعر

من الطويل

ومن يحمد الدنيا لشيء يسره   فسوف لعمري عن قليل يلومها
اذا ادبرت كانت على المرء حسرة   وان اقبلت كانت كثيرا همومها

لكن الغني اذا بذل الدينار يبلغ الاوطار ومن ذلك ما حكي

ان علي

ان علي باشا الاول صاحب تونس كان قبل ولايته فار بالجزاير
مستجيرا بحاكمها ان يمده بعساكر ليأخذها من ابن عمه حسين
باشا وكان صاحب الجزائر يعده بذلك والاخبار ترد على
حسين باشا بذلك فكان يغتم اذا سمع شيئا من ذلك لما
يعلم مما يطرأ عليه من انحطاط شأنه وذهاب ملكه وسلطانه
فاتفق ان ورد عليه خبر اقلقه واهمه واحزنه واغمه فركب
وهو ضيق الصدر كثير الفكر ومشى في وسط تونس بموكبه
وكان احد وزرائه محاذيا له يتحدث معه فرآه على تلك الحالة
فسأله عن سبب تغيره فاخبره بما سمع من الخبر فقال الوزير
ايّد الله مولانا ونصره ثم تم بامر اعمل له على اني اقول انك ما
دمت موجودا لا تقوم له قائمة والتفت عن يمينه وكانا بمحل
يسمى سوق البلاط فراى ساق شجرة يابسا ملقى على الارض
فقال له ان كان هذا الساق يعود شجرة خضرا يملك علي
باشا تونس ويصير حاكما علينا واراد بذلك اطمئنان صاحبه
فامضت الايام قلائل حتى جاء علي باشا بجيش كثيف من الجزائر
وقتل حسين باشا واستوزر الوزير المذكور مدة حتى تمهدت
له الامور فاتفق انه ركب يوما في موكبه ودخل تونس والوزير

المذكور محاذيا له كما كان محاذيا لحسين باشا فتماديا في سيرهما حتى
وصلا الى سوق البلاط فالتفت على باشا فراى ساق الشجرة ملقى
بمكانه فقال للوزير ان عاد هذا الساق شجرة خضرا يعود علي
باشا حاكما على تونس وكان بعض اعداء الوزير القى اليه ذلك
فاسره في نفسه الى ذلك الوقت ثم اعرض عنه ولم يحادثه بعد
ذلك فعلم الوزير انه مقتول لا محالة لما يعلم من اخلاق علي
باشا لانه كان سفاكا للدما حتى انه كان يقتل على الهفوة الصغيرة
فضلا عن مثل هذه وتماديا على ذلك حتى وصل الباشا الى محل
سلطنته وايوان ابهته فتقدم اليه الوزير قبل ان يامر فيه بامر
وقال ايد الله مولانا ان ابن عمك حسين باشا حين سمع بقدومك
اودع عندي اموالا جمة خباتها في محل لا يعرفه غيري وانا محقق
انك قاتلي واخاف ان انا مت وهي بمكانها لا ينتفع بها مولاي فان
راى سيدنا ان يسرحني لآتيه بها فليفعل ففرح علي باشا وظن
صدقه وامره بالتوجه وان تصحبه عشرة حوانب والحوانب
في لغة تونس هم القواص بلغة اهل مصر وقبل توجههم قال
للحوانب ان فر منكم قتلتكم اجمعين فتوجهوا معه حتى
وصل لداره فاوقفهم اسفل الدار وصعد ليبعد الحريم عن الطريق

فوقفوا

ثم وقفوا وحال صعوده لم يكن له هم الا انه قصد خزانة امواله فملا منها جيوبه ذهبا واخذ معه صندوقا صغيرا يسمى في عرف اهل تونس بالفنيق مملوءا ذهبا ايضا وصعد على السطح وتسوّر من دار اخرى وخرج الى الشارع وتوجه الى دار قونصل الانجليز فدخل عليه واخبره انه مستجير به واعلمه بالقصة واعطاه الصندوق بما فيه وقال له اريد ان تامر باحدى سفاينك يتوجه بي في هذه الساعة الى انجلاتيره فكتب له القونصل في الحال كتابا الى احد قبوداناته ان سافر الى الانجلاتيره حال حلول جوابنا هذا اليك ولا تتاخر دقيقة واحدة واعطاه الكتاب ورافقه بترجمانه ونزلا البحر حتى وصلا الى السفينة فحين قرأ مدبر السفينة كتاب القونصل اقلع عن المرسى واطلق مدفعا علامة للقونصل بتوجهه واستبطاءه الحوانب فنادوا يا فلان انزل فقال الحريم انه نزل من وقت صعوده فكذبوهن وهجموا الدار فلم يروا فيها احدا وعلم علي باشا بافلاته فاغتاظ وعرف انها حيلة وتمت عليه فانظر رحمك الله الى هذه القضية اترى ان هذا الوزير لو لم يبذل هذه الدنانير اكان يبلغ ما تمناه لا والله بل كان يقتل ويوخذ ماله ولا ينفعه

بشئ لان الدرهم والدينار اذا لم يبذلا لم ينفعا ولا تُقضى
لصاحبهما حاجة بل ان كان واليا عُزِل وان كان تاجرا احتُقر
وفى هذا المعنى انشد شيخ مشايخنا العلامة الشيخ محمد الامير
الكبير حين عُزِل خورشيد باشا والى مصر سابقا وتولاها صاحب
السعادة لعدم اعطاء مرتّبات العساكر شعرا

من مجزو الكامل

عزلوك لما قلتَ ما أُعْطى وولّوا من بذل
اوما علمتَ بانّما حرْفٌ يكُفّ عن العمل

ولقد اجاد ابو القاسم الحريرى فى ذم الدينار من حيث انه لا ينفع
صاحبه الا اذا فرّ من يده حيث قال

من مجزو الرجز

وشرُّ ما فيه من الخلائق ان ليس يغنى عنك فى المضائق
الا اذا فرّ فرار الآبق واهاً لمن يقذفه من حالق
ومن اذا ناجاه نجْوى الوامق قال له قول المحقّ الصادق
لا راى فى وصلك لى ففارقِ

وفى الامثال التونسية اذا وضعت الدينار على فم البلا اسكتّه
وفى الامثال المصرية حبيب ماله حبيب ماله اى من احب
ماله وخزنه لا حبيب له ومن هذا القبيل حكاية وقعت
بتونس وهى ان المرحوم الامجد ابو محمد حموده باشا برد الله

ثراه كان له وزير يسمى يوسف صاحب الطابع و معناه المهردار
اى الذى فى يده الخاتم الذى تختم به الاوامر وكان يوسف
المذكور قبل ذلك مملوكا لقايد صفاقس المسمى محمد الجلّولى وكان
من الجمال والادب والحيا فنُمى خبره الى الباشا فارسل الى الجلولى
يقول له انه قد بلغنى ان عندك مملوكا صفته كذا واسمه يوسف
فاذا وصلك كتابى هذا ارسله صحبة حامله والسلام فلما قرا
الجلّولى الكتاب لم يجد بدا من ارساله فلما صار فى حيازة الباشا
اعجبه حسنه وذكاؤه وفطنته وصدقه وامانته واتفق ان
بعض المماليك اتفقوا على قتل الباشا ودخلوا عليه وهو نائم
ووضعوا الشفرة على مذبحه فاستغاث منهم وبخت يوسف
المذكور كان خلاص الباشا منهم على يده فنزل عنده منزلة
عظيمة واحلّه محل ولده وقلده الولايات العظيمة وصارت
الالوية تخفق على راسه حتى صار يشار اليه بالطرف والبنان
وكان يوسف المذكور سعيد الطالع جيد التدبير مظفرا فى
الحروب ميمون الحركة سخى الكف يجذب القلوب بلطفه حتى ان
الباشا جعله ريسا على العساكر البرية فى محاربة صرّاط وهى
محاربة وقعت بين حاكم تونس وصاحب الجزاير فبيُمن صاحب

الطابع كانت الدائرة على اهل الجزاير واغتنم عسكر تونس اخبية
المعسكر الجزايرى وخيله وابله وسلاحه وأُسِرَ من عسكر الجزاير
فى هذه الواقعة جم غفير ثم صار مدبر الجيوش البرية والبحرية بحلق
الواد وذلك حين قدم أُسطول الجزاير لمحاربة تونس ايضا فكان مقيما
ببرج حلق الواد يدبر امر الجيش والسفن والشوانى والعسس
على الشاطئ وكانت اكابر تونس تاتى اليه لقضاء اشغالهم بحلق
الواد لان زمام الامور كلها بيده وكان من جملة من يحضر ديوانه
محمد الجلولى ابن سيده سابقا لكن كان ياتى بتيه وخفر مع عدم
سلوك طريقة الادب اللائقة بامثاله وكان صاحب الطابع يرى
منه ذلك ويتغافل عنه حتى ان اكابر ديوانه تكلموا معه فى
شان ذلك وذكروا له امورا كثيرة حتى قالوا انه يراك الى الان
مملوك ابيه وقد صرح بهذا مرارا فنقم ذلك عليه وتحيل فى
طريق الانتقام منه فاخبر انه يدخل داره راكبا ولا ينزل خارج
الدار كبقية الامرا وان سايسه ياخذ بغلته ويربطها فى
مربط دوابه فدعى برئيس السياس وقال له قد بلغنى ان
سايس الجلولى يربط بغلته فى مربط دوابى ان بلغنى انه ربطها
فى مربط خيلى بعد اليوم لا تلومن الا نفسك فقال سمعا وطاعة

ثم

ثم ان الجلولي جاء ونزل على عادته واخذ سايسه البغلة وربطها
كالعادة والسايس كان غائبا وصعد هو الى مجلس صاحب
الطابع وجلس وبينما هو جالس اذ سمع هيضة وصياحا فنظر
من احد الشبابيك فراى بغلته تركض عائرة وسايسه مضروبا
والدم ينبع من راسه فانزعج ونزل فاخبره سايسه ان كبير
السايس جاء ووجد البغلة مربوطة فاطلقها وضربها فخرجت
عائرة فسمعتُ بذلك فقلت له لِمَ تطلق بغلة سيدى
فشتمني وشتمك فرددت عليه فضربني وترك حالي كما
ترى فرجع الجلولي الى صاحب الطابع وهو مغضب وقال له أتُطلق
بغلتي ويضرب خادمي وانت موجود فلم يلتفت اليه ولم يرد عليه
جوابا فزاد حنقه وعلم ان الخادم لا يفعل مثل هذا الفعل الا باذن
سيده فنزل وركب من ساعته وتوجه الى الحضرة ودخل على
المرحوم حموده باشا وشكى له جميع ما قد جرى عليه من صاحب
الطابع فما اشكاه ولا التفت اليه فكاد يتميز من الغيظ ونزل
من الحضرة وتوجه لداره كئيبا حزينا لا يدرى ماذا يصنع فاجتمع
عليه بعض اصحابه وراه على تلك الحالة فساله عن سبب حزنه
فاخبره الخبر فلام عليه فيما صنع لا سيما فى شكواه للباشا وقال

له اما تعلم ان صاحب الطابع هو المقبول وكلمته هي المسموعة
اتريد ان تعاديه وتشكوه للباشا ويسمع لك عليه دعوى
بيسما فعلت وساء ما توهمت ادرك نفسك وتلاف امرك ولا
حل بك ما يحل بك من التلف وانت المذموم اما سمعت قول الشاعر

من الكامل

واذا العناية صادفت عبد الشرا   تمشي على ساداته احكامه

فقال الجلولي والخروج من هذا الامر والحيلة في الخلاص منه قال له صاحبه
اعلم ان المال اذا لم يبذله صاحبه في مثل هذا المهم كان هو وحجارة
الدار سوآء والحيلة تحتفل في هدية سنية وتقدمها بين يدي
صاحب الطابع وتتوسل اليه باعز احبابه عليه كحضرة ابن ابي
الضياف وقاسم البوّاب وصالح ابي غدير واضرابهم وتبذل لهم
من المال ما يرضيهم وينشّطهم للشفاعة لان المال لا يُطلب
الا لمثل هذا المهم فاخذ الجلولي نصيحته بقبول واحتفل في هدية
عظيمة منها سيف لا يقوَّم بمال لحسن جوهره وخاتم من الماس
عظيم لا يقوم ايضا وخنجر مرصّع بماس وياقوت وعلبة نشوق
وساعة مرصعتين وعشرة الاف محبوبا واخذ مالا جزيلا غير
هذا وتلطف حتى اجتمع باصحاب صاحب الطابع واخبرهم انه
متوسل بهم اليه ان يتوسلوا له في العفو وبذل لهم ما ارضاهم

وسلمهم

وسلمهم الهدية فاخذوها وذهبوا الى صاحبهم واخبروه ان
الجلولي جآء معتذرا يطلب عفو سعادته واطلعوه على الهدية
وزينوا له امر الصلح والعفو عنه وترك الانتقام منه الا ان عاد
لمثلها فنشرهت نفسه الهدية وقبلها وعفا عنه وامرهم باحضاره
وان يبالغوا فى وصيته على سلوك طريق الادب وان يترك ما
كان عليه من التكبر ولا يرى لنفسه على غيره فضلا بل يقف على
قدم العبودية لانه هو واحد القواد عندنا على حد سوآء وان
عاد الى مثلها لا يلومن الا نفسه فامتثلوا امره واحضروه
وبالغوا فى وصيته ثم ادخلوه على صاحب الطابع فلما راه بش
فى وجهه وامره بالجلوس واجل مجلسه واعتنى به ولم يفاوضه
فى شىء مما كان ثم ان صاحب الطابع كتب الى مخدومه الباشا
واعلمه بما وقع من الجلولي ومنه وان الجلولي استرضاه بهدية
وانه رضى عنه وارسل الهدية صحبة الكتاب فلما وصله الكتاب
قراه واحضر الهدية ونظرها ثم ردها اليه وكتب له ما صورته
قد بلغنا كتابك وفهمنا ما انطوى عليه ووقعت منا الهدية
احسن موقع لكننا راينا كل ما فيها يصلح لك لا لنا فقد رددناها
عليك وسامحناك فيها لانك شاب وتحب الزينة ونحن بمعزل

عن ذلك واما العشرة الاف فاصرفها في مصالح العسكر وقد
رضينا عن الجلولي ارضاك عنه والسلام ولما كان من الغد دخل
الجلولي على الباشا فاعظم ملقاه ورحب به واضاف له عملا على ما
بيده من الاعمال وصار في احسن حال فتامل رحمك الله في
هذه القضية بعين الاعتبار اترى ان الجلولي لو لم يبذل هذا
المال اكان يرجع لحاله الاول لا والله بل توخذ من يده الاعمال وربما
قتل في الحال واذ قد انجر الكلام الى سيرة المرحوم حموده باشا
ووزيره المرحوم يوسف صاحب الطابع فلنذكر نبذة من سيرتهما
لان المقصد ان لا تخلو رحلتنا عن الفوايد الجميلة ولا اجمل من
ذكر الملوك العادلين الذين حسنت سيرتهم فتنعمت بهم
رعيتهم ونبدا بذكر الباشا فنقول هو المولى الاجل الفاضل العادل
الفطن الحازم ابو محمد حموده باشا بن علي باشا بن حسين باشا
ابن علي ولد ليلة السبت الثامنة عشر من ربيع الثاني سنة ١١٧٣
وبويع له يوم وفاة ابيه سنة ١١٩١ وتوفي ليلة عيد الفطر سنة ١٢٢٩
كان من الحزم وحسن الراي والعدل بمكان شجاعا مهابا عفيف
النفس عالي الهمة انشا بستان منوبة المشهور الان الذي
اخفى ذكر بستان ابي فهر الذي قال فيه ابو عبد الله محمد الورغي

وقو

من البسيط

وُقِفْ هنا بابى فهر الجميلُ فقد   مضت به دولة النُّمّ العرانين
ترى الحنايا كسطر النخل مدبه   بعض لبعض بمحنى العراجين
اوخُرّدٌ نهضت للرقص فاعتنقت   كى لا تجئ برقص غير موزون

وسور على تونس السور العظيم وحصنها بالابراج والمدافع وشحن الابراج بالعسكر ورفع التلال التى كانت بين تونس والبحيرة وقد كانت مثل الجبال العظيمة مانعة لجودة الهوا يخشى على البلد منها وهى من مدة دولة بنى حفْص فاجتهد فى نقلها فى مدة سبع سنين حتى ترك محلها مزرعة عظيمة وكنشف بذلك غمّة اهل تونس وانشأ محلا لانشاء المدافع العظيمة وحصن حلق الواد بالابراج والابنية العجيبة بحيث صار لا تدخله فلوكة الا ويفتح لها باب وبنى قلعة الكاف واخرج تونس واعمالها من ربقة الرق من اهل الجزاير الى الحرّية المطلقة وكان مظفرا ميمونا لا يعاديه احد الا خُذِل فلم تقدر له اهل الجزاير على شئ ومن سعادته انه استوزر يوسف صاحب الطابع المذكور واطلق يده فى جميع الامور كما قدّمناه فكان يوسف المذكور جيد الراى حسن التدبير عالى الهمة محبا للعلماء واهل الفضل مجبولا على فعل الخير جوادا منها بنىَ الجامع المشهور به الآن بسوق الحَلْفَاويين بتونس وبنى

بازايه مدرسة عظيمة لطلب العلم ورتّب فيها وفى الجامع
رواتب جليلة منها انه جعل نظر المدرسة لاوحد اهل زمانه
علما وديانة المولى الاجل الاديب البارع سيدى الشيخ ابراهيم
الرياحى شيخنا وشيخ المشايخ الآن بتونس وشرط عليه قراءة
درسين فى كل يوم درس فى الفقه ودرس فى التفسير وزاد الشيخ
من نفسه درسا فى الحديث ودرسا فى النحو وصرف صاحب الطابع
على بناية الجامع والمدرسة المذكورين مالا جزيلا حتى ان جامعه
الآن فى الحسن والاتقان اعظم جامع يوجد بتونس بل يمكن
ان لا يوجد اتقن منه ولا اعجب منه وان كان صغيرا الا فيما لم
نشاهده ولقد رايت عدة جوامع بالقاهرة وبطرابلس الغرب
وبالمورة والحجاز فلم ار اتقن منه اللهم الا ان يقال ان الجامع الأموى
بدمشق او جامع القرويين بفاس او جامع اياصوفيا بقسطنطينية
اعظم منه وبنى أمام الجامع سوقا عظيما للتجار وبنى فوقه سراية
عظيمة لجلوسه وانشا عدة مكاتب وموارد فى جملة مواضع ولقد
رايت احد الموارد التى انشاها مكتوب عليها تاريخا لشيخنا العلامة
الشيخ ابراهيم الرياحى وصورته

ذا موردٌ جاد به   راجى ثواب ربه

من مشطور الرجز

يوسف خوجة الرِضَى   صاحب طابع البهى
فخر العلا حمودة   باشا وذا من سببه
يا واردا ادْعُ وقل   تاريخُه بِشُرْبِهِ
١٢٠٩

وهو على طريقة أَيْقَشْ اى طريقة حساب المغاربة قلت وهذا التاريخ اعنى قوله بشربه غير بليغ اى ليس فيه من المعنى شئ حسن واين من تاريخ الاديب البارع المولى الشيخ محمد شهاب الدين المصرى فى السبيل الذى انشاه محمود افندى بالمحروسة الكائن بين الازهر والمقام الحسينى وصورته

من البسيط

يا واردًا سَلْسبيلًا راقَ منْهلُهُ   اشْربْ هنيئاً فهذا العُذْب موردُ
وانظرْ الى حسنه والسعْدُ ارّخَهُ   سبيلُه عاطفٌ للخير محمودُ
١٠٧ ١٦٠ ٨٧٠ ٩٨
١٢٣٥

ومن بعض تواريخ اديب زمانه الشيخ على الدرويش فى كسوة البيت الحرام ونصه

من مجزو الرجز

يا نورَ ناظرِ كِسوةٍ   يزهو بها خزٌّ وبزْ
بُشْرَى خليلٍ ناظراً   فله بها سعدٌ نجزْ
والسعدُ قال مؤرّخًا   سترٌ لبيت الله عَزّْ
٦٦٠ ٤٤٢ ٦٦ ٧٧
١٢٤٥

واين هذا التاريخ من تاريخى الذين نظمتهما للمرحوم السيد محمد المحروقى حين انشئنا الزاوية التى تجاه زاوية الشيخ العفيفى بالقرافة الصغرى والمورد الذى انشاه ببركة الرطلى بالمحروسة ونص الاول

من الكامل

انظر لزاوية تكامل حسنها ... وصبا اليها لب كل مشوق

وبدت باتقان فاعجز وصفها ... ذا النطق بالمفهوم والمنطوق

وقد استضائت بالسيادة ارخوا ... مليت بنور السيد المحروقى

٤٨٠ ٢٥٨ ١٠٥ ٣٩٥

١٢٣٨

ونص الثانى

تامل لما شادت يد العز والبها ... ترى موردا باللطف والحسن قد زهى

وقد شاده من نسل اكرم مرسل ... همام له مجد على ذروة السها

محمد المحروقى انشاه راجيا ... ثواب الٰه حده ماله انتها

ومذ تم قال السعد للشرب ارخوا ... زلال شفاء جيد وهو مشتها

٦٨ ٣٨١ ١٧ ١٧ ٧٥٥

١٢٣٨

توفى المرحوم يوسف خوجة صاحب الطابع فى شهر صفر سنة ١٢٣٠ ومات قتيلا وطيف بشلوه يجر فى الاسواق بعد ان كان البصر يخشى ان يمتد اليه فسبحان المعز المذل ورثاه شيخنا العلامة الشيخ ابراهيم الرياحى بابيات كتبت على قبره وهى هذه

من مجزو الكامل

لله قد وجب الدوام ... وسواه نهب للحمام

دديان

سيّانِ فى تنغيصه عالٍ و منخفض المقامْ

اين الملوك واين من كانت لهم ترعى الذمامْ

لم يظفروا بسوى الذى عملوه من خير فدامْ

هذا الذى بصنيعه قد رامه هذا الهمامْ

من فعل خير عزّان يغنى الانام من الغمامْ

وجوامعٍ ومكاتبٍ وموارِدٍ تسقى الاوامْ

الله يرحم يوسفا ختم الكرام بلا كلامْ

لا غرو إنْ ارختُه بمماته يتم الكرامْ

٤٨٨ ٤٥٠ ٢٩٢

١٢٣٠

ولنرجع الى ما نحن بصدده ثم ان جدى خرج من مكة المشرفة الى بندر اى مرسى جُدَّة ومكث ينسخ الكتب بالاجرة وكان جميل الخط كما قدّمنا فاتفق انه اجتمع فى تلك المدة بناس من اهل جزيرة سنّار وتودد اليه بعضهم وارتبطت بينهم صحبة فساله من اى البلاد انت فقال من تونس فساله عن سبب اقامته بجدة فاخبره بقصته وماجرى عليه فقال له السنّارى لا تتوجه معنا الى مدينة سنّار ويحصل لك العزّ والافتخار لان مكّننا اى ملكنا رجل مبسوط اليد لا يبالى بُلجين

ولا عسجد يحب الفضل واهله ويحل كلا منهم محله وينيل الاشراف
بما يقدر عليه من الاسعاف وانا ضامن لك ان ذهبت معنا ان
يجبر كسرك ويسد خللك وتصبح ذا مال ونوال ورقيق وجمال
فطمع جدى فى نوال الملك المذكور وتوجه معهم يامل الفرح والسرور
وحين وصل معهم الى جزيرة سنار قابلوا به الملك واعلموه انه رجل
من اهل العلم غريب الديار قد انكسرت سفينته وضاع ما كان
حيلته فرحب به واعظم ملقاه وبشّره باليُسر وهنّاه وانزله
دار اكرامه وامر له بجزيل انعامه فكان فيما انعم عليه به جارية مكاتبة
بهية سنية غالية القيمة تسمى حليمة فتسرّاها جدى لجمالها
فجاءت بغلام وجارية مثالها واجرى عليه رزقا فاستقر جدى
بسنّار ونسى اهله بتونس واولاده الصغار وكان حين خروجه
من تونس ترك ثلاثة اولاد مع امهم اكبرهم عمى المرحوم السيد محمد
كان عمره تسع سنين واوسطهم المغفور له والدى وكان
عمره ست سنين واصغرهم عمى المرحوم السيد محمد طاهر وعمره
ثلاثة سنين هكذا سمعت من والدى وجدتى عليهما سحائب
الرحمة والعُهدة عليهما فانحنى عليهم خالهم المولى الاجل الاكمل الامثل
الفقيه المحدّث العالم الفاضل السيد احمد بن العلامة الرُحل

الرسند

ليف
السند السيد سليمان الازهرى صاحب التصانيف العديدة والتا
المفيدة كان السيد احمد عالما فاضلا ثقة حجة فى المنقول عرض عليه
منصب القضا بتونس فامتنع منه وكان مشتغلا بالتدريس وولى
وظيفة التدريس بمدرسة على باشا الاول فلازمها واُصيب فى اخر
امره بدآءٍ أَزْمَنَهُ فكان يقرا الدروس فى داره وتحضره اكابر طلبة
العلم والفضلآء ولم يزل كذلك حتى شب والدى وبلغ مبلغ الرجال
وكان حفظ القران وحضر بعض دروس فى العلم على خاله وغيره وبينما
هو كذلك اذ تحرك شوقه الى الحج فاستشار خاله فى السفر فتحرك شوقه
هو ايضا فتجهزا للسفر معا وركبا البحر من تونس الى اسكندرية ومنها
الى مصر ومن مصر توجها الى القُصير وكان ذلك قبل اشهر الحج وبينما
هما سايران فى القافلة اذ عرضت لهما قافلة قادمة من سنار فنادا منها
منادٍ يا ايها المغاربة هل فيكم احد من تونس فقال ابى نعم نحن منها
فقال هل تعرفون السيد احمد بن سليمان فقال ابى نعم نعرفه
ومن انت قال انا نسيب احمد قد خرجت من تونس منذ كذا وكذا
وتركت اولادى واهلى ولا ادرى اهم احيآء ام اموات وكان خالى
فى شبرية مرخى عليها ستر فسمع ذلك كله فقال لابى يا عمر سلم
على ابيك فاكب والدى يسلم على ابيه ويقبّل يده واعلمه ان خاله

فى الشبرية فجاء جدى وسلم على نسيبه وبعد انقضاء السلام
قال ابى لوالده ايسوغ لك ان تتركنا هذه المدة بدون نفقة ونحن
صغار ولولا ان الله سخّر لنا خالنا كنا ضايعين فقال والدى ما حيلتى
والقضاء والقدر يجريان على وفق الارادة العلية مفرد

من الكامل — إنّ المقدَّرَ كاين لا ينمحى ولك الامان من الذى ما قُدِّرا

فقال ابى لوالده الم يان لك ان ترجع الى بلدك وتقراعيننا برويتك
فقال يكون ذلك ان شا الله قال له والدى متى قال انا الآن متوجه
الى القاهرة ابيع ما معى من الرقيق وارجع الى سنار واخذ متاعى
واولادى واتى الى القاهرة وانتما تتوجهان للحج وترجعان الى
القاهرة فنجتمع هناك وكل من سبق صاحبه انتظره هناك ثم
ودعهما وتوجه كل منهم الى سبيله على حد قول الشاعر

من الكامل — لم استتمّ سلامَهُ لقدومِهِ حتى ابتدأتُ سلامَهُ لوداعِهِ

فتوجه والدى وخاله الى الحج وتوجه جدى الى المحروسة اما جدى
فباع رقيقه وتسوق ورجع الى سنار واما والدى وخاله فتوجها
الى الحجاز ومكثا بالطائف حتى جاء وقت الحج فقدما مكة وحجا وبعد
انقضاء الحج تُوفِّيَ خاله فى مكة المشرفة ودُفِنَ بباب المعلا ثم
رجع والدى الى القاهرة فما وجد اباه فاقام ينتظره مدة فلم يات

وكان

وكان ابى فى هذه المدة يحضر العلوم بالجامع الازهر ولما اعياه الانتظار
توجه الى سنار مع قافلة اتت فلما وصل اليه وجده قارا فى داره مغتبطا
باولاده وعياله لا يسئل عن غيرهم ولا يخطر له السفر على باله فساله
عن سبب خُلْفِ الوعد ولِمَ جعل الهزل مكان الجد فاعتذر بعذر ساقط
لا يجد له لاقط فقال له يا بُنَىَّ ان لى ديونا على بعض الناس ماطلونى فى
دفعها ولا يمكننى الارتحال الا بعد خلاصها على كل حال ليستقيم بها
اَوَدِى ويقوى فى السفر عضدى فمكث معه نحو ستة اشهر وبعد
ذلك تجهزت قافلة الى الاقطار المصرية فسال ابى والده فى احد
امرين بان قال له هذه القافلة متوجهة فاما ان تتوجه بنا صحبتها او
تاذن لى بالتوجه معها فابى عليه فيها وقال اما الذهاب فلا سبيل
اليه لما علىَّ فى تونس من الاموال لا سيما وقد أُخْبِرْتُ بان امك
تزوجت واما الاذن لك فيكون لكن فى قافلة اخرى ان شاء الله
تعالى حتى اجمع لك ما نسافر به من الرقيق والجمال والذهب والاحمال
بحيث انك لا تعود الا مجبور الخاطر فابى والدى المكث واستطال
اللبث وقال انى مشتاق اطلب العلم وفى اقامتى هنا ضياع زمن
بغير فايدة فاختلف رايهما وحصلت بينهما وحشة فخرج والدى
مغضبا وتوجه مع القافلة لا يملك شيا فالحقه والده بعد ثلاثة

ايام بثلاثة جمال واربع جوارى وعبدين وعلى الجمال أُهْبَة السفر من
مؤونة وماء وعلى احد الجمال حمل صمغ فاخذها والدى وسار صحبة
القافلة وبينما هم سائرون اذ ضلوا عن الطريق وادركهم العطش
وطال عليهم الامد فمات الرقيق والجمال ورجع الى مصر فقيرا كما كان

مفرد

من الطويل
اذا اقبلتْ كانت تُقاد بشعرة   وان ادبرتْ كانت تَقُدّ السلاسلا

فمن لطف الله عز وجل مرض خبير القافلة بصداع احرمه الهجوع وعجز
عن شفائه الجموع وبلغ والدى هذا الخبر فكتب رقعة واخذها
الخبير باعتقاد ووضعها محل الالم فبرى لوقته فاعتقد فى والدى
الصلاح واسران يُحَمل ويحمل له عدل صمغ على ابله فوصل والدى
الى القاهرة بعد غص الريق وباع عدل الصمغ بخمسة وسبعين
مَنْدُقْلى ودخل الجامع الازهر لطلب العلم وتزوج والدتى اذ
ذاك ومكث معها نحو سنتين جاءت سنه بولد سماه احمد عاش
سنة وثلاثة اشهر ثم مات فحزن عليه وتمثل بقول الشاعر مفرد

من الطويل
لقد خانت الايام فيك فقرّبتْ   يوم الرَدَى من ليلة الِميلادِ

وبقول الاخر

من الكامل
عجبًا لمولودٍ قضى من قبلِ أنْ   يقضى لايام الصِبا ميقاتا

فكانه

فكانه من نسكه وصلاحه   وهب الحياة لوالديه وماتا

ويقول التهامي في ولده

من الكامل

يا كوكبا ما كان اقصر عمره   وكذا تكون كواكب الاسحار

ثم ان والدي توجه الى تونس واخذامي واهامعه وكنت اذ ذاك
حملا فلما وصل الى تونس نزل بدار اخيه المرحوم السيد محمد وكان
من مشاهير المعلمين بسوق الشواشية اي طرابيشة فولدتُ
بعد ذلك بخمسة اشهر في الساعة الثالثة من يوم الجمعة منتصف
ذا القعدة ١٢٠٤ سنه ومكث بعد ذلك نحو ثلاث سنين ثم حصلت
بينه وبين اخويه وحشة فقفل بنا الى القاهرة ١٢٠٧ سنه فصار يطلب
العلم في الازهر وتحضر درس العلامة المرحوم الشيخ عرفة الدسوقي
المالكي وشيخ مشايخنا العالم الاوحد المرحوم الشيخ محمد
الامير الكبير وتولى نقيبا برواق لسادة المغاربة وكان في عيش
متوسط ومازال كذلك الى ان دخلت ١٢١١ سنه ورد عليه كتاب
من اخيه لابيه من سنار مع القافلة مضمونه بعد السلام ان
والدنا توفي الى عفو الله تعالى وترك جملة من الكتب فسرقها
منا رجل يسمى باحمد البنزرتي امنّاه على بيتنا لانه ادعى القرابة
لوالدنا وبقينا في حالة تسرّ العدو وتسيئ الصديق فاذا وصلك

كتابي هذا عجل بالقدوم علينا لتاخذنا معك نعيش بما تعيش
به والسلام فلما قرا الكتاب بكى واستعبر واخذته الشفقة
على اخويه فتعجل وسافر اليهما وكنت اذ ذاك ابن سبع سنين
قد ختمتُ القرآن بداية ووصلت في العبادة اخر آل عمران
وكان لي اخ عمره اربع سنين وترك لنا نفقة تكفينا ستة اشهر
فمكثنا سنة باعت فيها والدتي اشياء كثيرة من نحاس وحلى
ثم جاء عمي الصغير المسمى بالطاهر فاقام علينا يربينا وكان قد جاء
للحج والتجارة ومعه ولد كالشمس الضاحية في السماء الصاحية
اسمه محمد وكان اسن مني بنحو سنة ونصف فكان يذهب
معي الى المكتب لقراءة القرآن حتى سافر به والده الى الحج اخر
سنة ١٢١٢ ثم دخلت الفرانسيس القاهرة وملكوها في اول سنة ١٢١٣
وكان عمي اذ ذاك مع الحجاج فهربت الغز وتمزقوا كل ممزق ودخل
الحجاج فوجدوا الفرنسيس في مصر واعمالها ومكثوا كذلك
الى اول سنة ١٢١٦ جاء الوزير بالعساكر وخرجت الفرانساويين
وكان ابن عمي المذكور قد حفظ القرآن وابتدا يحضر دروس العلم
وكان من الحياء والادب بمكان فوقعت في تلك السنة امراض
وبائية والمّت بابن عمي المذكور فاخرجته من القصور الى القبور

بل

بل للملاعبة مع الحور ولما قُضِي عليه حزت عليه والده اشد الحزن
حتى كاد يهلك اسفًا ويدخل رمسه توجعا ولهفا ورحم الله القائل

الناس للموت كخيل الطِراد　　فالسابق السابق منها الجواد
والموت نقّاد على كفه　　جواهرُ يختار منها الجياد

من المنسرح

وكره المقام بمصر لخلوها من ولده وفلذة كبده وفي ذلك قلتُ

اذا رحل الحبيب من الديار　　كرهتُ لبعده تلك الديار

من الوافر

فاراد ان يبرّد نارَه ويوارِى أُوارَه بحج بيت الله الحرام ورؤية قبر
نبيه عليه الصلاة والسلام ولله در من قال

نقّلْ فوادك حيث شئتَ من الهوى　　ما الحب الا للحبيب الاول

من الكامل

وفي هذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام اذا أُصيب احدكم بمصيبة
فليذكر مصيبته بي فانها اعظم المصائب

اصبِرْ لكل مصيبة وتَجَلَّدِ　　واعلم بان المرء غير مخلّد
واذا اصبتَ بفقد من احبَبْتَه　　فاذكر مصابك بالنبي محمد

من الكامل

فتوجه الى الحجاز وتركني بمصر لطلب العلم بالازهر وابقى لي نفقة
تكفينا اربعة اشهر ومكث هو اكثر من ذلك فنفذت وضاق
ذرعي لذلك وانا اذ ذاك في شرخ الشباب فبقيت متحيرا لا
ادرى ما اصنع واستنكفتُ ان اترك طلب العلم واتعلم احدى

الصنايع وبينما انا متحير في طلب المعاش وضيق الصدر لعدم الريئاش
اذ بلغني ان قافلة وردت من بلاد السودان من دار فور وكان
قبل ذلك بلغنا ان والدي توجه من سنار اليها صحبة اخير فلما
استقرت بوكالة الجلابة توجهتُ اليها لاسئل عن ابي اهو حي
يتوقع ام أُودِعَ اللحد البلقع فلقيت على سبيل المصادفة رجلا من
اهل القافلة مسنّاً ذا هيبة ووقار يسمى السيد احمد بدوى
فقبلت يده ووقفت امامه برهة فسالني بلطف وقال لي ما ذا
تريد قلت اسئل عن رجل غائب لي في بلدكم لعل يعرفه منكم احد
يدلني عليه فقال من هو وما اسمه فقلت اسمه السيد عمر التونسي
وهو رجل من اهل العلم فقال على الخبير به سقطت هو صاحبي وانا
اعرف الناس به واري بك شبها له فكن ابنه فقلت انا هو على
تغير حالي وتبلبل بالي فقال يا بني ما يُقعدك عن اللحاق بابيك لترى
عنده ما يهنيك قلت قلة ذات يدي واعتدادي وعددي
فقال ان اباك من اعظم الناس عند السلطان واكرمهم عليه دون
اهل الديوان وان اردت التوجه اليه فانا عليّ مؤونتك بمركوبك
وراحتك حتى تصل اليه وتقف بين يديه فقلت احق ما تقول
فقال اي وحياة الرسول لان اباك فعل معي معروفا لا اقدر على

مكافاته

مكافاته فيه ولو بذلت جميع ما تملكه يدى وتحويه فقلت انا اطوع
لك من نعلك واتبع لك من ظلك فعاهدته على ذلك واستوثقت
منه هنالك وجعلت اتردد عليه حتى تأهّب وقال لى السفر غدا
فان شئت بت عندنا لنصبح على السفر مبكرين فقلت على
الراس والعين فبتُّ عنده فى الذعيش واهناه واحسن حال
واصفاه الى ان لاح ابن الذكا والتحف الجوُّ بالضيا نهضنا للمكتوبة
فادیناها وابرزنا الحمول واخرجناها وجیء بالجمال وحمّلت علیها
الاحمال فما ذرّقرن الغزالة الا وقد تم التحميل واخذت العيس فى
الذميل ولا زالت كذلك حتى أُنيخت بالفسطاط على شاطى النيل
وابتُدِا فى شحن الفُلْك بها حتى تمت كلها ثم صبرنا حتى صلينا الجمعة
خلف الامام ونزلنا الفلكَ وودعنا مصر بسلام **الباب الثانى**
من المقدمة لما امتطينا الدهما لهذا السفر العظيم قلنا بسم
الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم ولما اقلعنا عن ساحل
الفسطاط ناويين البعد والانتطاط تذكرت متاعب الاسفار وما
يحصل فيها من الاخطار خصوصا لمن كان حاله كحالى فى الفقر المدقع
والعسر المصقع وتوسوس صدرى وانزعج وبقيت فى منشقة
وحرج لا سيما وقد وجدت نفسى مع غير ابناء جنسى بل بين

من سورة هود ٤٣

اقوام لا اعرف من حديثهم الا القليل ولا ارى فيهم وجها صبيحا
جميل فقلت ودمعي بادي

من الهزج

فجسمك مع ثيابك والمحيّا سوادٌ في سوادٍ في سوادِ

وندمت على تغريري بنفسي مع ابناء حام وتذكرت ما بينهم من
العداوة لابناء سام فداخلني من الهلع ما لا اقدر على وصفه حتى
كدت ان اطلب الرجوع الى الربوع ثم ادركتني الطاف الله الخفية
وتذكرت ما مُدِحتْ به الاسفار على السنة البلغاء الادبية خصوصا
ما ورد في الاثر عن خالق البشر سافروا احدث لك رزقا جديدا وانّ
افضل الانام سافر من مكة الى الشام وقد قالت العلمآء انّ
السفر يسفر عن اخلاق الرجال وهو المميز للذكور عن ربّات الحجال
وقد قيل ان الدر لو لم ينقل من معدنه لما رُصّعت به التيجان ولو
لم يسر البدر لكان في غاية النقصان قال الشاعر

من الكامل

سافر تنل رتب الكارم والعلا فالدر سار فصار في التيجان
والبدر لولا سيره في افقه ما كان الا زايد النقصان

وقال الاخر

من الطويل

تغرّبْ عن الاوطان في طلب العلا وسافر ففي الاسفار خمس فوايد
تفرج همّ واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد

وان

وان قيل في الاسفار ذل وغربة — وتشتيتُ شمل وارتكاب شدايد
فموت الفتى خير له من حياته — بارض هوان بين واش وحاسد

ولله در الطغراى حيث يقول

من البسيط

ان العلى حدثتنى وهى صادقة — فيما تحدث ان العز فى النُقَل
لوكان فى شرف الماوى بلوغ مُنًى — لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

على انى لوكنت اقمت بالقاهرة فى هذا الحال ماكنت ارى فيها الا الوبال وح تمثلت بقول الطغرائى المفضال حيث قال

من البسيط

فيمَ الاقامة بالزوراء لا سَكَنى — فيها ولا ناقتى فيها ولا جملى

وبقول الاخر

من البسيط

ارحل بنفسك من ارض تهانُ بها — ولا تكن من فراق الاهل فى حُرَقِ
الم تر التبر تُرْبا فى معادنه — وفى التغرب محمولا على العُنُقِ

فوطّنت نفسى على الاسفار ولوكنت أُكْوَى بالنار وكنا قد اقلعنا بريح طيب ظل معنا يومه وسفينتنا تميس به عجبا وتتمايل بحسنه طربا وقد ملأ شراعها والطال فى السير باعها وعلى ذكر السفينة ووصف سيرها تذكرت لغزى الذى كنت سالت فيه العلامة الشيخ مصطفى كسّاب شيخ مدرسة الطب البيطرى التى انشاها صاحب السعادة بازاء مدرسة الطب

البشرى بابى زعبل وهو هذا

من الطويل

امولاى يا كساب للعلم والتقى ... ويا بحر عرفان لدى الناس يعذب

سالتك عن شى ثلاثى احرف ... به كلف قلب السقى معذب

لقد جاء فى التنزيل والامر واضح ... ومثلكم يتلوه دوما ويكتب

وايضا له اسم خماسى قد اتى ... مونث لفظ للبرية يعجب

يهيم به المضنى وتجرى دموعه ... ومادته يشتق منها المهذب

كذاك له اسم شهير لدى الورى ... رباعى حروفٍ وهو منها مركّب

مسمى الذى قد قلت يا حبر واحد ... وانت لبيب ليس ذا عنك يحجب

مَطِيَّةُ عَزْمِى الآن دهماءُ قد اتت ... اليك فريد العصر والحلّ اطلب

واوصافها قد قلت صحت شهيرةً ... كجارية حسناء اللب تسلب

تميس متى تُكْسَى ويكثر سعيها ... وان جرّدت للسعى تخشى وترهب

وتحمل ما يعسر على الناس حمله ... ومحمولة يا قوم منها تعجب

وفى سعيها تمشى على حُرّ ظهرها ... وارجلها للبطش قد تتجنب

تطيع الهوى تخشى اشتداد عصوفه ... ولكن به تزهو وتلهو وتلعب

وحسبك توضيحى فهات جوابه ... فلا زلتَ يا مفضال للحل تُطلب

فاجاب حفظه الله بما نصه

من الطويل

ايا عالما بالعلم منه وبالنهى ... وبالفضل عند العالمين محبّب

ومن

ومَن حذقه قد شاع شرقاً ومغربا   ومن هو بالشعر المُهَذَّب يُغْرِب
ولِمْ لا وقد جاز القريض باسره   وطاوعه ما قد يضل ويعزب
وانّى لقُسٍّ وامرئ القيس مثلَه   كلام يثير العاشقين ويطرب
اتيتَ بشعرٍ كالنسيم لطافةً   فمن يدّعيه فهو لاشك كاذب
والغزتَ في اسم عم في البحر نفعه   ويحمل اثقالا تكل وتتعب
ونوحُ تولاه وابدع صنعه   ونُجّي من الطوفان والموج لاعب
وقال اركبوا فيها فبالله مجراها   كذلك مرساها فلا تترسب
وقد حُلّ لغز التونسي محمد   امام له العليا تنمى وتنسب
فلا زال يُبدي من نتايج فكره   نفايس درٍ تَنْبُتُ عنها المطالب
وقد الغزتُ في لفظ بحر فقلت

من الطويل

الا قُل لتحرير العلوم ومن غدا   له اللغز طوعا قد يزول نقابُهُ
فديتك ما اسم من ثلاثة احرف   مسماه يسطو بالانام عُبابه
وفي قلبه معنى اتساع لمن اتى   وان شئت فعلا ماضيا التهابه
واول حرف منه ان كنت حاذقا   فسِمّ بضد البرد وهو انقلابه
بتشويشه تبدو معانٍ ثلاثة   تامل لها فهو العجيب عجابه
امام علوم والمداد وثالث الـ   ـمعاني امر لا يسرّ مصابه
وان تحذف الثاني فضد لاسمه   يصير فلا يعسر عليك جوابه

وقلت ملغزا فى مصباح

من الطويل

الا قل لمن حاز البلاغة والفهما   واعطاه رب العرش بين الورى علما
فذاك ابن ما اسم خماسى احرف   به النفع يا حبر البرية قد عمّا
صغير كانملة اذا قست جسمه   ويملأ بيتا وهو فى حجمه جزما
اذا ما نسيم هب مال صبابةً   ومهما تقوى مات من وجده حتما
فريد باو صاف حسان سمابها   واحسنها ارشاد شخص له امّا
ويمرض مهما طال يا صاح انفه   وان قُطعتْ يصحو ولا يذكر الغمّا
ويزهو متى حل البهيم وان راى الـ   ـغزالة ذرّتْ نال من ضعفه وهما
ومن اسمه حرفان شى محبب   اذا كان من حلو المراشف ألمى
وباقيه فعل ماض كن متفطّنا   وفاعله فى الناس يستوجب الذمّا
واوّلَ حرف منه فاحذف ترى الذى   تبقّى رديفا للغداة فكن شهما
وحسبى لقد اوضحت هاتِ جوابه   وقد جاء فى التنزيل فانظره قدما

وقلت ملغزا فى السماء

من البسيط

يا من رقى لسماء العلم والحكم   وفضله قد غدا ينهل كالديم
بين لنا ما اسم شئ راق منظره   وحسنه قد بدا للعُرْب والعجم
لكنه ذو ارتفاع لا يحِلّ به الا   الذين حبوا من بارى النسم
منه المصابيح تبدو وهى زاهية   بها الهداية فى داج لنا بهم

وحسنه

وحسنه الباهر الزاهي نقرّبه لانه جآء في التنزيل ذي الحكم
مركب من حروف اربع رسمت في النظم كن فاهما للنظم والكلم
قد تم ارجوجوابا شافيا حسنا لا زلتَ يا حبر في عال من الهمم

وقد تذكرتُ بهذه الالغاز ما للغز به خاتمة المحققين الامام ابن حجر الشافعي رحمه الله في لفظة مُدام ونصه

من الهزج

وما شيءٌ حشاهُ فيه داء واوله واخره سواءُ
اذا ما زال اخره بجمع يكون الحد فيه كذا المُعناءُ
وان اهملتَ اولَه ففعلٌ له بالرفع والنصب اعتناءُ

ولنمسك عنان القلم عن جرية في هذا الميدان اذ لو تتبّعتُ ما قلته من الاشعار والالغاز لطال الحال وجلب الملال ونرجع الى ما نحن بصدده فنقول وعند المساء سكن الهوى وبطل هبوبه وفقد شماله وجنوبه وقد جبينا مقابل المِنية وكان فيها جماعة من الغُزّ الذين ابتزّ الله منهم حلة العز فاخذونا بالقوة والقهر واملوا سفينتنا الى جانب البر وكان معسكرهم مخيما في عرض البلد على النيل وكانوا مقيمين هناك لنهب السُفّار المارّين فغرّموا صاحبنا جملةً من المال وبعد الخلاص اقلعنا عنهم في الحال وفي اليوم الثالث حللنا منفلوط فاخذنا منها ما احتاجنا اليه ثم اقلعنا حتى دخلنا

بني عدي فاقمنا فيها ريثما تاهبت القافلة وخرزوا اسقيتهم
وصنعوا زادهم ثم جيء بالمطي فحملت احمالها وخرجنا مهمها قفرا
حتى وصلنا الى الخارجة في عشية اليوم الخامس فوجدناها قد
دار بها النخيل دورة الخلخال بالساق او التفاف يدي العاشق
على معاطف المعشوق للعناق وفيها من التمر ما تشتهيه الانفس
وتلذ به الاعين مع رُخْص الاسعار وحسن تلك التمار فاقمنا
بها مدة خمسة ايام وفي صبيحة اليوم السادس ارتحلنا وسرنا نحو
يومين وفي اليوم الثالث حللنا بلدة يقال لها أبيريس وهي بلد قد
استولى عليها الخراب من ظلم الحكام وتمزق شمل اهلها بعد الانتظام
ففسد ما به من النخيل وذهب رونقه بعد ان كان جميل فاقمنا
بها يومين حتى افاقت دوابنا وزال عنها العنا ثم سافرنا يومين
ونزلنا في ثالثهما بلدا يقال لها بولاق وهو من الساكن في املاق
قد دُرِسَتْ معالم اكثرها وتصدع بناء اقْوَمها واشهرها ومن
العجايب ان نخلها في غاية القِصَر وهو حامل للتمر لا يتكلف جانيه
للقيام بل يتناول منه ولو في هيئة النيام فتذكرت باسمها بولاق
مصر المحمية حرسها الله من كل آفة وبلية فانهملت دموعي
وهاج وجدي وولوعي فانشدت اقول شعرا

تذكرت

من الطويل

تذكرت بولاقا ومصر واهلها   واذكرنى هذى التى تدعى بولاقا
فبالله يا عينى اسعفينى بادمع   عسى يبرد القلب الذى زاد احراقا

ثم سافرنا مجدين من غير لبس حتى نزلنا عشية النهار على بلد يسمى المَقْس مفرد

من الرجز

وبلْدةٍ ليس بها انيس   الا اليَعافير والا العِيس

قيل ان هذا البلد كان اعمر من كل بلد فاخنى عليه الذى اخنى على لُبَد وتمزق شمل اهله ولم يبق به احد وليس به من الاشجار الا ما قل وهو بعض اثل وعبَل فاقمنا فيها يومين وملانا القِرَب وارتحلنا وللمفازة الحقيقية دخلنا فمكثنا خمسة ايام فى مهمهٍ قفر وبيد اغبر ليس فيها من الحشايش الا ما قول قليل كما لا يوجد بها شجر يصلح للمقيل وكان يُطبخ لنا فى تلك المدة بما تلتقط الخدم من بعر الابل الجاف لقلة الوقد الذى يحصل به الاسعاف وفى عشية اليوم الخامس وردنا محلا يقال له الشبّ وهو محل بين غرود من الرمل عليه ريح الوحشة قد هب فارحنا فيه يومين وارتحلنا وللمفازة الثانية دخلنا فقطعناها عنَقا وذميلا فى مدة اربعة ايام نزلنا فى ضحى خامسها ببئر يقال له سَلِيمة وبهذا البئر رسوم ابنية قديمة وهو فى عرض جبل مسمى بهذا الاسم ايضا

فمكثنا فيه يومين حتى قضينا منه غرضا ومن خواص هذا المحل ان
الحالّ به يستانس به ولا يستوحش منه ومن العجايب ان الشبان
من اهل القافلة يصعدون على الجبل الذى هناك ويضربون
الحجارة بعصى صغار كما يضربون الطبول فيسمع لها صوت كالطبل
ولا يعرف سبب ذلك اهو تجاويف فى الحجر اوهى موضوعة على خلو
فسبحان من يعلم حقيقة ذلك واخبرنى اهل القافلة ان فى بعض
الليالى واظنهم قالوا فى ليلة كل جمعة يسمع من الجبل اصوات طبول
وكانه عُرُس ولا يعرفون حقيقته ثم ارتحلنا صبيحة اليوم الثالث
بعد ملئ ادوات الماء ودخلنا مفازة سافرنا فيها خمسة ايام وصلنا
فى ضحى سادسها الى محل يقال له لَقِيَّة فوجدنا هناك ابارا محاطة بالرمل
وماوها عذب زلال وقبل وصولنا لهذا المحل عرضت لنا قافلة
صادرة من بئر النطرون المسمى بالزَغاوِى واهلها من عرب
يقال لهم العمايم فقابلونا بالسلام ثم انصرفوا عنا بسلام فمكثنا
فى لقية يومين وفى صبيحة اليوم الثالث ارتحلنا للزغاوى قاصدين
واذ بهجان اقبل من ناحية دار فور يخبر بوفاة المرحوم الملك العادل
المجيد السلطان عبد الرحمن الرشيد ملك دار فور وما والاها
وسلطان اقصاها وادناها وانه ذاهب الى مصر لتجديد الخاتم

الذى

الذى تختم به الاوامر السلطانية لعدم من يتقنه هناك لابنه
السلطان محمد فضل وذلك لليال مضت من رجب الفرد ١٢١٨ سنة
فحزن اهل القافلة على موت سلطانهم وخافوا من وقوع الفتن
فى اوطانهم لانه كان سلطانا عادلا كريما محبا للعلم وذويه مبغضا
للجهل ومن يليه وسنتكلم على عدله واحكامه فيما ياتى بابسط
عبارة ان شاء الله تعالى ثم سافرنا من هناك ثم سافرنا خمسة ايام
الخنا فى سادسها ببئر الزغاوى وهو بئر النطرون وبينه وبين
دارفور مسيرة عشرة ايام كاملة فاقمنا به احدى عشر يوما
نُصْلح شؤوننا ونرتاح وترعى دوبنا لنتقوى على قطع هذه المفازة
الدهماء ونُحِرتْ فى اقامتنا تلك عدة جُزُر وفُرِق لحمها على اهل
القافلة واجتمعنا هناك باعراب البادية من دارفور واتونا
بلبن الابل وسمنها فاشترينا منهم ما احتجنا اليه وكانوا اتوا
لهذا البئر لياخذون منه ملحا ونطرونا لدارفور لان النطرون
واكثر الملح لايجلب لها الا من هناك وكنا قبل حلولنا بالزغاوى
ارسلَتْ اهل قافلتنا هجّانا لدارفور باوراق الى الدولة والى اهاليهم
تعلمهم بالمجيئ وانهم قد قفلوا سالمين وكنتُ قد كتبت معهم
كتابا لوالدى ونصه الى حضرة والدى واعز الناس عندى

السيد عمر التونسي ابقاه الله امين بعد تقبيل اياديه الشريفة
اني قد اتيت مع قافلة الخبير فرج الله صحبة السيد احمد بدوي
صاحبكم وحبيبكم وفعل معنا من المعروف من اجل خاطركم
ما لا نقدر على وصفه لسعادتكم والسلام كاتبه ولدكم محمد عمر
ابن سليمان فاخذها الهجان وارتحل من وقته ولم ار في
اسفاري التي سافرتها اهون منها لاني كنت فيها في غاية الراحة
وذلك ان حال خروجنا من بني عدي امر السيد احمد بدوي
عبيده ان يضعوا الخيمة على اهدى جمل وان يوطئوها للركوب
توطئةً حسنة ففعلوا واخذ بيدي الى ان سلمني خطام الجمل
وامر ان ياتوا بزمزمية ملانة ماءً فجيئت وعلقت على الجمل
وقال هذا جملك تركبه مهما اردت وتنزل عنه مهما اردت
وهذه الزمزمية تشرب منها كلما احتجت الى الشرب وكلما
فرغت مر احد العبيد يملاوها لك وامر جميع العبيد والخدمة
بطاعتي في ذلك وكان معه من العبيد الكبار سبعة وعبد
صغير وثمانية من الخدمة ومعه من الجمال ثمانية وستون
جملا قد اعدّ منها ثمانية للماء واربعة للزاد وفي وقت الدخول
الى المفازة كان يعلق على كل جمل قربتين وكان معه من السراري

خمسة وسادستها ابنة عمه السيدة جمال وكانت من اجمل نساء
وكان معه حصان دنقلاوى اسود لا يقوّم بمال لحسنه وعليه
سرج غنشاؤه قطيفة خضرا يقوده عبد خاصيه وكان السيد
احمد يلاطفنى ملاطفة الوالد لولده فكنت اذا نزلت القافلة ربما
نمت من تعب الركوب وهز الجمل وحر الشمس فكان يدثرنى واذا
جيئ بالعشاء يوقظنى بلطف ويطلب مآء ويغسل وجهى ويدىّ
ويامرنى بالمضمضة لافيق من النوم وياخذ يدى ويضعها فى الاناء
وربما اخذ الطعام ووضعه فى فىّ ولم يزل هذا دابُه معى حتى
وصلنا بالسلامة ثم ارتحلنا من بئر الزغاوى سافرنا عشرة ايام
سفرَ المجد ناخذ من اول الليل قطعةً ومن اخره دلجة حتى وصلنا
ضحى حادى عشرها الى المَزْرُوب وهو بئر فى اول اعمال دار فور
وقبله بنحو ثلاث ساعات او اربع جاءتنا اعراب بقِرَب من الماء واللبن
فاستبشرنا بالسلامة ثم نزلنا البئر المذكور فاقمنا فيه يوما وفى
صبيحته ارتحلنا نحو اربع ساعات ووردنا بئرا يقال له السوينَة
وهناك قابلنا قايد الولاية وحاكمها وكان يسمى الملك محمد سَنْجَق
وهو قائد الزغَاوَة وهى قبيلة عظيمة من السودان واهل السودان
يسمون القائد ملكا ومعه جيش كثير اظنه نحو خمسماية فرس

فسلم على اهل القافلة وهناهم بالسلامة فاقمنا فى هذا المحل يومين
ثم ارتحلنا وتفرقت الناس فكل اناس اخذوا طريق بلادهم لان
اهل القافلة كلهم ليسوا من بلدة واحدة فاكثرهم من بلدهم المشهور
المسمى كُوبَيه وبعضهم من كَبْكابِية وبعضهم كالسيد احمد بدوى
صاحبى من سَرْف الدجاج وبعضهم من الشَعِيرِية وبعضهم من
جَدِيد كَرْيو وبعضهم من جديد السَيْل فذهب كل منهم فى
مذهبه واخذنا طريق سرف الدجاج فسافرنا سفرا هينا نحو
ثلاثة ايام ونزلنا فى رابعها قرب الظهر فى ظل جبل بقرب بئر
فَقِلنا هناك وجاءت اناس كثيرون يهنوننا بالقدوم وجاء هناك
بدوى ابن السيد احمد ومعه عبيد وخدم باطعمة كثيرة فسلم
على والده وهناه بالسلامة وتغدينا واقمنا حتى انهز النهار واخذ
الشمسَ الطفَلُ والاصفرار حُمِّلتْ الاحملا ورفعت الاثقال فلم يات
المغرب الا ونحن على ظهر مقلّون على الجادّة سائرون فدخلنا
سرف الدجاج بعد العشاء مفرد

من الطويل

فالقتْ عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالاياب المسافرُ

وبتنا تلك الليلة فى مشقة من كثرة المسلّمين وازدحام الداخلين
والخارجين ومع ذلك لم يتهاون السيد احمد بامرى ولا شغله

ما هو

ما هو فيه منى بل افرد لى حجرة وجعل فيها من الفرش والانية ما
احتاج اليه وانا لا اعلم ذلك بل حين طال علىّ السهر دخلت عليه
وقلت له اين انام فنادى باحد العبيد وقال له أرِى سيدك
حجرته فاخذنى وادخلنى حجرة رايت فيها سريرا وفرشا وانية بل
وجميع ما احتاج اليه وبت بانعم ليلة حتى اذا اصبحت لبست
ثيابى ودخلت عليه فوجدته جالسا فى أُبّهة عظيمة بين خدمه
وجواريه واولاده قارًّا سارًّا كانه لم يكن مسافرا فرحب بى
واكرمنى فقبلت يده وجلست معه ثم قال لى ان ابن اخى
السيد احمد الصغير قد صنع فى هذا النهار وليمة القدوم والتمس
منى ان تتوجه اليه وتشرف مجلسه بحضورك فان رايت بك
نشاطا واردت جبر خاطره فذاك اليك وما اريد ان اشق عليك
فقلت سمعا وطاعة لكنى لا اعرف منزله فامر احد غلمانه ان يعرفنى
منزله فذهبت وحضرت ضيافته فاعظم ملقاى ورحب بى
وكان يوما عظيما ثم ان جميع اهل القافلة صاروا يصنعون
الولايم فتوالت وكل وليمة يدعوننى فاحضرها حتى جاء عمى وتوجهت
صحبته الى والدى وذلك انى كنت فى ضيافة بعض الاصحاب
واتيت قرب المساء فدخلت الحجرة المعدة لى فرايت فيها رجلين

وعبدين اما الرجلان فاحدهما اسمر قصير ذو هيئة حسنة
جميل البزة يقرب لونه من لون الحبشة والاخر اسود رث
الهيئة فسلمت عليهما فردا على السلام وجلست متعجبا
كيف دخلا فى حجرتى بغير اذنى فرايتهما يتغامزان ويقول احدهما
للاخر اهو هو فيقول الاخر نعم هو ولا اعرف على مَ يقولان ذلك
ثم سالنى الرجل الاول وقال لى اانت من هنا فقلت لا انا من
مصر جئت ملتمسا لابى فقال ومن ابوك فقلت ابى السيد عمر
التونسى فقال لى السودانى سلم على عمك السيد احمد زرّوق
فسلمت عليه ح وبعد السلام اخرج لى مكتوبا فيه بعد
السلام انه قد جاءنا كتاب من ولدنا السيد محمد اخبرنا فيه
انه قدم صحبتك وفعلت معه من المعروف ما انت اهله
فجزاك الله عنا خيرا وهذه منة لا اكاد اقوم بشكرها وصنيعة
لا اقدر على مكافاتها ومن المعلوم ان المهادات سنة من اول
الزمان وقد قبل الهدية سيد ولد عدنان ولذا قال عليه صلاة
ربنا المنان تهادوا تحابوا وتذهب الشحناء من قلوبكم وقد ارسلت
لحضرتك صحبة اخى السيد احمد زروق عبدين سداسيين
ومهرا احمر ارجو من سعادتكم قبولهم وهم على قدر مقامى لا

على

على قدر مقامك ولله القائل شعرا

من البسيط

جاأت سليمان يوم العرض هدهدة ۔ اتت له بجراد كان فى فيها
وانشدت بلسان الحال قائلة ۔ ان الهدايا على مقدار مهديها
لو كان يهدى الى الانسان قيمته ۔ لكان قيمتك الدنيا وما فيها

ومنا السلام عليكم وعلى اولادكم واهل منزلكم ومن يحويه مجلسكم السعيد وقال لى خذ هذا الكتاب واقراه على عمك السيد احمد فذهبت به وقرانه عليه واحضرت الهدية فراٴها وبارك فيها ثم قال انى قبلتها ووهبتها لابنى هذا يعنينى فالححتُ عليه انا وعمتى فى قبولها فابى الا ذلك وقال انى لو افنيت اموالى كلها فى مرضاته لما كان ذلك جزآء له بما صنع معى من المعروف فتجاسرت عليه حينئذ وسالته بالله العظيم الا ما اخبرنى عن هذا المعروف الذى صنعه معه فقال لى اعلم يا ولدى ان اعداى وشوا بى الى حضرة السلطان بانى ابيع الاحرارَ وزخرفوا له القول حتى استقر فى ذهنه ان الامر صحيح فغضب لذلك وقال تاجر مثل هذا فى غنائه يفعل هذا الفعل الفقر اولى به فاحضرنى من دارى على غير صورة وحين دخلت عليه وبّخنى وقرّعنى بالكلام المولم وطلبت تحقيق ما قيل فىّ فلم اتمكن من ذلك ولا سُمع لى قول

وكمون وفلفل وحب رشاد وكله كما نعهد الا الفلفل فانه حب
رفيع اغلظ من الدشعير بقليل وعندهم بعض شجر الليمون الحامض
وبقربهم جبل يقال له مَرَّة وهو جبل يشق اقليم الفور من اوله
الى اخره مع الاستقامة وله عدة طرق تصعد الناس منها اليه
ولكل قطعة منه اسم خاص به غير اسم العام والفور يسكنون
في اعلاه ولا يألفون الوهاد بل يَرَون ان ذلك اصون لهم ولاموالهم
وسياتي لهذا مزيد توضيح وحين مرورنا بكَنكابِيَّة وجدنا سوقها
عامرا فاخذنا منه ما احتجنا اليه ثم توجهنا فسافرنا ثلاثة ايام
في عرض جبل مَرَّة وصرنا نبيت ببلاد اقوام مستوحشين يكرهون
الضيوف خصوصا ان كانوا من اولاد العرب فاصابتنا منهم مشقة
عظيمة حتى صرنا لا نبيت عندهم الا كرها عليهم مع ان معنا ازوادنا
ولا نحتاج لهم في شي فكانوا ينفرون منا بالطبع وبعد ذلك خرجنا
الى السهل فبتنا ليلة واحدة بمحل يقال له تارْنَيَة فاكرمونا هناك
وصنعوا لنا ضيافة عظيمة وفي ضحى اليوم السادس دخلنا البلدة
التي فيها والدي المسماة بحلة جُولْتُو وهي من جملة حلل ابي الجُدُول
فراينا على باب دار والدي خيلا وحميرا وخدما لاضياف كانوا عنده
فدخلنا الدار وعرضنا جواري وعبيد يسلمون علينا ويهنوني

بالسلامة

بالسلامة ثم جاء والدى بعد ان ركب اضيافه وسلم عليه فقمت
وقبلت يده ووقفت امامه خدمة له فامرنى بالجلوس فجلست
فسالنى ما الحرفة التى تعلمتها فقلت له القران وشيا من العلم
فسر لذلك وصنع ثانى يوم مجيى وليمة ذبح فيها عدة شياه
وبقر ودعى الناس فجاء خلق كثير فاكلوا وكان يوم سرور ثم انه بعد
ثلاثة ايام جهزنى وعمى السيد احمد الى الاعتاب السلطانية بهديا
من عنده الى حضرة السلطان ووزيره الاعظم اذ ذاك الشيخ محمد
كُرَّا والفقيه مالك الفُوتاوى وهو وكيل ابى وحوايجه التى تعرض
للدولة كلها على يده وهو من قبيلة تسمى الفُلَّان واهل دارفور
يسمونها الفَلَّاتَه وفَلَّاتا بالالف فى الاخر اصح والفقيه مالك المذكور
اعظم الوزراء من اولاد العرب وكان يومئذ السلطان محمد فضل
ابن المرحوم السلطان عبد الرحمن صغيرا وكان زمام الامور كلها
بيد الشيخ محمد كُرَّا ومعناه بالفوراوية الطويل لانه هو الذى
عضد السلطان محمد فضل بعد موت ابيه واجلسه على سرير
ملكه وناب عنه فى الاحكام وتدبير المملكة لصغر سنه وقد شاع
على السنة الناس اهل دارفور انه من عبيد السلطان وليس
كذلك بل هو حر خدم السلطان واغنى فى خدمته وقام بعباء

الامور حتى ترقى للوزارة العظمى بحسن تدبيره وتصرف فى مملكة
دار فور حتى كان لا تعلو على كلمته كلمة غير السلطان وكان رحمه
الله فيه دهآء ومكر وشجاعة واقدام وحيل على الامور حتى ينفذ
اغراضه وستاتى سيرته وسيرة السلطان عبد الرحمن وابنه
السلطان محمد فضل واخيه السلطان محمد تيراب مفصلة
ان شا الله تعالى فركبنا من ابى الجدول الى تَنْدَلْتِى وهو مقر السلطان فى
اول شعبان ١٢١٨ ويسمى بلغتهم الفاشر وكل محل سكنه
السلطان يسمى عندهم فاشرا فسافرنا يومين سفرا غير شطيط
ودخلناه ضحوة الثالث فوجدنا بلدا يموج بالساكن ويرتج
بالقاطن ما بين راكب وماشى وجالس وغاشى وطبول ترعد
وخيول تركض فدخلنا دار الفقيه مالك فوجدناه جالسا بين
خدم وحشم وارباب الحوايج محتفون به فدخلنا عليه فسلم عليه
عمى فاعظم ملقاه ورحب به فعرّفه عمى بى فسلم علىّ وبش
فى وجهى ورحب بى ثم ان عمى اعطاه الكتاب الذى له والكتب
التى للدولة فقرا كتابه ورحب وافرد لنا محلا وضعنا فيه متاعنا
ثم اخذنا فى الحال الى دار الشيخ محمد كُرّا فراينا دارا على بابها من
الخيل والدواب ما لا يحصى كثرة ودخلنا فرايناه جالسا فى

مجلس

مجلس حفل وارباب الدولة محتفون به فسلم علينا ولم يعلم من
انا ثم سال وقال من هذا فقال له الفقيه مالك هذا ابن الشريف
عمر التونسي العالم المقيم بابي الجدول وقد ارسله صحبة عمه ليسلم
علي سعادتك وهذا كتاب ابيه فاخذ الكتاب وفتحه ولما علم ما فيه
صار يلاطفني ويحيّيني اكراما لوالدي وقُدِمَتْ له الهدية فقبلها
وامر بادخالها الى خزائنه واقبل يلاطفني بالتحية اكراما لوالدي ثم امر
الفقيه مالك ان يبقينا عنده حتى ياذن لنا في التوجه فبقينا عند
الفقيه مالك ثلاثة ايام ونحن في اكرم ضيافة والذ ايتناس وفي
اليوم الرابع دعانا الشيخ محمد كرا على يد الفقيه مالك وكسا كشميرا
اخضر وجبة خضرا وقفطانا من القطن الهندي وامر لي بجاريتين
وعبد وكتب لابي كتابا قراته بعد ذلك عند ابي وصورته من
حضرة من اكرمه الكريم ولا يفارقه الخير والنعيم الوزير الاعظم
المتوكل على من يسمع ويرى الاب الشيخ محمد كرا الى حضرة الاستاذ
الاعظم والملاذ الافخم علامة الزمان ونُخَبَة سلالة سيد ولد
عدنان السيد الشريف عمر التونسي دام مجده امين اما بعد
انه قد حضر لدينا نجلكم المكرم صحبة اخيكم المحترم المعظم بما
اهديتموه لنا حسبما هو مشروح في جوابكم ففرحنا غاية الفرح

بامرين الاول اجتماع شملك بقرّة عينك والثانى باننا نوّمل
اقامتك فى بلدنا وهذا هو المقصود الاعظم لتحصل لنا البركة
بكم اهل البيت وقد اتحفناه بما صحبه ونرجوان يكون مقبولا
له بكم ولولا ما نحن فيه من الاشغال لكان الامر ابلغ من
ذلك فالمعذرة اليك واُأمّل ان لا تنسانى من صالح دعواتك
والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ثم ان الفقيه مالك قدم
لجارية ناهدا وجوابا قرائه بعد ذلك ايضا مضمونه بعد
السلام انه قد ورد علينا كتابكم صحبة نجلكم واخيكم وقدمناهما
الى حضرة الشيخ محمد كُرّا وقد دخل عليه من السرور ما لا
يعلمه الا الله بقدوم نجلك كما يفصح لك كتابه عن ذلك ونحن
اشد فرحا منه لما بيننا من المودة وما اهداه الشيخ محمد كرّا
لنجلك يُتلى عليك ويصل بين يديك وها نحن قد اتحفنا
نجلك الكريم بجارية كوعبة مَتْرَبَة اراد هنا كاعبة واما قوله مترية
لا معنا له هنا وذلك من جهل الفقيه وهذا اى كاعبة ومترية
مذكور فى القران فى وصف الحور واراد الفقيه انه يدّعى عالما
فانه غلط وقال هنا قولا بدون معنى واسمها حميدة عسى
ان تلحظ بالقبول كما هو المامول والسلام فاخذنا جميع

ذلك

ذلك وتوجهنا لوالدي فرحين مسرورين ففرح بقدومنا ثم اقمنا
جميعا مدة شهر رمضان وحين انقضائه توجه ابي الى الفاشر
للسلام وقابل الاب الشيخ محمد كرا وطلب منه الاذن في
التوجه الى تونس ليرى امه واخويه ويجتمع بهم قبل وفاة امه
واعلمه انه سيتركني في بيته وبلاده لان البلد التي كان فيها
اقطاع له اقطعها له المرحوم السلطان عبد الرحمن قبل وفاته
وكان قبل ذلك اقطعه بلادا في المحل المسمى بقرلي فابى والدي
الاقامة فيه لعجمة لسان اهله وعدم معرفتهم العربي فنقله الى
هذه البلد وهذا الاقطاع يشتمل على ثلاثة بلاد حلة جولتو الذي
فيه بيتنا والدبة وام بعوضة فاتفق مع الشيخ محمد كرا انه يتركني
في هذه البلاد اجمع خراجها وانتفع بزرعها فاخذ عليه المواثيق
بالعود واذن له وكتب له عدة اوامر الى العمال الذين بطريقه ان
يعطوه جميع ما يحتاج اليه وان يرسلوا معه جندا يوصله الى محل
الامن وودعه ورجع الينا مهتما بامر السفر فجهز نفسه في اقرب
وقت وذلك انه باع ما عنده من القطن وكان عنده قطن كثير
ينوف عن مائة قنطار لانه كان زارعا قطعة ارض تزيد عن عشرين
فدانا من افدنة بر مصر قطنا وكانت هذه القطعة يجمع منها وقت

هجوم القطن في كل يوم اربع عشرة ربكة والربكة في عرف اهل
دار فور كالقفة في عرف اهل مصر وهي ربّما لو صبت فيها غلال
يسع نحو خمسة ارباع بالربع المصري فباع كل ذلك وباع مراح
غنم كان عنده وكذا باع البقر والحمير واخذ جواريه وعبيده وما
حصل لي من السيد احمد بدوي ومن الاب الشيخ محمد كرا ولم
يترك لي الا جارية بعينيها بياض تسمى فرحانة وعبدين وامرأتيهما
وحمارا وهجينا ضعيفا وترك لي احدى نسائه تسمى زهرة وامرأة
اخيه وكل منها معها بنت وباع مطامير الغلال ولم يبق لي الا
مطمورا واحدا واعطاني وثيقة الاقطاع التي كتبها له المرحوم السلطان
عبد الرحمن حين اقطعه الارض المذكورة ونصها من حضرة السلطان
الاعظم والملاذ الافخم سلطان العرب والعجم ومالك رقاب الامم سلطان
البرين والبحرين وخادم الحرمين الشريفين الواثق بعناية الملك
المبدي المعيد السلطان عبد الرحمن الرشيد الى حضرة الملوك
والحكام والشراتي والرمالج واولاد السلاطين والجبايين واهل
دولة السلطان من العرب والسودان اما بعد فان السلطان
المذكور المبرور المؤيد المظفر المنصور تفضل وامدّ بمعونته واعطى
العلامة السيد الشريف عمر التونسي قطعة من الارض كائنة بابي

الجدول

الجدول حاوية لثلاث حلل من حلة جولتو والدبّة وأمّ بعوضة
بحدودها المعروفة والخامها الموصوفة حسبما حدده الملك جوهر
للملك خميس عرفان لا يعارضه فيها معارض ولا ينازعه
منازع من اهل المملكة خصوصا جبابى العيش يتصرف فيها
باى نوع من وجوه التصرفات شاء هبة لوجه الله تعالى وطلبا للثواب
فى دار المآب والحذر ثم الحذر من الخلاف والتعرض من الخاص
او العام ثم ان والدى حمّل اثقاله واخذ رقيقه وسريته واخاه وتوجه
وابقانى فى الحلة وفى شهر رجب سنة ١٢١٩ قتل الاب الشيخ محمد كرا
فى حرب عظيم وقع بينه وبين السلطان محمد فضل وسببه ان
اعداء الاب الشيخ محمد كرا دخلوا بالفتنة والسعاية بينه وبين
السلطان وقالوا للسلطان ان الاب يريد نزع المملكة من يدك
ويولى عليها اخاه باسى عوض الله فاظلم الجو بينهما واحتال السلطان
وجماعته فى القبض عليه فلم يتيسر له ذلك وانعزل الاب بجماعته
فى بيت اخر كان له بتندلتى بعيد عن بيت السلطان وارسل له السلطان
ان ياتى اليه فابى فلما لم يجد السلطان وجماعته حيلة للقبض
عليه وامتنع عنهم منعوه الماء فمكث ثلاثة ايام يستقى من
جديد السبيل ثم لما اشتد العطش بجماعته قالوا له انا قد

عطشنا وليس عندنا من الدواب والقرب ما ياتى لنا بالمآء الذى
يكفينا فارحل بنا الى محل اخر نشرب منه المآء او دبر لنا حيلة
فركب ح هو وعسكره وتوجه للرهد وهو غدير المآء بتندلتى
فوجد عليه حارسا من دولة السلطان مع عسكر كثير يمنع
جماعته وهو الملك محمد دلدن ابن عمة السلطان محمد فضل
فقتله وقتل جماعته قتلا ذريعا وسمع بذلك جماعة السلطان
فخرجوا عليه ونشب الحرب بينهما فانكشفت جماعة السلطان
وكان ظهر يوم الخميس وخاف السلطان على نفسه ففر الى
جديد السيل وكان يوما على السلطان وجماعته لا لهم وما
زال الحرب بينهم حتى امسى المسآء فنزل الشيخ محمد كرا بجماعته
فى عرض الغدير ونزل جماعة السلطان قبالتهم من الجانب
الاخر حتى اصبح الصباح وكان الاب افتقد بالليل جماعته فوجد
اخاه باسى عوض الله قد قتل فى الحرب فحزن لذلك وقال الى القاتل
وقد مات اخى واعز الناس عندى وكان قد اخرج معه باسى
طاهر بن السلطان احمد بكر عم السلطان محمد فضل وبايعه
على السلطنة وتلك حيلة عملها لئلا تنفر منه اهل دارفور لان
من عاداتهم ان لا يتولى عليهم الا من كان من اولاد الملوك من

بيت سلطانتهم ولما علم بقتل اخيه قال لمن حوله انى قد
كرهت الحياة ففى غد اياكم ان تقاتلوا بل ادخلونى فى الحرب
وانجوا انتم بانفسكم فحين شاع عنه ذلك فرت جميع عساكره
الا باعد ولم يبق معه الا ذوو قرابته فى نفر يسير تبلغ عدتهم
الفا واكثر بقليل فلما اصبح ضربت طبول الحرب وركبت
جماعة السلطان وركب هو ايضا فى جماعته وادخلوه فى
الحرب والتحم القتال وغاص الاب فى جماعة السلطان واخترق
الصفوف حتى لم يبق بينه وبين السلطان احد ولو اراد قتله
لفعل ولكن تذكر معروف ابيه فمنع يده عنه ووقف امامه برهة
وقال له يا ابن الفاعلة اتسمع فى كلام الناس ويكون هذا
جزاى معك وخاف السلطان على نفسه منه واراد ان
يفر ونادى قد جاء ليقتلنى فانطبقت عليه الناس من
كل جانب وداروا به كالخاتم بالاصبع ولم يجد معينا ولا مسعدا
فقاتل حسب طاقته وقتل عدة ابطال وجرح جراحات
غير بالغة فلم يكترث بها وخافوا ان يدركه احد من جماعته
فيخلص من ايديهم مع ان جماعته كلها انكشفت عنه
وبقى فيهم وحده فصار يقاتلهم نحو ساعة ثم لما عجزوا عنه

عقروا جواده فوقع على الارض فما استطاع النهوض لثقله لانه
كان لابسا درعين من الحديد فتكاثروا وتكالبوا عليه بالرماح
والسيوف حتى قتل رحمة الله عليه ولقد جُرِّد بعد موته فوجد
فيه ما ينوف عن ماية جرح من ضربة سيف وطعنة رمح ورجع ابن
زوجته محمد شِيلْفُوت ظنا منه ان يجده حيا فينُقذه من ايديهم
فوجده قد قتل فجرد سيفه وغاص فيهم فقتل منهم عدة ابطال
وهو ينادي يالثارات الشيخ محمد كرا واخيرا تكالبوا عليه وقتل
هو الاخر بعد ان قتل اكثر من عشرين من المعدودين واذ قد
ذكرنا مقتل الاب الشيخ محمد كرا فلنذكر مبدا امره وكيف ترقى
به الحال ونتعرض لسلاطين دارفور حسبما علمنا من ثقاتهم
واخبرني به الجم الغفير من مسنّيهم فاقول ان السلطان
محمد فضل هو ابن السلطان عبد الرحمن بن السلطان احمد بكر
قيل ان السلطان احمد بكر كان له من الولد سبعة بنين وهم
عمر وابو القاسم ورِيز ورِيفا وتيراب وطاهر وعبد الرحمن وهو المدعو
باليتيم لان اباه مات وتركه حملا فلما حضرته الوفاة جمع ارباب
دولته وجعل ولاية العهد لجميع اولاده يتولاها كلهم الاكابر
فالاكابر وشرط ان لا يتولى هذا الامر احد من اولادهم الا بعد

انقراضهم

انقراضهم فلما توفى تولى اكبرهم المسمى بعمر فمكث فى الملك سبع
سنين ثم قتل فى حرب كان بينه وبين السلطان جودة سلطان
دار صليح المسماة بدار وداى وبدار برقو ثم تولى بعده اخوه
ابو القاسم فمكث ثمان سنين وقتل فى الحرب مع سلطان
برقو ايضا ثم تولى بعده السلطان محمد تيراب فكره الحرب واقام
فى بلده آمرا ناهيا سلطانا ثلاثا وثلاثين سنة انما سمى تيراب
ارض الشام لان الفور يسمعون ان ارض الشام مخصبة
وانها من ارض الجنة سيما وفيها المحشر وهى عش الانبياء
فلقبوه بهذا اللقب لصدور الافعال الجميلة منه كما ان
ارض الشام نباتها كلها جميل ومعنى تيراب بلغتهم الحبوب
التى تزرع فى التراب التى يعبر عنها اهل مصر بالتقاوى واهل
المغرب بالزريعة ولقبوه بذلك لانه كان رجلا كريما حليما
واسع الصدر جيد التدبير شفوقا على المساكين وكان انائة
وكان فيه مجونا يحب الزينة وانواع الملاهى وكانت ايامه كلها خصبا
ودعة ورخاء اسعار الا ان اخر امره كرهته الناس لظلم اولاده
لان له ما ينوف عن ثلاثين ولد ذكر غير الاناث فصاروا يركبون
ويجوسون خلال البلاد وكلما سمعوا بشىء جميل اخذوه من

صاحبه ويكلّفون الرعية ما لا تطيق حتى كان فيهم ابن له يقال
له مساعد كان من عتوه وتجبره يابى ان يركب الخيل بل كان
يركب ظهور الادميين فكلما وجد شابا امر بالقبض عليه
وركبه حتى اعياه وربما سافر السفر البعيد لا يركب فيه جوادا
ولا حمارا بل ينتقل على الناس حتى ينتهي سفره واذا لم يجد غريبا
ركب من جماعته وكانت الرعية ترفع شكايتهم لابيهم فكان
لا يشكوهم ولا يقبل منهم بل ربما غضب وقال ان هذا لهو
العجب اقليم مثل هذا لا يتحمل اولادي وكلما عملوا صغيرة يشكون
الي فلما راى الناس ذلك ابطلت الشكوى ورفعت امرها الى
الله عز وجل وكان قد ولى المناصب الجليلة لاقارب ازواجه
فكانت جميع وزرائه اقارب زوجاته وكان اكبر اولاده اسحاق
المسمى بالخليفة كان اسحاق المذكور شجاعا مهابا ذا راي وحزم
الا انه كان فيه نوع ظلم وجور وسبب تسميته بالخليفة
ان اباه جعله خليفة بعده ولقبه بهذا الاسم وجعل له دولة
كدولته ووزراء كوزرائه فكل وزير كبير له ولد كان السلطان
يامره ان ياتي بابنه للخليفة ليكون عنده بمنزلة ابيه عند
السلطان ومكث على ذلك مدة حتى سافر السلطان تيراب

الى

الى كُورْدُفال وابقاه خليفة فى دار فور كما ياتى بيانه ان شاء الله تعالى
وكان السلطان تيراب يحب الخلاعة والانبساط حتى كانت
الشبان تلعب مع البنات امامه اى يرقص البنات والشبان
وهو ينظر اليهم فمما اتفق ان جائت امامه طائفة من البِرْقِد وهم
قبيلة من السودان لهم رقص معلوم يسمى تَنْدَكَّهْ ومن عاداتهم
اذا تعبوا من الرقص تجلس كل فتاة وشاب معا على حدة فلعبوا
حتى تعبوا وتفرقوا وجلسوا على عادتهم فقال الشاب للفتاة اترضى
ان اكون لك زوجا فقالت نعم ما الذى تعطينى من المهر فقال
لها انا رجل فقير ولا اجد شيا اعز من المقابل لنا هذا واشار الى
السلطان وكان السلطان جالسا على كرسى مقابلا لهما فقالت
الفتاة قد رضيتُ ونظر السلطان لاشارتهما له فدعى بهما فلما
مُثّلا بين يديه سالهما عن ذلك فقال الشاب انى سالت
محبوبتى هذه فى ان تتزوجنى فرضيتْ وطلبتْ منى المهر فقلت
لا املك شيئا اعز من هذا المقابل لى واشرت اليك فانبسط
لقوله وقال ارضيتَ بى مهرا لها قال نعم فقال السلطان
اترضينى بالفداء وانا افدى نفسى قالت نعم ارضى فدعا بابيها
وخطبها منه وعقدله عليها وامهرها جاريتين واعطى الرجل

عبدا وامر لهما برزق يعيشان فيه وهذا نهاية مكارم الاخلاق
اذ لا شئ اعظم من جمع بين متحابين في الحلال ومن ذلك ما
حكى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان في ايام خلافته
يطوف في المدينة المنورة بالليل ليقف على احوال الناس ويعلم
مظلومهم من ظالم وبينما هو في طوافه اذ سمع جارية تغني
وتقول شعرا

من الكامل

وهويته من قبل قطع تميمتي   متمايس مثل القضيب الناعم
فكان نور البدر يشبه وجهه   يغيب ويبدو من ذوابة هاشم

فطرق رضي الله عنه الباب وقال لها من هويت فقالت اليك
عني فقال لا بد وان تعلميني فقالت له بحق صاحب القبر الا ما
انصرفت عني فقال والله لست بزائل من مكاني هذا حتى
تعلميني فتنفست الصعداء وقالت وانا التي قرح الغرام بقلبها
فتنت بحب محمد بن القاسم فقال لها احرة انت فقالت لا بل
مملوكة فقال لمن قالت لفلان سمته له فتوجه رضي الله عنه
ولما اصبح سال عن محمد بن القاسم فوجده غازيا بالعراق فارسل
الى مولاها واشتراها منه وارسلها الى محمد بن القاسم بالعراق
وكتب له القصة ثم قال واعلم يا بني انه كم مات بهن سقيم

وعطب

وعطب بهن سليم ومن ذلك ما حكى ان سليمان بن عبد الملك
ابن مروان كان غيورا على النسآء جدا حتى انه ربما سفك دم من
ظن انه نظر لبعض محاظيه نظر عشق فاتفق له ان احضر مغنيا
في بعض الايام وكان في النهار فاجلس المغنى تحت السرير وامره
ان يغني واستلقى على ظهره على السرير وكانت معه جارية تروح عليه
من شدة الحر فاخذه النوم فرفع المغنى راسه على حين غفلة فراى
الخليفة قد نام والجارية تروح عليه فتاملها فوجدها كالشمس
في رابعة النهار فافتتن بها ولم يقدر على التكلم خوفا من الخليفة
فانهملت دموعه وهاج ولوعه فاخذ قرطاسا وكتب فيه شعرا

من الرجز

انى رايتك فى المنام ضجيعتى مسترشفا من ريق فيك البارد
وكاننا وكاننا وكاننا بتنا جميعا فى فراش واحد

ثم القاه عليها فاخذته وقراته وكتبت له فيه

من الرجز

خيرا رايت وكلما املته ستناله مني برغم الحاسد
وتبيت بين خلاخلي ودمالجي وتحل بين مراشفي وسواعدي
ونكون اول صاحبين تلاقيا رغم الزمان بلا مخافة حاسد

ورمت القرطاس اليه فالتقفه الخليفة قبل ان يصل اليه فلما قراه
احمرت عيناه وكاد يتميز غيظا وقال ما حملكما على ما صنعتما احب

قديم بينكما ام عشق خامركما فى هذه الساعة فقالا بل والله فى
هذه الساعة ولم يكن لنا به عهد قبل ذلك وانهملت دموعهما
فلما راى منهما ذلك رق لهما وقال للمغنى خذها ولا تعد تقاربنا
انتهى فعاش السلطان تيراب مدة مديدة كما ذكرنا واكثر من
الازواج والسرارى حتى كان له من الولد اكثر من ثلاثين ذكرا راكبين
الخيل غير الاناث والصغار وفى ايامه تلك خدمه الشيخ محمد كرا
وكان غلاما مراهقا فامره ان يكون فى الكُورْكُوَا اى اهل الحرب
اى يكون مع الجماعة الذين يحملون الحراب خلف السلطان حين
يركب وحين يجلس للحكم ولا خصوصية للسلطان فى ذلك بل كل
ملك من ملوك الفور وقائد من قوادهم له جماعة يحملون الحراب
خلفه حين يركب او يجلس للحكم مسمون كُورْكُوَا ويرون ان ذلك
من تمام نظام المُلْك حفظا للناموس وهيبة للمخدوم فى قلوب
رعاياه فخدم الشيخ محمد كرا فى تلك الخدمة مدة وظهرت منه
علامات النجابة فاحبه السلطان تيراب ونقله الى سُومِينْدُقُلَه
والسوم هو الدار وِينْ هو علامة الاضافة والدُقُلَه هو العيال
ومعناه دُرَا العيال والدُرَا بلغتهم العربية اسم للمحل او الدار وهل
سُومِينْدُقُلَه هم الامنا على مصالح المخدوم يرسلهم فى اسراره رئيسهم

اعظم

اعظم مقاما من رئيس كوركوا فاغنى فى خدمته حتى ان السلطان
كان لا ينادى فى اكثر حوايجه غيره فحسده بعض اهل الدار فسعى
به الى السلطان قائل ان محمد كرا خائن غدّار وانا اراه يجتمع هو
وفلانة الحظية فى كل ليلة وتاتيه بالطعام الجميل فغضب
السلطان لذلك وهمّ بالبطش به فبلغ الخبر الى كرا فاخذ مدية
واختلى بنفسه فى حجرة واستاصل مذاكير نفسه بيده وجاء بها
الى السلطان وكان قريبا منه والقاها بين يديه وقال انما قيل
فىّ ما قيل لمصاحبتى لهذه وها انا قد استاصلتها لئلا يبقى فى
قلب مولاىَ منى ريب ثم سقط مغشيا عليه فرحمه السلطان
وامر بمداواته فعولج حتى بَرِا ثم ان السلطان امره ان يكون صحبة
الامين عِلى وَذجامع احد الوزرآء العظما ووصّى عليه الامين المذكور
بان قال له خذ هذا الغلام الى دُرَاك واعتنِ به واكرمه واياك
ان تتهاون به فانى ارجوان يخلفك فى منصبك فاخذه الامين
على مضض منه ووضعه فى سُومِينْدُقُلَهْ كما كان عند السلطان
وقد ذكرنا قريبا ان اهل سوميندقله هم الامنآء على المصالح المهمة
يرسلهم المخدوم فى اسراره فجلس كرا فى ذلك المحل مدة وكان
لا يغيب عن باب مخدومه وكلما نادى الامين على احد من اهل

سُو ميندُ قُلَهْ يحبيبه محمد كرا بل ربما لم يجد غيره فكان يرسله فى
قضآء مصالحه وكان من عادته ان لا يذهب لقضآء مصلحة الا
نجح واغنى فيها فاحبه الامين قهرا عنه لما راى من كفايته فجعله
ملكا على اهل سو ميند قله وميزه عنهم فصارت جميع الخدمة تحت
يده ياتمرون بامره وحين ولى هذا المنصب اجتهد فى الخدمة زيادة
عما كان عليه ولازم رتاب مخدومه وكان فى الامين نوع اهمال للامور
منه انه كان ياتيه من الطعام وقت الغدآء والعشآء ما ينوف
عن الوانآء فكان لا يلتفت الى ذلك بل كان ياتيه هو ومن معه ما
يكفيهم والباقى تتوزعه الخدمة بغير ترتيب وكثير من الانية ما يرجع
الى الحريم ملآنا فالتفت محمد كرا الى ذلك ورتبه احسن ترتيب وهو
انه كان يبث الخدمة فى اتباع سيده ينظرون من عنده ضيف منهم
فياتونه بالاخبار ويقولون فلان عنده ضيف وفلان وهلم جرا
فكان اذا حضر الطعام اختار لمخدومه من احسنه ما يكفيه هو ومن
معه ثم يوزع على الخدمة كفايتهم ثم يوزع الباقى على محال الضيوف
كل منها على حسب حاله فى المرتبة والغنى والجاه والعلم ويوصى
الحاملين ان يقولوا ان الامين ارسل لكم هذا ضيافة والامين
لا يعلم شيا من ذلك فصارت الناس تتشكر الامين وتتمدح به

وحين

وحين يأتون اليه يقولون جزاك الله خيرا ارسلت لنا الضيافة
العظيمة فلا يوجد نظيرك فى امنآء السلطان ويثنون عليه غيبة
وحضورا فكان الامين يتعجب من ذلك ويقول هولاء يثنون
علىّ ويقولون انى ارسلت لهم الطعام مع انى لم افعل شيئا من
ذلك لانه لا يعلم سببه وبقى متحيرا كيف يعلم سبب ذلك حتى
اتفق له ان كان فى الحريم عند المسآء وجآء خارجا الى الديوان
فراى محمد كرا يوزّع الاطعمة فلما احس بذلك تربّص واكمن فى
محل فسمع الشيخ محمد يقول للخدمة كم فى بيت الملك فلان من
الضيوف فقالوا له كذا وكذا فقال احملوا لهم كذا وكذا انآء وقلوا
لهم قد ارسل هذا العشاء الامين حتى وزّع الطعام كله فقال من
هنا جآء العمل فضنّ به واكرمه واعلا رتبته وجعله على الكورايات
فى عرفهم هو الذى يحكم على الخيل وجميع الخدمة وهو منصب
جليل عندهم وان كان فى عرف غيرهم لم يخرج عن كونه رئيس
السياس واقام محمد كرا فى صحبة الامين على على هذه الحالة
حتى سافر الامين على الى كردفال صحبة السلطان تيراب وسافر
معه الشيخ محمد كرا سبب سفر السلطان محمد تيراب
الى كردفال قد حكى لى الثقة العارف بالانساب ان السلطان

سَلوكْ المدعو سليمان الجدْ الاول لسلاطين دارفور كان له
اخ يقال له المُسَبَّع فاقتسم هو واخوه الاقليمين فاخذ السلطان
سليمان اقليم دارفور واخذ المُسَبّع اقليم كردوفال وتعاهدا
ان لايخون احد منهما صاحبه فبقيا كذلك حتى كان في زمن
السلطان محمد تيراب كان الوالي على كردفال من اولاد المسبع
السلطان هاشم المُسَبَّعاوى وكان فيه شهامة وشجاعة واقدام
على الامور الشاقة فاكثر الغزوات على بلاد التُرُوج والعرب البادية
حتى صار ذا مال عظيم وصار عنده من العبيد ما ينوف عن عشرة
الاف عبد حامل للسلاح واجتمعت عليه اوباش الناس من
الدناقلة والشايجية والكَبابِيش وعرب الرَزَيقات حتى صار
في جند كثير فطمعت نفسه في تملك دارفور واستشار
ارباب دولته في ذلك فاشاروا عليه ان يبث السرايا اولاً على
اطراف البلاد ليُضعفوا اهل مملكة دارفور ثم بعد ذلك يتوجه
اليها فسمع قولهم وبث السرايا على اطراف مملكة دارفور
فقتلت وسبَتْ واغتنمت اموالا عظيمة فارسل السلطان
تيراب الى السلطان هاشم يقول له بعد السلام يا ابن عمى
ارسلت سراياك على اطرف بلادى وانت تعلم ما بيننا من

المودة ولم يقع منا ما يخالف المودة مع انك تعلم ان الذين اخذت
اموالهم مسلمون والذين قتلوا موحدون وهذا الفعل لم
يبيحه احد ولا يفعله عاقل فاذا وصلك كتابي هذا فانته والا
سيلقى الباغي مصرعه والسلام فلما وصله الكتاب ما زاد
الا عتوا واستكبارا وبث السرايا ثانيا فعلم السلطان
تيراب انه ان لم يتداركه ويستاصل شافته زاد شره واخرب
البلاد فتجهز وتوجه اليه وهذا هو السبب الظاهر والسبب
الباطن انه يعلم ان الناس غير راضيين عنه ولا يرضون بتولية
احد من اولاده خصوصا مع وجود اولياء عهد السلطان محمد
بكر الذين هم اعمامهم ولا سيما اذا تذكروا ما وقع منه ومن اولاده
من الظلم وهو يريد ان يعهد الى اكبر اولاده المسمى باسحاق الخليفة
كما تقدم فاغتنم الفرصة حين وقع من هاشم ملك كردوفال هذا
الامر واغتاظ في الظاهر واعلن ان هذا الامر لا يقوم به غيره
مع انه لو بعث الامين علي او احد وزرائه لكفاه مونة السفر
والمشقة ولكن اراد ان يسافر وياخذ معه جميع اولاد السلطان
كبارا وصغارا ويقتحم بهم الحروب حتى يهلكهم ويهلك الوزراء الذين
لا يحبون الولاية لابنه ليتمكن اسحاق من البلاد والاموال والرجال

وينفرد بالذكر ولما كانت هذه نيته جمع جميع اولاد السلطان
والوزراء الكبار وابقى مع الخليفة اولاد الوزراء كل منهم في منصب
والده وارتحل بهم على هذه النية وان كان اخفاها فقد ظهرت
على حد قول القائل...

من الطويل

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

مع انه عومل بخلاف قصده واعقبه الله تعالى بقتل ولده ولم
ينفع تدبيره بشي ورحم الله القائل

من المديد

انّ الطاف إلهي لم تدع في الكون ضنكا
كلما رمتُ احتيالا لي قالت خلّ عنكا
سلّم الامر الينا نحن اولى بك منكا

وفي كون الامور دائما تاتي على خلاف المراد قال المتنبي

من البسيط

ما كلما يَتَمَنَّى المرء يدركه تاتي الرياح بما لا تشتهي السُفُنُ

فلما سمع ملك كرد فال بقدومه فر هو وجماعته واستجار بملك
بسنّار واقام عنده فدخلها بغير حرب وصار يبث السرايا والجند
في اطراف البلاد حتى دوّخها وجبى الاموال واستقامت الاحوال
فمكث على ذلك حتى حال الحول وملت الناس من المقام وسالوه
العود الى بلادهم فغضب لعدم ظفره بما امّل لكنه اخفى ذلك وقال

لهم

لهم كيف ترجعون وقد بلغني ان هاشم استجار بملك سنار والملك
قد جهز له جيشا ويريد القدوم علينا فان رجعنا وجاء بعدنا
ظن انا فررنا منه ونال من البلد مراده وبعد ذلك يغزونا ويحوجنا
الى الرجوع له ثانيا وانا الآن مضمر ان اتوجه اليه قبل ان ياتي ولكن
حتى اتحقق الخبر ومكثوا بعد ذلك مدة فلم يظهر لما قاله اثر فتنكرت
قلوبهم وساءت احوالهم واشتاقوا الى اهلهم وعيالهم وتذاكروا
مع بعضهم في ذلك في خلوة فقال الوزير الامين علي ود برقو وكان
صهر السلطان اي ان السلطان كان متزوجا بابنته ما ذا جعلتم
لي ان قتلته وارحتكم منه وتولون بعده عليكم من شئتم فضمنوا
له مالا عظيما وتعاهدوا معه على ذلك وجعل بينه وبينهم العلامة
صوت الطبل فمهما سمعوا الطبل يكونوا على اهبة مستحضرين
فصبر الامين علي حتى جن الليل ولبس درعين سابغين متبنين
ولبس ثيابه عليهما وتقلد بسيفه ودخل دار السلطان وقصد
حجرة ابنته لما يعلم من حب السلطان لها لان السلطان كان
له بها مزيد اعتناء فكثيرا ما كان يجده عندها فلما دخل عليها عرفت
الشر في وجهه وخانه جده ان السلطان لم يكن عندها في تلك
الليلة فسالها عن السلطان فقالت لا اعلم اين هو ولكن ان

اردت بحثتُ لك عنه واعلمه بقدومك فقال لها نعم ماتصنعين
لاني شديد الاحتياج اليه في هذه الليلة وكانت في وقت محادثتها
له رأت طوق الدرع من تحت طوق الثوب فتاكدت الشر وذهبت
الى محل السلطان واعلمته ان اباها جآء طالبا له وانها رأت منه
امورا انكرتها منها انه لابس درعا تحت ثيابه ومتقلد سيفه مع
ان العادة لا يدخلون على السلطان بسيف ابدا ومنها ان في وجهه
علامة الغضب فاحس السلطان بالشر لانه هو الذي كان يلح
عليه بالعود ويبالغ في القول له فامرها ان لا تعود اليه وخرج السلطان
ونادى كبرآء العَسَس وامرهم بالقبض على من جآء خارجا عن الدار
وان افلت منهم لا يلومون الا انفسهم واخذ هو جماعة منهم حرسا
له متأهّبين باسلحتهم وغاص في لجة داره ودخل في حجر بعض نسائه
واحتاط الحرس بها فجلس الامين علي في انتظار ابنته تعود فلم تعد
اليه بخبر السلطان او ان السلطان ياتي اليه ليبلغ أَرَبه منه فلم
ياته احد بل كان كالباحث عن حتفه بظِلْفه والجادعِ مارن انفه
بكفه على حد قوله

من مجزو الهزج

الى حتْفى سعى قدَمى اري قدَمى اراقَ دمى

ولما اعياه الانتظار قام يريد الذهاب الى داره خوفا من ان يطلع

النهار عليه ويفتضح فمشى قليلا حتى اذا قارب العسس نهضوا اليه وقالوا له ارجع حيث كنت فابى وعرّفهم بنفسه لاجل ان يخلّوا سبيله فما امكن بل قالوا له نحن مامورون بالقبض عليك ان لم ترجع الى المحل الذى جئت منه فسبّهم واراد ان يخرج قهرا عنهم فهجموا عليه ليوثقوه حتى يُصبح فقاتلهم وجرح أُناسا منهم فتكالبوا عليه وقتلوه ولم يستفد من بغيه الا فناء اجله ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لكل باغ مصرع او كما قال رحمه الله السيد على الغراب حيث يقول

زارع البغى حاصد للندامهْ	فاطلب السلم ان اردت السلامهْ
لاتثق بالمُنى فما كل باغ	نال ما يرتجى ووُفّى مرامهْ
ربما كانت الامانى مطايا	للمنايا وموردا للندامهْ
ربما خيّلت لراج منالا	مثلما خيّلت لراءٍ منامهْ
رُبّ ساعٍ ليجتنى طِيْبَ عَيْشٍ	وهو يجنى وليس يدرى حمامهْ

من الخفيف

وأُخبر السلطان ح بموت الامين فقال اجعلوه فى رداء وضعوه فى محل حتى يصبح وحين بزغ الفجر امر السلطان باحضار عبيده كلهم لابسين السلاح فحضروا ورتّبهم على الابواب وامر البوابين ان يفتحوا الابواب حتى اذا لم يبق احد اغلقوها عليهم وامرهم ان

لا يدعون حواشي القواد يدخلون معهم بل لا يدخل الا الامرآء
فقط ووصى العبيد اذا أُغلقت الابواب تاتي جماعة منهم ويقفون
امامه محيطين بالعالم الذين يكونوا في المجلس ثم امران تضرب
الطبول ضرب حزن وازعاج لان لهم في حال السرور ضربا معروفا
وفي حال الحزن كذلك فضربت الطبول كما امر وجآءت الوزرآء والملوك
على طبقاتهم ظنا منهم ان علي ود بَرْقُو فعل ما اتفق معهم عليه فجاؤا
متهيين فحين وصلوا الى باب دار السلطان راوا الامر على غير ما
يعهدون فلم يجدوا بدا من الدخول ودخلت اتباعهم معهم
فمُنِعوا وبقوا منفردين عن اتباعهم وجاء العبيد الذين اوصاهم
بالاحاطة بهم فاحاطوا بهم شاكين السلاح مُظهرين الغضب
وخرج السلطان عليهم غارقا في ثياب سود مُتَطَيْلِسًا بكشمير
احمر وهذا نهاية الغضب فجلس السلطان في محله المعد له
وامر باحضار القتيل فأُحضر ملفوفا بالردا فامر بوضعه في وسط
الحلقة وقال اريد منكم ان تعرفوا هذا من هو فبادروا اليه وكشفوا
وجهه فعرفوه ولم يتجاسر احد منهم على التكلم لما قام عنده من
الغضب فقال لهم السلطان هل عرفتم هذا فسكتوا كلهم
فقام رجل منهم ذو دهآء وصهر السلطان ايضا فقال قد عرفناه

وهو

وهو الامين على ود برقو وقد دخل عليك باطلاعنا اجمعين فان
اردت قتلنا فها نحن بين يديك وان عفوت فالامر اليك
فقال السلطان وما حملكم على ذلك قال انك اتيت بنا الى هنا وتعلم
ان لنا فى بلادنا اهلا وعيالا واولادا قطعتنا عن رويتهم والتمتع
بمعاشرتهم وليس لنا هنا شغل نعذرك فى الاقامة بسببه
ولسنا نراك ناويا اوبةً ولا يطيب لنا عيش الا بمكاننا فاجل
ما تصنع معنا ان تردنا الى اوطاننا فان قلوبنا انكرت الغربة
وحنّت الى الاوطان

من الطويل

حَنيني واشواقى لاول تربة   واول ارض مس جلدى ترابُها

لاسيما وقد ورد عن سيد ولد عدنان حب الوطن من الايمان
فلما سمع مقال ذلك الرجل عرف صدقه وخاف ان بطش باحد منهم
قامت عليه القيامة لانهم معذورون فى ذلك فتخلص منهم بان
قال لا تستعجلون موتى فانى ميت لا محالة لانى مريض مرضا لا
يمكننى اطلاعكم عليه وهو الذى يمنعنى عن السفر فان عافانى
الله فى هذه المدة رجعتُ بكم واياكم ان تفعلوا مثل هذه والسلام
ثم انه بعد ذلك بايام اظهر انه مريض وصار لا يخرج الى الديوان
ولا ينظر فى احوال الناس مع انه معافى الجسم ولم يعلم ان من

تمارض انقلب الهزل جدا ومرض حقيقة وربما مات وقد قال عليه
افضل الصلاة واتم التسليم لا تمارضوا فتمرضوا فتموتوا فانقلب
عليه الدست وحل به المرض والمقْت وايقن انه هالك لا محالة
وكتب ح للخليفة كتابا يقول فيه بعد السلام اعلم يا ولدى
انه قد اعترانى مبادى ما لا بد منه ولا محيص عنه فاذا وصلك
كتابى هذا فخلو ولدك خليل على دارفور وعجل بالقدوم عسى
ان تدركنى وبى رمق لعلى ادبر لك شيا ينفعك والسلام وختم
الكتاب وارسله صحبة هجان وطاش الخبر ان السلطان ثقل
عليه المرض وأُرْجِف بموته وصارت الناس لا يتحدثون الا بذلك
وكان محمد كرا كثيرا ما يدخل دار السلطان ويجتمع على نسائه وكان
ممن يجتمع عليها إياكُرِى كِنَانة اعظم نساء السلطان صاحبة
الرتبة الجليلة لان كل سلطان يتولى لابد وان يحب احد نسائه
ومن احبها وقلدها امور الحكم فى بيته هى التى تسمى إياكُرِى حقيقة
وهذا اللفظ معناه السيدة الملكية وان قيل لغيرها من نساء
السلطان اياكرى فذلك من قبيل التعظيم لا غير وهذه كنانة
كانت صاحبة راى وتدبير كان السلطان تيراب لا يالو غيرها
الا إلماسًا ولهذا قلدها هذا المنصب لان هذا المنصب له

اقطاع

اقطاع ومعاليم واموال تُجبى لها منه وتصدر منها اوامر ولها
قواد يضبطون اموالها واحوالها فلما رائت ان السلطان
ميت لا محالة خافت على نفسها وكان لها ولد يسمى حبيب
خافت عليه ايضا فاجتمعت على محمد كرا وقالت له يا محمد هل
لك في حيلة تخلّصني وولدي من هذا الامر قال لها نعم الحيلة انك
تصلين حبلك باليتيم لانه هو صاحب الدولة بعد السلطان
تيراب لان كل الناس راضون عنه فقالت هل لك ان تجعل
بيني وبينه عهدا وتتوثق منه بانه اذا تولى يجعلني ابا كري ويجعل
ولدي حبيب خليفة فقال لها كُرّا افعل ذلك ولكن ما يسُرُّك
ان شاء الله وكانت كنانة تخاف على ولدها حبيب من الخليفة
اسحاق لانه ابن ضرتها وعرفت ان اليتيم لا ولد له فقالت
يربي ولدي فذهب اليه محمد كرا واقرأه سلامها واخبره انها
تريد ان تعينه على التولية بشرط ان يتزوجها ويجعل ولدها
خليفة فعاهده على ذلك فقال محمد كرا وما ذا لي انا ايضا ان كتمت
سركما واعنتك بجهدي على التولية ودبرت بحيلتي على قدر طاقتي

ولا تحتقر كيد الضعيف فربما   تموت الافاعي من سموم العقارب   من الطويل

فقال اليتيم ان فعلت ذلك واغنيت فيه قلدتك منصب

الاب وعاهده على ذلك فرجع اليها محمد كرا واعلمها انه استوثق
منه بما ارادت فاطمانت لذلك وصارت ترسل معه اخبار السلطان
وقتا فوقتا ولما ثقل مرض السلطان تيراب ويئس من مجى
ولده اسحاق الخليفة احضر الامين علي ود جامع سيد محمد
كرا والامين حسب الله جران والامين ابراهيم ود رماد والاب
الشيخ عبد الله جُثّا وامينا اخر نسيت اسمه وقال اعلموا
انى صنعت معكم معروفا وارجو ان تكافئونى عليه بتنفيذ
وصيتى التى اريد ان اوصيكم بها فقالوا سمعا وطاعة فقال
للامين علي انى اوصيك اذا انا مت بان تجمع العساكر كلهم تحت
يدك وتوصلهم الى اسحاق ولدى بدارفور فقال سمعا وطاعة
وقال للامين حسب الله قد جعلتك امينا على خزاين اموالى
اذا انا مت توصلها الى ولدى فقال سمعا وطاعة وقال للامين
ابراهيم ود رماد قد جعلتك امينا على دوابى وخيلى اذا انا مت
توصلها الى ولدى بدارفور وقال للاب قد قلدتك الحريم والعيال
والخدم اذا انا مت توصلها الى ولدى وقال للاخر قد جعلتك
امينا على اسلحتى وملبوساتى واولادى اذا انا مت توصلها
الى ولدى فقبلوا منه ذلك بالسمع والطاعة ودعوا له بالعافية

وبكوا

وبكوا لما هو فيه من المرض لانهم اصهاره ماعدا الاب لانه خصي
ثم ذهبوا الى محلهم وقضى السلطان نحبه وهم غائبون وحين
توفى ارسلت كنائة الى اليتيم بسبحة السلطان ومنديله وخاتمه
وجابه تعلمه بموته على يد محمد كرا وجآء أُوْلَيك الوزرآء الذين اوصاهم
فوجدوه قضى عليه فندموا على خروجهم من عنده ودبروا حيلة
واجمعوا امرهم ان يجعلوا السلطان في تخت بعد فتحه والقائما
في امائه ونصبيره يُغطّى ويحف بالعساكر ولا يتركون احدا يصل
اليه وكل من سال عليه قيل له مريض حتى يصلوا الى دار فور ويسلّموا
كل ذلك الى ولده اسحاق الخليفة والشيخ محمد كرا اخذ الاشيا المذكورة
وتوجه الى اليتيم وقال له عوضك الله في اخيك خيرا واعطاه الخاتم
والسبحة والمنديل فتحقق موتَ اخيه واخذ الاشياء وذهب
الى اخيه الاكبر المسمى بريز فحين اعلمه نهض قائما واخذ ريفا
وطاهرا وتوجهوا الى دار السلطان فلم يقدر احد على منعهم
وما زالوا داخلين حتى وصلوا الى المحل الذي فيه الجماعة والسلطان
تيراب مُسَجَّى امامهم وهم يبكون عليه فدخلوا عليهم ولم يخاطبوهم
بل جلسوا حول اخيهم وبكوا حتى فاوا ثم التفتوا الى الجماعة وقال
لهم ريز اما كفاكم ان مدة حياة اخينا كان خيره لكم والآن تريدون

ان تاخذوا تتلوه ايضا لاجل ان يكون لكم حيا وميتا ها نحن
قد اطّلعنا على موته فافعلوا ما بدا لكم فقد تركناه لكم ثم خرجوا
وتركوهم فاختلف راى الجماعة بعدهم وقالوا قد فسد تدبيرنا
واطلعوا على موت السلطان فلا يمكننا ان ننفذ وصيته الآن
فقال الامين عَلِى ودْجامع لا بد لى من تنفيذ وصيته او اموت
دونها ثم نادى يا محمد كرا اذهب الى محمد ولدى وقل له يجمع عساكرى
ويلبسوا دروعهم واسلحتهم وياتون الى باب السلطان فقال
سمعا وطاعة وذهب الى محمد ابن الامين وقال له ان حضرة الامين
يامرك ان تجهز العساكر وتركب معهم وتذهب الى اولاد
السلطان وتكون معينا لهم حتى ياتيك امرى فقال الامين محمد
سمعا وطاعة ونادى فى العساكر فتاهبوا وركبوا وتوجهوا الى
اولاد السلطان ورجع هو بعد ذلك للامين وقال له قد ذهبتُ
فوجدت سيدى قد اخذ العساكر وتوجه الى اولاد السلطان
فاغتاظ الامين على ذلك وعلم انه لا يقدر على تنفيذ وصية السلطان
تبرب وخاف من الايمان والعهود فاخرج علبة صغيرة كانت
معه وفتحها واستف منها شيا مما كان فيها فوقع ميتا ولما مات
انخذل الباقون وتفرق رايهم وهذه اقوى مكيدةٍ عملها محمد كرا

فى

في الامين وولده وبسببها وقعت العداوة بينه وبين الامين
محمد بن الامين علي المذكور ثم ان الجماعة تفرقوا وذهب كل منهم
الى جبينته وهاجت الناس وماجت وعلموا انه لا بد للدولة
من سلطان يقوم بامرهم ويجمع كلمتهم وكانت اولاد السلطان
احمد بكر الذين هم اخوان المتوفي جالسين هم واتباعهم على حدة واولاد
اخوانهم واتباعهم على حدة والرعايا على حدة فنهضت جماعة
من المدبرين ودعوا بالقاضي والعلماء وارسلوهم الى اولاد
السلطان بكر لانهم هم الكبراء واولياء العهد من ابيهم وقالوا
لهم قلوا لهم بعد السلام اعلموا انه لا بد لهذا الامر من سلطان
يجمع كلمة الناس ويقوم بامرهم والملك لكم وانتم اربابه فعيّنوا
لنا سلطانا نرضى نحن وانتم فتوجهت العلماء والقاضي واخبروهم
بذلك فقالوا قد عيّنّا لهم اخانا ريزا لانه هو اكبرنا وسيدنا
ونحن تحت امره ونهيه فتوجهت العلماء لاولاد السلاطين
الصغار واخبروهم ان باسي ريزا يكون عليهم سلطانا فابوا
وقالوا ان باسي ريزا عمنا ووالدنا لكن لا نريد ان يتولى علينا لانه
صعب المراس فيه حدة تخشى غايلته خصوصا ونحن اولاد
صغار نريد سلطانا حليما يربينا وان صدر من احدنا بادرة

يعاملنا فيها بالحلم وقالت الرعية ان باسي ريز املكنا وابن ملكنا
ولكن به حدّة والاولى ان يختار هو غيرة لانه هو سلطان تولى
ام لم يتول فرجعت العلماء واخبروهم بذلك فقال باسي ريز
قبلنا عذرهم ووليناعليهم باسي طاهرا فاخبروا به ايضا اولاد
السلطان فقالوا لا نرضى بعمنا طاهر لان له اولادا كثيرة لا ينتبه
لتربيتنا بسببهم وقالت الرعية انما كرهنا السلطان تيراب
لكثرة اولاده فان يولوا علينا طاهرا فنحن نرضى بالخليفة ان
يكون سلطانا لانه اقل اولادا منه فرجعوا واخبروهم فقال
ريز قد ولينا عليكم اليتيم فاخبروهم فرضوا به كلهم رعيةً واولادَ
ملوك وانعقد امرهم عليه واخذوه وتوجهوا به الى دار
السلطان والبسوه الخاتم واقعدوه على كرسي المملكة ولم
يختلف عليه اثنان **الباب الثالث من المقدمة** في ذكر
نبذة من سيرة السلطان عبد الرحمن الملقب بالرشيد واول
امره وولادته ووفاته قد ذكرنا فيما مضى ان السلطان احمد بكر
خلّف سبعة من الولد منهم السلطان عبد الرحمن المذكور وهو
اصغرهم لان اباه توفي وهو حمل في بطن امه ولذلك سمي باليتيم
نشأ على احسن حال حفظ القران وقرا في الفقه وعرف الحلال والحرام

ولم

ولم ينتبه الى ما انتبه له اولاد الملوك فى دار فور لان اولاد الملوك
هناك متى كبر الواحد منهم يخوض فى البلاد يتضيف وينهب
اموال الناس وكلما راى شيا اعجبه اخذه بدون ثمن ويقول
ان جميع ما فى دار فور من العالم عبيد لابيه الا عبد الرحمن فانه من
صِغَرِ سنه كان صالحا تقيا نقيا عفيف النفس وكان فى غاية
من ضيق العيش وكان اذا سافر وامسى عليه المسآء فى بلد
قال لمن ينزل عنده انا ضيف الله فان قبله مكث والا ذهب الى
محل اخر ولم يُسمع عنه انه ظلم احدا قط وكان لا ينسى الصنيعة
لمن فعلها معه بل يتذكرها ويجازيه عليها ومن ذلك انه كان
مسافرا فنزل عند رجل من قبيلة يقال لها أَلْبَرْتِي فعرفه الرجل
وذبح له كبشا سمينا ولاطفه ولما جآء العشا وحضر الطعام راى
السلطان عبد الرحمن ان الرجل قد تكلّف له فقال له يا هذا اما
كان يُغنى عن هذا ما هو اقل منه لو ذبحتَ لنا دجاجة لقامت
مقامه وكنتَ ادّيتَ ما وجب عليك فقال لا يا مولاى والله
لو ملكتُ جزورا لنحرتُها لك السيد عبد الرحمن اليتيم ابن
سلطاننا فقال له اليتيم ومن اين تعرفنى قال عرفتك بحسن خُلُقك
وتقواك وانه سيصير لك شان فقال اليتيم لئن ملكتُ لاطعمنك

اسمى مما ذبحت لنا وكان الامر كذلك فانه لما وُلِّيَ دعا بالرجل
وكان يسمى محمد دَرْدُوك وولاه منصبا جليلا واخرجه لجباية
اموال قبيلة العرب المجانين وهى قبيلة عظيمة اهلها اصحاب
ابل فحصّل منها من الاموال والنوق والجمال ما لا يوصف ومنها انه
مر ببلاد الريح ونزل على رجل فقير يقال له جِدُّو فاكرمه على قدر
طاقته وكان هذا الرجل من بيت كبير وابوه كان ملكا عظيما يقال
لمن تولى فى منصبه التكُنْيَاوِى فلما ولى اليتيم ولّاه منصب
ابيه ورايته واجتمعت به ومنها ان الفقيه مالك الفُوتَاوِى
الذى اسلفنا ذكره كان راى له مناما وصورته انه راى قمرا فى
السماء والناس ينظرون اليه ويقولون هذا اليتيم فاوّلَه ان
يلى الملك وذهب وبشّره بذلك فقال له ان صدقت روياك
لارفعن قدرك فكان كما قال وكان يصوم الخميس والاثنين على
الدوام ويصوم رجب وشعبان ورمضان وكان يحب اهل
العلم ويكرمهم وقبل ولايته بايام شاع عند المنجمين واصحاب خط
الرمل ان اليتيم هو الذى يتولى السلطنة بعد السلطان تيراب
وسمع السلطان بذلك فحقد عليه واراد قتله مرارا والله يمنعه
منه وكان يدعوه للطعام ويجعل له السم فيه فكان اليتيم يقول

انى

انى صائم ولا ياكل منه شيا ولقد اخبرنى من شاهد وقت
توليته حين ادخلوه لدار السلطنة انه كان عليه قميص قد بلى
حتى ان كتفيه ظاهران منه وبيده سبحة من خشب تساوى
فى بر مصر عشرين فضة ومكث عزبا حتى بدا الشيب فى لحيته
وما ذاك الا لفقره وعدم المال الذى يتسرى او يتزوج به ولم
ير النساء الا حين سافر الى كُرْدُفَال صحبة اخيه السلطان
محمد تيراب فمر على بلاد يقال لها البِيقُو فاعطاه ملِكُها جارية
وخشا تسمى أُنْبُوسَة فغشيها فولدت منه السلطان محمد
فضل ولما انعقد الامر عليه اجلسوه على سرير الملك كما تقدم
وبايعوه وكان اول من بايعه اخوه الاكبر ريز ثم ريفا ثم طاهر ثم اولاد
السلاطين فبايعوه ثم القاضى والعلماء ثم الامراء وضربت طبول
الحزن اعلانا بموت السلطان تيراب ثم بطلت قليلا وضربت
طبول الهناء اعلاما بتولية السلطان عبد الرحمن وكان من عادة
ملوك الفور ان السلطان اذا تولى يمكث سبعة ايام فى بيته
لا يسئل عن حكم ولا امر ولا نهى بل يجلس للتهنية والسرور
تدخل عليه العلماء والوزراء وارباب الدولة فلما تولى السلطان
عبد الرحمن ابطل تلك العادة وخرج صبيحة توليته فجاءت الوزراء

فراوه جالسا فى ديوانه وتناول بعض احكام فلامره وقالوا ليست
العادة كذا فقال بئس العادة ليست فى كتاب الله ولا فى سنة
رسوله ثم جمع جميع ارباب الدولة وقال لهم ان كان لكم ارب فى
ان اكون سلطانا عليكم تُبطلوا الظلم ولا تحدّث به انفسكم
وتتوبوا الى الله تعالى منه فان الظلم يخرب الدُوَل ويقصّر اعمار
الملوك فقالوا سمعا وطاعة ثم لما كانت صبيحة اليوم الثالث
امر باخراج خزائن السلطان تيراب فأُخرجت ففرّق ما كان
فيها من العين من ذهب وفضة وثياب على العلماء والاشراف
والفقرآء ووجد فيها من الكشمير والجوخ الذى عث شى كثير
فامر ان يُرمَى خارج الدار وكل من وجد شيا ينفعه اخذه فلخرج
فكان كالطود العظيم واجتمعت عليه الفقرآء ينهبونه وبسطوا
ايديهم بالدعاء للسلطان عبد الرحمن ثم لما كان سابع يوم اخرجَ
جوارى السلطان تيراب وفرقها ايضا ولم يترك الا الحراير وامهات
الاولاد التى تزوجها اخوه بالعقد ثم نصّب المناصب فجعل محمد
دُكُّمى اميا فى منصب ابيه الامين علِى ود جامع وامرهم بالأُهْبة
للرحيل الى دار فور فتجهزوا وحين خرج من كرد فال مر على جبل التروج
فاوقع بهم واخذ جميع ما فيه من الشباب والبنات ولم يترك

فيه

فيه الا المسنين واجتمع بمشايخ عرب البادية من الرزيقات والمسيرية
فالتمس منهم المسير معه لحرب الخليفة وكلما اكتسبوه من
المال والسلاح والخيل فهو لهم فاجتمع عليه منهم الوف وتوجه
الى دارفور لكنه لم ياتها من جهة المشرق بل اتاها من جهة
الجنوب وقبل وصوله كتب الى الخليفة كتابا يقول فيه مز عبد
الرحمن سلطان دارفور الى ولد اخيه اسحاق اما بعد فانى
اعزيك فى والدك وان كان اخى لانك اقرب منى اليه واوصيك
ببر الوالدين فاذا علمت هذا فاعلم انى عمك وحرمتى كحرمة ابيك
وعار على الولد ان يصادر اباه اوعمه فضلا عن ان يجرد فى وجهه
حساما فانهاك عن القتال واياك ان تستفزك رعونة الشباب
وتسمع قول المفسدين فيحولوا بينى وبينك ولك على عهد الله
وميثاقه ان أُقرك خليفة كما كنت فى ايام ابيك واجعلك ولى
عهدى كما كنت ولى عهد ابيك فاسمع قولى واحقن دماء المسلمين
وان خالفت حلت بك الندامة وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب
ينقلبون فلما وصل الكتاب الى الخليفة وعلم ما فيه كتب الى
السلطان عبد الرحمن بعد السلام اما بعد فانى عاهدت الله
تعالى ان لا اطأ غير بساط ابى وانا ولى عهده ولا حق لك على

وان قاتلتنى فانا مظلوم والسلام ثم جهز له جيشا كثيفا
لنظر الحاج مفتاح داداه واكبر عبيده فتلاقى هو وجيش السلطان
عبد الرحمن فى محل يقال له تَبَلْدِيَة فكان مع كل انسان من جيش
السلطان عبد الرحمن سَفْرُوك والسفروك قطعة من العصى
صورتها هكذا فحين التقى الجمعان القى جماعة السلطان
السفاريك على جماعة الخليفة وقالوا الله اكبر ففروا وتبعهم جماعة
السلطان ياسرون وياخذون الاسلاب والخيول وتبعهم
العرب ايضا فاغتنموا منهم غنيمة عظيمة ونجا الحاج مفتاح وفَلّ
من اصحابه براس طَمْرة وحين دخل الحاج مفتاح على الخليفة قال
له ما وراءك قال يا سيدى انى ناصح لك صالح عمك وان طلب
منك مالا فاعطه اياه واجعلنى اول ما يعطى فانا فداوك فلما
سمع الخليفة منه هذا الكلام زجره وقال رجعتَ الى اصلك
يا عبد السوء لكن اللوم علىّ فى ان اقدمك على العساكر ثم ان
الخليفة حشد الحشود وفتح الخزائن وفرق الاموال واعطى
الاقطاع فجمع جيشا عظيما لا اول له ولا اخر وبرز يؤمّل النصرة
على السلطان فوصل الى محل يقال له تَالْدَوَا فادركه السلطان
هناك ولما عاين كل منهما صاحبه رتّبا جيوشهما وصفّا صفوفهما

وكان

وكان مع جماعة الخليفة رجل من الملوك يقال له بحر الجبّاى وهو الذى
يجبى الغلال للسلطنة ومعه اتباعه ما ينوف عن عشرة الاف من
الخيل خلاف الرجالة فلما تلاقى الجمعان اخذ جماعته وزحف على جيش
السلطان عبد الرحمن كانه يريد قتالهم ودخل فيهم والصق نفسه
بهم وبقى يقاتل الخليفة فترك فى صفوف الخليفة ثلما عظيما وفرجة
ما قدروا على سدها فانكسرت قلوب عسكر الخليفة بما فعل
الملك بحر والتحم القتال فلم يكن الا كلمحة بارق حتى تقهقر جيش الخليفة
وحين راى الخليفة ذلك خرج يقاتلهم بنفسه فكان كل من عرفه
يعرض عنه اكراما له ولابيه ومازال يفعل كذلك حتى راى جيشه انهزم
وبقى هو فى نفر قليل فلحق بجيشه فراى قد قتل اكثره وتبعتهم عساكر
السلطان يا سرون ويسبون حتى امسى المساء وحكى لى من كان
حاضرا انه وقت التحام القتال بينهما راى النجوم فى السماء وكان الوقت
ضحى ولقد شاهدتُ محل الوقعة فرايته جدبا فى وقت الربيع فسالت
عن سبب ذلك فقيل لى انه لا ينبت فيه نبت لما سال فيه من
الدما ثم ان الخليفة توجه باصحابه الى الجهة الشمالية وترك السلطان
بالجهة الجنوبية ولما انفرد الخليفة عن السلطان وابعد عنه ظلم
وتعدّا وجار وصار يخرج الناس معه قهرا عليهم وكلما عثر بجواد ؟

اخذه او بمال استاصله فاجتمع له بذلك مال عظيم وخلق كثيرون
وعظم شره واستغاثت الناس منه الى السلطان فاراد ان يتوجه
اليه بنفسه فمنعه ارباب دولته فكتب له كتابا يقول فيه بعد ما
يليق فانك طغيتَ وبغيت وظلمت وتعدّيت وقد نصحتُك اولا
ان تحقن دماء الناس فابيت وكان منا ما كان والان فقد تعنتَّ
على قتالنا بظلم العالم ونهب اموالهم وانا انصحك ثانيا ان تترك
ما انت عليه من الرعونة والجبر والعتو فان رجعت الينا ثانيًا
قبلناك وجعلنا لك ما جعلناه اولا وان ابيت فالاثم عليك وانت
المذموم وان اصررتَ على القتال فالرعية لا ذنب لها فعف نفسك
عن اموال الناس وها هو مالي بين يديك خذ منه ما شئت حتى
يحكم الله والسلام فلما وصل اليه الكتاب وعلم ما فيه مزقه ولم
يرد له جوابا وزاد شره وكثر شاكوه فارسل اليه ملك الجهة
الشمالية ويسمى بالتكنياوى في جيش فذهب اليه التكنياوى
فادركه في محل يقال له بوّا فحين راى الخليفة الجيش قد اقبل رتب
صفوفه ووقف حتى وصل اليه الجيش والتقى الجمعان وكان جيش
الخليفة قد اثّر فيه الرعب من وقعة تالدوا فاراد الانهزام
فثبّتهم الخليفة واقتحم الحرب بنفسه هو وجماعة من تربه

فكان

فكان كلما حل في جهة يفرون منه حياءً لا خوفا حتى دخل في القلب
ووصل الى التكنياوى فقال له يا عبد السوء الست عبد ابى
تغدر وتقاتلنى وجرّد حسامه وضربه حتى قتله وحين خر قتيلا
تشوش صفه وانهزم جنده وتبعهم عسكر الخليفة فاخذوهم
قتلا واسرا ونهبا ولم ينج من الفل الا القليل وغنم الخليفة خيلهم
وسلاحهم وما كان معهم فانجبر خاطره وامل النصرة على عمه وتقوى
بما حصل له من الغنيمة وبلغ ذلك السلطان عبد الرحمن فاغتاظ
ثم ارسل اخاه ريفا مع جيش اخر فادرك الخليفة في بوّا ايضا وحين
راءه الخليفة رتب صفوفه وعبّا عساكره وكان قد اعدّ كمينا في
محل منخفض وقال لهم اني اتقهقر بالعساكر وهم يطمعون فيّ
ويأتون خلفي فاذا رايتموهم فعلوا ذلك فاصبروا حتى تروهم
امامكم ثم كنوا من خلفهم وانزلوا فيهم واثخنوا فيهم ونحن نرجع
عليهم فنكون امامهم وانتم خلفهم فلا يفلت منهم احد وكان الامر
كذلك فحين التقى الجمعان تقهقر جماعة الخليفة فظن جماعة
السلطان انه انهزم فاوغلوا فيهم حتى صاروا امام الكمين وهم
لا يعلمون فخرج الكمين عليهم واثخنوا فيهم بالقتل وكر الخليفة
راجعا فتضعضع جيش السلطان واختل امرهم وتشوش

صفهم وقتل باسى ريفا اخو السلطان امير الجيش وقتل اكثر
الجيش ولم ينجُ منهم الا القليل وحَ قَوِيَت شكيمة الخليفة
وطمع في ان يرجع الى السلطان ويقاتله وما علم ان الامور بالخواتيم
ولما سمع السلطان بموت اخيه ريفا اغتم غما شديدا ولام نفسه
على القعود عن الحرب وقال لو لم اسمع كلام الناس وتوجهت
بنفسى لم يحصل هذا الامر وكان امر الله قدرا مقدورا ثم ارتحل
من يومه وقصد جهة الخليفة بجيش يسدّ السهل والوعر
وجاءت عيون الخليفة فراوا جيش السلطان وما فيه من العساكر
التى لا يقدر الواصف على وصفها والعادّ على حصرها واسرعوا
بالخبر اليه فخاف على نفسه وجماعته فاصبح راحلا قاصدا بلاد الزغاوة
لان ملكها خاله يريد ان ينزل عليه ليمده بجند من عنده فسار
يقطع الارض ليلا ونهارا والسلطان على اثره لان الجواسيس
اخبروه بقصده فخاف السلطان انه اذا وصل الى زغاوة يمده خاله
بجيش ويعسر امره ويطول الحال بينهما فجد فى طلبه حتى ادركه
بمحل يقال له جَرْكُو وكان فى طليعة جيش السلطان الامين محمد
دُكّمِى بن الامين علِى ود جامع الذى سمّ نفسه فى كُرْدُفال كما سبق
فلما التقى الجمعان ظن الخليفة ان الجيش هذا فقط فكر راجعا

عليهم

عليهم وناوشهم القتال وقاتل بنفسه ففرت الناس امامه حتى
وصل الى الامين محمد دُكُّمِي فوقف امامه وصار يضربه بالسيف
ويقول له يا عبد يا خائن يا غدار الك عين ترفعها تخون نعمتى
ونعمة ابى وتاتى لقتالى والامين ساكت لا يتفوه بحلوة ولا
مرة لكن كان لابسا درعين فلم يعمل سيف الخليفة فيه شيا فلما
اعيى الخليفة امره تركه واراد ان يذهب فصبر عليه الامين
محمد حتى التفت وضربه على عاتقه الايمن بالسيف وكان ذا قوة
فكسر عظم ترقوته وانكسر السيف من مقبضه وطار في المجال
فخدرت يد الخليفة وارخى ذراعه وعلم بذلك الامين محمد فطمع
فيه واراد ان يقبض عليه فادركته جماعته فخلّصوه منه وانهزم
حينئذ جيش الخليفة وتبعه الامين محمد بجيشه وارسل السيف
المكسور الى السلطان عبد الرحمن يعلمه بما وقع فارسل السلطان
في الحال للامين محمد سيفين عظيمين محلّيين وامره بالمسير
خلفه وانه على اثرهم وكان ح بالعسكر رجل من ابناء العرب
يقال له زَبَادِى قيل انه من فلّاحين مصر وكان يصطاد بالبندق
ويصيب فتجاسر على السلطان وقال له يا مولاى ان ارحتك
من عدوك في هذه الساعة فماذا يكون لى عليك قال السلطان

عبد الرحمن له اذا ارحتني منه لك عليّ مائة راس رقيق فقال
ارسلني الى الامين لاكون في عسكره وترى ما يصير اليوم فارسله
في الحال الى الامين بكتاب من عند السلطان يقول له فيه ان
زَبَادِي قد التزم براحتنا من عدونا والتزمنا له الجزاء في ذلك
وطلب ان يكون في عساكرك فها هو واصل اليك فان التمس
منك شيا فساعده واكرمه واني على اثركم وركب زبادي على
هجين ولحق بعسكر الامين فاعطاه امر السلطان فقراه ورحب
به وسار في الجيش وبالامر المقدّر ان الخليفة آلمه ذراعه واراد
ان ينزل للراحة فمنعه ارباب دولته عن النزول فقال لهم ولِمَ
تمنعوني فقالوا ان الامين محمد قافٍ اثرنا بجيشه والقتال بيننا
وبينه دائر فغضب وقال الم يرجع عنا فقالوا لا فكر راجعا
على عسكر الامين فتعرضوا له ايضا فقال ولابد وبينما هو
ينازعهم على الرجوع ويلاطفونه في الترك اذ جاء زبادي وتامل
الخليفة وعرفه واخذ عليه النيشان واطلق البُنْدُقِيّة فاصابته
قيل في صدره وقيل في راسه فخر فاسندوه ومشى قليلا وصار
يجود بنفسه فحين راى ارباب دولته انه يجود بنفسه نصبوا
له سرادقا وادخلوه فيه ووقف الجيش يذبّ عنهم والقتال دائر

بين

بين فريقين حتى وصل الامين فراى العسكر وقوفا ونار الحرب تستعر فسال عن الخبر فقيل له ان الخليفة اصيب بالرصاص وهو يجود بنفسه ويعجز عن الحركة فنصبوا له هذا السرادق ووقف جيشه يذب عنه فقال اما اذا كان الامر كذلك فاتركوا القتال واحيطوا بهم حتى ننظر ما يكون وارسل الى السلطان يعلمه ان الخليفة اصيب برصاصة من زبادى وهو يجود بنفسه فان كان يمكن مولانا ان يحضره قبل ازهاق روحه فليفعل وبعد ذهاب الرسول الى السلطان بقليل قضى على الخليفة واعلن بالبكا ونزل الجيش الذى كان يقاتل من ظهور الخيل وكذا نزل جيش الامين مفرد

من البسيط — لا يامن الدهرَ ذو بغيٍ ولو مَلِكا ‌ جنودُه ضاق عنها السهلُ والجبلُ

مفرد لكاتبه

من الكامل المجبون — لا يمنع الجيشُ الكثيف من الردا ‌ ولا يمنع المقدورَ برجٌ مشيّدُ

وبعدها بقليل حضر السلطان وجيشه فاخترق الصفوف وحين رآه جيشُ الخليفة اعطوه الطاعة فدخل السرادق هو والامين محمد وجماعة من ارباب الدولة وكشف الغطاء عن وجه الخليفة وبكى بكاء شديدا وقال يا ولدى انت فعلت هذا بنفسك ونصحناك

فلم تقبل وكان امر الله قدرا مقدورا ثم التفت الى ارباب دولة
الخليفة وقال لهم لقد زينتم القتال لولدى حتى قتلتموه أَمَا فيكم
ذو عقل يكفّه وينصحه فحلفوا كلهم انهم بُرآء مما كان فيه وانهم
نصحوه فلم يقبل وقالوا له يا سيدنا نحن تقلدنا نعمته وقاتلنا
عنه حتى قضى الله فيه وما خُنّاه وان انت قبلتنا نقاتل عنك
كذلك ولو خناه وخدمناك لخونك ايضا فعرف صحة قولهم وقال
قد عفوتُ عنكم فمن اراد ان يكون معى منكم فهو على رتبته
ومقامه ومن ابى يلقَ خيرا ثم امر بدفن الخليفة فى ذلك المحل وابى
يدفنه فى مقبرة الملوك وقال هذا عاقٌّ لا يُدفَن فى مقابرنا فدفن
هناك واقام السلطان بقية نهاره وليلته واصبح قافلا الى
الفاشر محفوفا بالنصر مستبشرا بذهاب عسكر كانّ ابا الطيب
رآه على تلك الحال حين انشد وقال

من الكامل

سر حيث شئت حلّه الانوارُ ... واراد فيك مرادَه الاقدارُ
واذا ارتحلت فرافقتك سلامةٌ ... حيث اتجهت وديمةٌ مِدْرارُ
وصدرتَ اغنمَ صادرٍ من مَوردٍ ... مرفوعةً لقدومك الابصارُ
انت الذى لهج الزمان بذكره ... وتزيّنتْ بحديثه الاسمارُ
واذا تنكّر فالفناءُ عقابه ... واذا عفا فعطاؤه الاعمارُ

ولـه

وله وان وَهَبَ الملوكُ مواهبٌ   دُرّ الملوكِ لدرها اغبارُ
لله قلبك لايخاف من الردى   ويخاف ان يدنو اليك العارُ
وتحيدُ عن طبع الخليقة كله   ويَحِيدُ عنك الجحفل الجرّارُ
يامن يعز على الأعزّة جارُهُ   ويذل فى سَطَواته الجبّارُ
كن حيث شئت فما تحول تنوفةٌ   دون اللقآء ولايشُطّ مَزَارُ

وكان الفاشر اذذاك بالمحل المسمى قرلى وكان فاشر السلطان تيراب بالريل وفاشر الخليفة بجديد راس الفيل ثم انتقل بعد ذلك وجعل الفاشر بالمحل المسمى تَنْدَلْتِى وهو فاشر ابنه الآن ولم يعهد للفور اقامة فى فاشر كاقامتهم فى فاشرهم هذا المسمى تندلتى ولما اراح قلبه من قتال الخليفة وسكن جاشُه نظر فى امر الرعية فابطل المكوس ورفع المظالم وولّى المناصب وانتبه لعمار البلاد ورفاهية الحال وقطع الاعلان بشرب الخمر والزنا وامن الطرق وكانت مخوفة فبعد ذلك صارت امْنا حتى ان المراة كانت تسافر من اقصى البلاد الى ادناها محملة من الحُلى والمتاع لاتخشى الا الله وكثرت التجارات وتتابع الخصب واظهر العدل التام فكان لا يُكرم ظالما ولا يعينه ولوكان من ذوى قرابته ولقد اخبرنى الثقة ان اعرابيين تعرضا له يوما وكان

قادما من الصيد فقال له احدهما انا مظلوم يا رشيد الله يخليك
يا رشيد انا مظلوم ومن عادتهم ان المظلوم اذا جآء امام
السلطان يضع اصبعي يده اليمنى اى السبابة والابهام على
شدقيه ويرددهما مع اخراج صوت عالٍ فيه كاف واحدة ورآءات
كثيرة مضمومة فيخرج من فيه صوت يقال له الكَرُورَاك وهذا
الصوت لا يصوته به احد الا اذا كان اصيب بمصيبة فكان
الاعرابى يصوت كذلك ويقول بعد كل صوت الله يخليك يا رشيد
انا مظلوم وشُغِل عنه السلطان إمّا لامر قام به اولانه لا
يسمعه لكثرة الطبول والغنا واصوات الجند فكَرُورَك الاعرابى
مرارا فلما لم يجبه السلطان قال له صاحبه خلّه عنك رشيد لنفسه
لا لك فسمعه السلطان فوقف وسال الاعرابى عما قال فقال ان
اخى هذا كَرُورَك مرارا واشتكى لك وهو ينادى يا رشيد انا مظلوم
فلما لم تجبه قلت له خله فانه رشيد لنفسه غير رشيد لك
فضحك السلطان وقال بل انا رشيد لك ايضا قل لى من ظلمك
قال ظلمنى باسى خَبِير وكان باسى خبير من اقاربه فقال وما اخذ
منك قال اخذ منى خمس نياق فوقف مكانه ودعا باسى خبير وساله
فاعترف فامر ان يدفع له عشرة نياق خمسا حقه وخمسا تاديبا

له

له فدفعها وذهب الاعرابيان وهما في غاية الغبطة والسرور
وفي ايامه تلك نصب محمد كرا في منصب الاب الشيخ وهو اجل
المناصب هناك صاحبه مطلوق السيف له دولة كدولة السلطان
وشارات كشاراته ومن عادة هذا المنصب لا يتولاه الا خصي
لانه يخشى من غير الخصي اذا تولاه وقويت شكيمته ان يصادر
السلطان ويطلب الملك لنفسه وبعد تولية الاب الشيخ محمد
كرا وجّهه الى البلاد فنزل في ابي الجُدُول وسلك طريق العدل في العالم
وضبط الامور حتى انه قتل اناسا كثيرين لما وقع منهم من الظلم
ولما ظهر عدل السلطان وحبه للعلماء واهل الفضل والاشراف
وفد عليه الاشراف والعلماء من جهات عديدة فكان اول وافد
عليه والدي عليه سحائب الرحمة والرضوان وكان حين قدومه
الى دارفور نزل بكُوبَيْهْ على الفقيه حسن ود عَووضة وبلغ اهل
كُوبَيه انه جاءهم رجل عالم من تونس فاجتمع عليه اكابرهم كالفقيه
محمد كَرْيَتيم والشريف سرور بن ابي الجُود وعبد الكريم بن الفقيه
حسن ود عَووضة واضرابهم وطلبوا منه قراءة مختصر الشيخ
خليل فقرأ لهم منه ربع العبادات ووصل خبره الى الفقيه مالك
الفوتاوي فاعلم به السلطان فارسل اليه فذهب له فاكرمه

واعطاه عدة جوارى وامره ان يكون عند الفقيه نور الانصارى
زوج ابنته المير مرحوآء وكان رجلا من سلالة الانصار محبا
لاهل العلم وفيه فقه فقرا على والدى نبذة من صحيح البخارى
واعلم السلطان بعلميته وانه ماهر فى العلوم العقلية والنقلية
فاحضره لديه وقرا عليه فى شهر رمضان جزء من الحديث
وتعلقت به امال الفقيه مالك فامر اولاده ان يحضروا عليه
فحضر عليه من اخوانه الفقيه ابراهيم والفقيه مدنى والفقيه
يعقوب ومن اولاده الزاكى والسنوسى ومحمد جلال الدين
وابن اخيه الفقيه محمد البركاوى وحضر عليه الفقيه حسين
ود تورس وامره السلطان ان يكتب على الخصائص التى الف
متنها مغلطاى التركى فكتب عليها شرحا عظيما نحو ستة
عشر كراسا سماه الدرة الوفية على الخصائص المحمدية وساله
شرح على مختصر الشيخ خليل المالكى فى الفقه فكتب عليه
شرحا فى مجلدين سماه الدر الاوفاق على متن العلامة خليل
ابن اسحاق وكتب على الاجرومية شرحا كبيرا ادخل فيه نحو
ماينى بيت من الفية ابن مالك فاتى مجلدا ضخما ثم اختصره فى
كراريس وكتب على السلم المرونق شرحا لطيفا فى كراريس والف

رسالة

رسالة في علم الكتو ووفد على السلطان عبد الرحمن الفقيه
الزاهد الناسك الشيخ التمرو الفلاني ووفد عليه الفقيه النبيه
الشيخ حسين عمّارِي الازهري ووفد عليه من اشراف مكة
الشريف مُساعد يقال انه من اولاد الشريف سرور وكان قاضيه
الفقيه النزيه الشيخ عز الدين الجامعي وهو قاضي القضاة بدار
فور واعمالها وكان السلطان عبد الرحمن جوادا كريما عادلاً عفيف
النفس وكان وسط القامة شديد السواد قد وخطه الشيب
ابح الصوت شديد الغضب سريع الرضا ذا تدبير حسن فمن
حسن تدبيره انه لما دخلت الفرانساوية مصر وهرب الغزّ
عنها توجه الى دارفور منهم كاشف يسمى زوانة كاشف قيل انه من
مماليك مُراد بيك او هو احد كشاف الألفي ومعه اكثر من
عشرة مماليك ومعه امتعة زائدة وجمال وخدم وطباخ وفرّاش
وسياس واخذ معه مدفعا وهاون بُنبُخين حل بدارفور اكرمه
السلطان عبد الرحمن واحسن ملقاه وانزله نزلا حسنا واجرى
عليه من الارزاق شيا كثيرا حتى صار لا يعرف رقيقه لكثرته ثم
طلب من السلطان ان يبني بيتا كبيوت مصر فاذن له في ذلك
فضرب الأجرّ واستخدم العبيد في قطع الاحجار وصنع بيتا

جميلا وسوره بسور وجعل السور عريضا وجعل فيه مزغلتين
مقابلتين لبيت السلطان يضع في احداهما المدفع وفي الاخرى
هاون البنب وكان محل هذا البيت اعلا من محل بيت السلطان
بحيث كان يرى السلطان حين يدخل وحين يخرج فسولت له
نفسه ان يقتل السلطان ويملك البلد بان يرصد وهو داخل
اوخارج ويطلق عليه مدفعا يهلكه به لكن خاف ان قتل السلطان
لا يطعوه اهل المملكة وارباب الدولة فاحتال ان اجتمع بالفقيه
الطيب ود مصطفى وكان هذا الفقيه وزير السلطان تيراب
وصهره اعني ان السلطان تيراب كان متزوجا باخته واتت
منه بولد فلما اجتمع عليه زوانة كاشف فشى سره له بعد ان
عاهده على الكتمان وقال له انه قد بلغني ان ابن اختك ابن
السلطان واريد ان تجعل يدك معي فنقتل هذا ونولي ابن اختك
وتصير المملكة بيننا فرضي الفقيه الطيب بذلك ثم قالوا ان
هذا الامر لا يتم لنا الا بادخال بعض الناس الذين تكون لهم عساكر
فقال زوانة ذاك اليك وانت اعرف الناس به فصار الفقيه
الطيب يخادع الناس وياتي بهم الى الكاشف والكاشف يعطيهم
الاموال ويحلفهم ان يكونوا معه حتى ادخلوا في امرهم عدة

رجال

رجال واتفق ان رجلا من الامرآء خادعه الفقيه الطيب وجآء به
الى الكاشف فاعطاه عطية سنية واطلعه على حلفه على الكتمان
فحلف واخذ العطاء وتوجه به الى السلطان واطلعه على جلية
الامر وحقيقته فقال له السلطان خذ عطاءك واذهب وكن
معهم على ما انت عليه واياك ان تخبر احدا انك اتيتني ولما كان
من الغد جآء زوانة الكاشف الى بيت السلطان فاكرمه اكثر مما
كان يكرمه واعطاه في ذلك الوقت مائة عبد ومائة جارية ومائة
ناقة ومائة جرة سمنا ومثلها عسلا ومائة حمل دخنا وكساه
كشميرا احمر وجوخة حمرا وقلده سيفا واعطاه جوادا سرجه
من ذهب وتوجه الكاشف الى منزله مغتبطا بما حصل له من
السلطان وقال هذه اموال ساقها الله الي استعين بها على
هذه المصلحة ولما امسى المسآء وكان بعد العشا امر السلطان
باحضار ملك من الملوك بعسكره وامره ان يقف حتى يرى الكاشف
دخل دار السلطان يعقبه ويضبط جميع ما في بيت الكاشف من
الاموال وحذره عن ان يفلت منه شي ثم ارسل للكاشف غلاما
يقول له ان سيدي جلس للسمر وقد اراد ان تحضر مجلسه الآن
ورتب عبيدا للقبض عليه عند امر السلطان به فذهب

الغلام واخبره بمقال السلطان فحضر معه ولما دخل على السلطان
اكرمه وكان معه بعض من الخدم دخلوا معه بابين ومُنِع ان
يدخل من الثالث وقيل له اصبر هنا حتى ياتي سيدك فكدس
مكانه وجلس السلطان يتحدث مع الكاشف حتى فاتت من الليل
حصة فقال السلطان انى جايع والتمس ما يوكل فأُتى بلحم نيص
اى حنيذ غير مقطع فالتمسوا سكينا فلم يجدوا فاخرج الكاشف
سكينا كان معه واراد ان يقطع اللحم فحلف عليه بعض الحاضرين
ان لا يفعل وانه هو الذى يقطع فاخذ منه السكين وصار
يقطع بها فاخرج الكاشف الخنجر فاخذه اخو امر السلطان
بالقبض عليه فلما قبض عليه قال له السلطان اى ذنب جرى لك
منى حتى انك تريد قتلى وتغوى عساكرى وتخادعهم فقال اقلنى
فقال لا اقالنى الله ان اقلتك وامر بذبحه فى الحال فذبح كالشاة
وفى الحال جيئ بامواله وما كان عنده من رقيقه وغيره حتى لم يبق
فى البيت شى وامر السلطان بهدم بيته فهدم ومُحِيَت
رسومه وكانه لم يكن وقبض على اتباعه فى تلك الليلة وباتوا
محبوسين ولما اصبح الصباح دعا بهم السلطان فحضروا فعفى
عنهم واطلقهم وامّر عليهم خازندار الكاشف وكان يسمى

يوسفا

يوسفا وثم تتبع جميع من تعاهد مع الكاشف وقبض عليهم
واحدا بعد واحد حتى لم يبق منهم احد وكان اخرهم الفقيه الطيب
فانه قبض عليه وقتله اشر قتلة وسجن ابن اخته سجن الدوام
الى ان يموت وكيفية القبض على الفقيه المذكور انه ارخى له العنان
وبذل له الاموال واظهر له الود التام بحيث ان الفقيه الطيب
لم يخطر بباله ان السلطان معه علم بانه كان مع زوانة كاشف
ومضت على ذلك مدة حتى كان في بعض الايام حضر الفقيه الطيب
دار السلطان وكان السلطان جالسا في ديوانه وحضرت له
ابل موقورة عسلا فاعطاها للفقيه الطيب وامر له بكسوة فاحضر
له كشميرا احمر وكسوة جليلة فلبسها ودعا للسلطان بدوام
العز وجلس ومن عادة ملوك الفور اذا كسوا انسانا كسوة
حمرا فانهم في غضب عليه ولا بد ما يقتلونه وتذكر السلطان
ما كان منه ونفاقه مع الكاشف في اخر المجلس فالتفت الى الحاضرين
وقال لهم اشهدكم بالله هل هذا الفقيه في ايام اخي ارفه حالا واكثر
مالا ام هذا الوقت فقالوا كلهم لا والله بل في هذا الوقت ارفه
واغنى وانفذ كلمة فقال السلطان سلوه ح لم خانني وتواطأ
مع الكاشف على قتلي وخراب داري فسئلوه فاقسم على السلطان

بالله العظيم ان يقتله ولا يكلفه جواب هذا السوال لان الموت
عنده اهوَن من ذلك فابرّ السلطان قسمه ح وامر فذبح كالشاة
واخذ جميع ما عنده من الاموال والضياع ولم يفلت منه شى
وقد سمعت انه ارسل العساكر لاخذ ماله من ضياعه قبل ذلك
بمدة وعين لهم ان يكبسوها فى ذلك اليوم بعينه خوفا ان
يطيش الخبر ويفلت منها شى وذلك كله من سعادته ومن
سعادته ايضا ان جميع من رامه بسوء يخذل ويمكّنه الله منه
ومن ذلك ما حصل من ايا كُرى كنانة ام حبيب المتقدم ذكرها
وذلك ان السلطان تغافل عنها ولم يفِ بما وعدها به إمّا
لامر قام به او خوفا على نفسه منها او من ولدها فلما رأت
تغافله لها وكانت فى دار السلطان وابنها حبيب متاهّل فى
دار له عقدت له بالمكاتبة مع بعض الملوك عقدا واتفقت
معه ان يساعد حبيبا ليتولى سلطانا خصوصا قد انقطع
املها حين رأت ان السلطان ولدَ له فخافت على ولدها لكن
السلطان وان كان تغافل عنها الا انه كان مبقيها فى منصبها
آمرةً ناهيةً مقاليدُ امور الدار كلها بيدها فلما نوت الغدر
بالسلطان استادنته فى ان حبيب يريد ان يصنع وليمة

واريد

واريد ان امده بطعام من هنا فاذن لها السلطان في ذلك
فصنعت الطعام وصارت تاتي بالجفنات وتضع الدروع في
الجفنة ثم تجعل الطعام فوقها بحيث ان من يرى الجفنة لا يظن
ان فيها غير الطعام وكانت تضع في واحدة دروعا وفي اخرى
سيوفا فاخرجت ما يزيد عن مائة جفنة بهذه الصورة ثم مكثت
مدة ايام واستاذنت له في وليمة اخرى فاذن لها ولم يخطر
بباله شي مما في نفسها لانه كان سليم الصدر غير ظنّان بالسؤ
ففعلت كما فعلت بالمرة الاولى وبعد ايام ايضا استاذنته كذلك
وقبل ابراز الوليمة الثالثة كانت عندها بنت من بنات الاكابر
جميلة الصورة تربّيها فراها السلطان على حين غفلة فاحبها ونوى
في نفسه ان يخاطب اباها في شانها ويعقد عليها وكانّ ام
حبيب فهمت من السلطان ذلك فصارت توذيها لانها اعدتها
لولدها حبيب فلم تطق البنت الاذاية خصوصا وقد انكشفت
على غدرها بالسلطان وما تريد ان تصنعه معه فاختلست
نفسها وقابلت السلطان على خلاء واخبرته ان ام حبيب
اخربت خزينة السلاح والامتعة وان الولايم كلها مملوءة
بالدروع والسيوف وانها تعاقدت مع الملك فلان وفلان

بانهم يساعدوها على قتلك وتولية حبيب الملك وان كنت
في شك مما اقوله اقلب جفنة من الجفان التي تخرج في الوليمة
في غد فانك تعلم صحة قولي فقال لها السلطان ارجعي الى
مقرك واياك ان تقولي انك اعلمتيني بشي فرجعت وضاق
صدر السلطان لذلك واخبر بعض الخدمة ان اخبرني في غد
قبل خروج الوليمة الى حبيب واستكتمه فكتم وبقي الحال كذلك
حتى اصبح الصباح وصنعت الوليمة ونادت العبيد والجواري
برفع الجفنات فاخبره الخادم بان الوليمة قد تجهزت فدخل
فراى ام حبيب ترتبها للحمل فقال على رسلكم ثم قال ارفعوا الاغطية
واروني وليمة ولدي حبيب فرفعوا الاغطية فراى طعاما حسنا
فجاء الى جفنة فيها طعام يحبه وقال اتركوا هذه لي واجعلوا ما
فيها في اوان صغار لآكل منها انا وبعض اضيافي فقالوا سمعا
وطاعة وجاءت ام حبيب حين بلغها ذلك وقالت فداك
ابي وامي عندنا من نوع هذا الطعام كثير فليترك مولاي الجفنة
ونحن ناتيه بكثير منه فقال قد علمت وانما نفسي طلبت من
هذه ولعل ما تاتون به وان كان من هذا بعينه لا تتوق اليه
نفسي فلم تجد بدا من طاعته وقالت دع الخدم يرفع هذه

الجفنات

الجفنات واجبس انت هذه فقال لا بل حتى تفرغ هذه الجفنة وتملأ
كما كانت ويحمل كله مرة واحدة ولما جيئ بالاواني واغترف من الجفنة
ظهر الدروع من تحت الطعام فنادى يا ام حبيب ما هذا فخجلت
ولم تحر جوابا فعند ذلك امر بالقبض عليها وقلب جميع الجفنات
فوجد فيها كلها دروعا وسيوفا وريالات فرانسا ونحو ذلك
فقال لها اى ذنب وقع مني حتى دبرتي على هلاكي فلم ترد جوابا فامر
بقتلها في تلك الساعة فقتلت وفي الحال ارسل ملكا من ملوكه الى
بيت حبيب بعد ان دعا حبيبا اليه فحضر حبيب على حالة الطمانينة
فلما مثل بين يدى السلطان امر بالقبض عليه فوضع في المحبس
ثم ارسله تحت جنح الليل الى جبل مرة واستصفى ما عنده من
المال ورد الدروع والسلاح الى مقرها ثم قبض على جميع من تواطأ مع
حبيب ولم يبق منهم احدا وتمهدت اموره واستوزر الفقيه مالك
الفوتاوى لظن علميته وصلاحه وكان يدعى انه يعرف سر الحرف
وعلم الاوفاق مع انه كانت فيه عامية وكثيرا ما كان يظهر الورع
والصلاح ويبطن ضده وكنت اظن ذلك منه حتى حقق الله ظني
فيه في مجلس واحد وذلك انه لما ترقى الوزارة ادخل جميع قبيلة
الفلان التي بدارفور تحت امره وصار يذب عنهم ويحررهم عند

الدولة حتى صار لا يجبى منهم مال وكلما نهبوه من غيرهم من القبايل
يرد لهم حتى صاروا من اقوى القبايل واغناها فاتفق ان قبيلة
الفلان اغاروا على قبيلة المساليط وقتلوا منهم خلقا كثيرا ونهبوا
منهم اموالا جمة من بقر وخيل ورقيق وجاء رئيسهم وكان يسمى
بجد العيال واتى بخيل وبقر ورقيق من المنهوب هدية الى الفقيه
مالك ليذب عن القبيلة وكان في شهر رمضان وكان وقت العصر
والفقيه مالك اذ ذاك يقرأ في تذكرة القرطبي في صفة اهل النار
فاتى على قوله ولا زالت النار تقول يا رب زدني حتى يضع الرحمن
فيها رجله والرجل هي الجماعة من الناس وعليه قول الشاعر فربنا
رجل من الحي وانزوى البيت فقال ولا زالت النار تقول يا رب
زدني وكان من عادته ان يقول بعد كل كلمة اوكلمتين اي نعم قال
الكتاب فقال ولا زالت النار تقول يا رب زدني اي نعم قال الكتاب
ولا زالت النار تقول يا رب زدني اي نعم قال الكتاب حتى يضع
الرحمن فيها رجله اي نعم قال الكتاب والرجل هي الجماعة من الناس
اي نعم قال الكتاب وعليه قول الشاعر اي نعم قال الكتاب فربنا
رجل اي نعم قال الكتاب وكررها مرارا فقال له السنوسي
ولده يا ابو فربنا رجل فقال اي نعم فربنا رجل وكررها مرارا

وكنت

وكنت جالسا ولم يسعني السكوت فاخذت نسخة من رجل
بجانبي فرايت فيها فمر بنا رِجْلٌ من الحي البيت فقلت يا أَبَوْ فمر بنا
رِجْلٌ فقال لي اسكتْ انت الآن صغير عن هذا وامثاله مع ان
هذا هو الذي يصلح لان يكون شاهدا فسكتُّ ومن عامية
ما حكى لي والدي عليه سحائب الرحمة والرضوان ان السلطان
التمس من الفقيه المذكور ان يخطب يوم العيد فقصد والدي
ان يولف له خطبة فالفها وكتب في اخرها تمت على يد مولفها
الفقير الى المنّان عُمَر التنسي بن سليمان في يوم وسنة كذا واعطاها
اياه فلما كان يوم العيد صلّى بالسلطان ثم رقي المنبر فخطب
وبعد الخطبة قال تمت الى اخر ما كتب ولم يتفطن ان هذه الكلمات
خارجة عن الخطبة وكان من اغنى ارباب الدولة وكان له من الاقطاع
ما ينوف عن خمسمائة بلد وذلك غير اقطاع اخوانه ثم السلطان
اجل مقام الشيخ محمد كرا واعلا كلمته حتى صار لا تعلّى على كلمته كلمة
وبلغه ان هاشم المسبّعاوي ملك كردفال رجع اليها واخذها
من يد عامل السلطان فجهز جيشا كثيفا لنظر الاب شيخ محمد
كرا فتوجه الى كردفال واغنى غناء حسنا واخذ كردفال من يد
السلطان هاشم وقتل عساكره وشرّده في القفار واستوطن

كردفال مدة سبع سنين وفيها ارسل للسلطان اموالاجمة من
رقيق وذهب وغيره وسعى به بعض من اعداه الى السلطان
فارسل السلطان الامين محمد بن الامين علي ود جامع بجيشه اليه
وارسل معه قيدا وقال له خذ هذا القيد وقيده به وارسله مع جيشه
وكان ذلك امتحانا من السلطان فلما وصل الامين محمد الى كردفال
ظن في نفسه ان الاب شيخ محمد يعارضه او ينازعه فلم يفعل شيا
من ذلك بل حين وصل اليه قال له بماذا امرك السلطان قال
بتقيدك وارسالك اليه فقال سمعا وطاعة هات القيد فاعطاه
اياه فاخذه وقيد نفسه بيده ودعا الحداد وامره ان يسمّره
ويبرد عليه امتثالا لامر السلطان ففعل واصبح مسافرا
والقيد في رجليه حتى وصل الى دارفور وحين أُخبر السلطان
بقدومه ارسل له من ينزع القيد من رجليه وقال أَمَا قلت
لكم ان محمد كرا لا يعصا في ثم امره ان ياتي الى الفاشر في موكبه
فاتى على احسن حالة وخرج اليه السلطان واحسن ملقاه
وسوره بسوار من ذهب امام الوزراء والحاضرين وبالغ
في اكرامه ورده الى منزلته بل صار اعظم مما كان وكان هذا الفعل
من السلطان هو عين البخت التام لابنه محمد فضل فانه لما

توفي

توفى السلطان قام بامره الاب الشيخ محمد كرا ولولاه لما نظر
اليه احد ولاعَنَى به وكيفية ذلك ان السلطان لما ثقل به مرضه
دخل عليه الفقيه مالك الفوتاوى فوجد الاب الشيخ محمد كرا عندهُ
فقال له الفقيه مالك ياسيدى ان الوصية فيها خير عظيم وانك
فعلت مع الناس من المعروف مالا يوصف وكل وزرائك واهل
مملكتك راضون عنك فان وصيت بشى اظنه بل التحققه انه
ينفذ ولابد فاوصِ لعل ولدك ينتفع بوصيتك فقال ومن يتوكل
على الله فهو حسْبه فاعاد عليه الفقيه مالك هذا القول ثانيا فقال
هو ذلك ايضا فاعاد عليه ثالثا فقال ذلك ايضا فتركه بعد الثالثة
ثم قضى نحبه عليه سحائب الرحمة فحين توفى بكى عليه الاب والفقيه
مالك وبعد البكاء قال الفقيه مالك للاب ماذا انت صانع الآن
قال الاب سأُرِيك ما اصنع فقام من وقته ودخل الدار ودعا
بمحمد فضل وكان اكبر ولديه لانه لم يترك من الذكور الا محمد
فضل وبُخارِى ومن الاناث حَوَى وست النسآء وامّ سَلْمَى
فاقعد محمد فضل ولبسه الخاتم وعممه وقلده بالسيف واجلسه
على كرسى السلطنة وادخله فى حجرة وارخى عليه سترا وارسل فى
الحال الى جماعته فحضروا متقلدين سيوفهم شاكين السلاح فاوقفهم

على الابواب ورتب منهم جماعة يحرسونه ونفعه في ذلك
باب سركان بين بيته وبيت السلطان بحيث ان العساكر
دخلت منه ولم يشعر بها احد ثم ارسل الى اكثر الوزراء جماعة
واقواهم شوكة الملك ابراهيم ود رماد انسانًا يقول له ان
السلطان يامرك بالذهاب اليه فجآء فلما دخل الباب وجد
العساكر وقوفا فراعه امرهم ولم يجد بدًا من الدخول ولما وصل
الى محل السلطان وجد الاب شيخ محمد كرا والفقيه مالك جالسين
والسلطان بينهما مسجّى فلما رآه كذلك بكى ثم بعد استرجاعه
قال له الاب الشيخ ان السلطان قد تُوُفِّيَ فما ذا ترى فقال لا
ارى سوء رايك فقال له الاب اتعاهدني على ذلك قال نعم فحلفه
واخذ مواثيقه انه لا يتعدا رايه ثم رفع الستر وقال هذا السلطان
يعني محمد فضل فقال الملك ابراهيم وهو كذلك فقال قم فبايعه
فبايعه ح وجلس ثم ارسل الى الوزراء والملوك واحدا بعد واحد
وكلما جاءه احد فعل معه كما فعل بالملك ابراهيم حتى استوثق
من اكابر الدولة كلهم ولم يترك منهم الا من لا قوة له ثم اعلن
بموت السلطان وضربت طبول الحزن وسمعها اولاد
السلاطين فركبوا وجاوا شاكين السلاح هاجين على دار

السلطان

السلطان فراوا الامر مهولا والجند محيطا بها حارسا لها منهم
ومن غيرهم فلما لم يجدوا الى الدخول سبيلا ضربوا في البلاد
وصاروا ينهبون اموال الناس وتجتمع عليهم الفوغا حتى
صاروا في جند كثيف وثقلت وطاتهم وعظم شرهم فجهز
لهم الاب الشيخ جيشا لنظر الملك دلدن الذي اسلفنا ذكره
وهو ابن عمة السلطان محمد فضل فخرج اليهم واوقع بهم
وانهزمت الفوغا الملتفة عليهم وقتل منهم كثير وظفر باولاد
السلاطين وجيئ بهم الى الاب مصفدين فارسلهم الاب الى
السجن في جبل مرة وسكنت الفتنة وتمهدت الامور ثم
امر السلطان بالقراءة وطلب العلم لصغر سنه وعدم خبرته
بالامور فثقل ذلك عليه ولم يجد بدا من الامتثال فكابد مشقة
التعليم نحو سنتين وقتل الشيخ محمد كرا في تلك المدة بعض
الملوك لفتنة وقعت منهم ورمى بعضهم في السجون وكلهم
من أُسرة السلطان وعصابته وولى مناصبهم لجماعته فثقل
ذلك على ارباب الدولة وخافوا شره فاغروا السلطان على
قتله او سجنه فوقع بينهما الحرب وقتل كما قدمنا ذلك كله
والله اعلم المقصد وفيه ثلاثة ابواب الباب

الاول في صفة دارفور واهلها وعوائدهم وعوائد
ملوكهم واسمآء مناصبهم ومراتبهم وفيه خمسة
فصول الفصل الاول في صفة دارفور اما دارفور
فهو الاقليم الثالث من ممالك السودان وذلك ان للقادم من
المشرق الى بلاد السودان اول مملكة واقليم يعرض مملكة سنّار
ثم كُرْدُفَال ثم دار الفور فظهر انها الاقليم الثالث وبحسب
ذلك اقليم وَدَاىْ هو الرابع والبَاقِرْمَهْ الخامس وبَرْنَوَ السادس
وأَدِقِزْ السابع ونُفَهْ الثامن ودار تُنْبُكْتُو التاسع ودار مَلَّا
او مَلَّى العاشر وهي قاعدة مَلِكْ الفُلَّان وهم الفَلَّاتَا كما ذكرنا واما
الذي ياتي من المغرب فانه يعدّ مَلَّا الاول وتنبكتو الثاني ونُفَه
الثالث وهكذا واعلم ان القُدَماء يطلقون على بعض اهل السودان
اسم التكْرُور ويعنون به اهل مملكة بَرْنَوَ لكن الآن قد عمّ هذا
الاسم على ممالك متعددة اولها دار وَدَاىْ او وَدَاى المعروفة
ايضا بدار صَلَيْحْ واخرها بَرْنَوَ فيدخل في ذلك باقِرْمَهْ وكَتَكُو
ومَنْدَرَهْ فيقال لاهل كل منهم تَكْرُور حتى انه صار عرفا بينهم
ولقد لقيتُ منذ ايام رجلا من اهل السودان فسالتُه من
اين انت فقال من التكْرُور بل اظنه قال تَكْرُورِي فقلت من اي

من

من التكارير فقال من باقِرْمَه لكن لم يخبرني الا بعد مشقة ظنا
منه اني لا اعرف تلك الجهة فلما اخبرني وسالته عن بعض مواضع
منها تعجب تعجبا عظيما وأَلْآنَ القول وحدّ الفور من جهة الشرق
اقصى الطُوِيشَة ومن الغرب اخر دار المَسَالِيط يعني مملكة المساليط
واخر دار قِمِرْ واول دار تَامَه وهو الخلآ الكائن بين دار صَلَيْح وبينها
ومن الجنوب الخلآ الكاين بينها وبين دار فَرْتِيتْ ومن الشمال
المَزْرُوب وهو اول بئر يعرض لمن يتوجه لها من الديار المصرية
وتتبعها عدة ممالك صغيرة فمن الشمال مملكة الزَغَاوَة وهي
مملكة واسعة وبها خلق لا يحصون كثرةً ولهم سلطان وحدهم
ولكنه بالنسبة الى سلطان الفور اشبه بقائد من قواده ومن
جهة الشمال ايضا مملكة المِيدَوب والبَرّتي وهما مملكتان كبيرتان
الان اهل الثانية اكثر من اهل الاولى ومع كثرتهم اكثر انقياداً
لسلطان الفور من المِيدَوب وفي خلال دار فور مملكة البِرْقِد
ومملكة بَرْقَو والتُنْجُور ومِيمَهْ الان مملكة البِرقِد والتُنْجُور في
الوسط ومملكة البُرّقو والمِيمَه من جهة الشرق ومملكة الدَاجو
والبِيقَو من الجهة الجنوبية وكذا مملكة فَرَاوُجَيهْ ولكل من هذه
الممالك حاكم يسمى سلطانا لكن يوليه عليهم سلطان الفور وكلهم

على نسق واحد في الهيئة والملبوس الا ملك التنجور فانه يلبس
عمامة سودا وسالته عن سبب سواد عمامته فاخبرني ان
اصل مملكة دارفور لاجداده وتغلب عليها سلطان الفور فلبس
العمامة السودا اشعار بحزنه على فقد مملكته وقد احاط بجانبها
الشرقي والجنوبي كثير من عرب البادية كالمسيرية الحمر والرزيقات
والفلّان وكل قبيلة من هذه القبايل لا تحصى كثرةً وهم اهل بقر
وخيل واثاث واكثرهم اهل ثروة لا يالفون الحاضرة بل يتبعون
الكلأ اينما كان ويلحق بهم القبيلة المسماة ببني حلبة لانهم اهل
بقر ايضا لكنهم يتوغلون في دارفور ويزرعون واما اهل الابل
منهم الفزارة وهم المحاميد والمجانين وبنو عمران وبنو جرار
والمسيرية الزرق وغيرهم وعلى كل من هذه القبايل ضريبة ياخذها
السلطان من اموالهم في كل سنة لكن في ذلك تفاوت اما المسيرية
الحمر والرزيقات لقوتهم وتوغلهم في الخلآء فلا يعطون للسلطان
الا اقبح اموالهم ولا يقدر العامل ان ياخذ من كرائمها الا برضاهم
وان تاقت نفسه الى ذلك طرد وربما قتل ولا يقدر السلطان
لهم على شيء ولقد بلغني ان الرزيقات عصوا امر السلطان تيراب
وجهز لهم جيشا فكسروه فخرج اليهم بنفسه ففروا امامه ودخلوا

فى البَرَجوب بمواشيهم فتبعهم فقتلوا منه خلقا كثيرا ولم يملك
شيا والبَرَجوب موضع يسافر فيه المسافر عشرة ايام يقطعه وهو
طين ليّن مغطى بمآء يبلغ نحو عانة الرجل ومن لين طينته تسوخ
فيه قوائم الدوابّ ومع ذلك فهو ذو شجر شايك وهذا الموضع لا
ينقطع عنه المطر الا شهرين فى السنة فى فصل الشتا ثم ان طول
اقليم دار فور من اول بلاد الزَغَاوَة الى دار رُوْكَه نحو ستين يومًا
بل ان اعتبر المُلْحَقَاتُ بها كدار رُوْكَه وفَنْقَرَو ودار بَنْدَلَهْ وبِيكَهْ
وشَالَا كانت اكثر من سبعين يومًا هذا كله بحسب تعريف اهل
البلد لكن الذى اظنه انها لا تصل لذلك بل نهاية مساحته تبلغ
نحو من خمسين يوما او اقل وان عُدّتْ ممالك الفَرتيت الخمسة المذكورة
وهى فى ذلك الزمن المُلْحَقَات المعاهدة لسلطان دار الفور ويؤدّون
له الخراج فى كل سنة فاذا دخلتَ دار الزَغَاوَه من جهة المَزْرُوب
متوجها على خط مستقيم الى كُوبَيْه تمكث نحو ستة ايام ومن كُوبِيَه
الى تَنْدَلْتِى الذى هو الفَاشَر يومان ومن الفاشر الى جَدِيد كَرْيُو
يومان ومنه الى الرِيل يومان فهذه اثنا عشر يوما ومن الرِيل الى
جديد رَاس الفِيل اربعة ايام ومنه الى تَلْدَوَا ثلاثة ايام او اربعة
ومنها الى تَبَلْدِيَّه ثمانية وتبلدية على الحدود الشرقية للفور ومنها

يدخل الانسان فی بلد الداجو والبيقو فيمشی فيها نحو من ثمانية
ايام ايضا فهذه اربعة وثلاثون يوما ثم اذا خرجت منهما الى جهة
الشرق تجد خلاءً مشحونا باعراب البادية كالمسيرية الحمر والحبانية
والرزيقات عالم لا يحصيهم الا خالقهم وان ملت الى جهة الغرب دخلت
فی دار أبَادِيمَا فتقطعها فی نحو عشرة ايام ثم تدخل فی خلاء تمشی فيه
يومين وتدخل الى دار رونگه ومسافتها نحو ثلاثة ايام ودار فنقرو
مثلها او اقل منها بشی يسير ومنهما خلاء يمشی فيه الانسان نحو
يومين ومنه يدخل فی دار بيكه وشالا ومسافتهما يومان فظهر
لك بما ذكرناه ان طول دار فور بملحقاتها لا تبلغ نحو خمسين يومًا
وهذه الملحقات هی البلاد الجنوبية التی بعد دار الفراوجية لان
الفراوجيه اخره حدود ممالك الفوراوية الحقيقية وما يسميه اهل
الفور بالسعيد المساحة الممتدة من ريل لاخر دار الفور من جهة
الجنوب ودار أبَادِيمَا هو دار تمُورْكَه وابادِيما اسم منصب كما
سنذكره معناه الجناح الايمن للسلطان والحاكم المسمى بهذا الاسم
يحكم على دار تمُورْكَه فسمى لذلك دار تموركه بدار اباديما ويقابله
التَكَنْيَاوِی الذی هو ايضا اسم منصب معناه الجناح الايسر
للسلطان ويحكم التكنياوی على اثنی عشر مَلِك ايضا وهو حاكم الزغاوة

وما

وما يليها لجهة الشرق ولذلك ايضا سمي دار الزغاوه بدار التكنياوي
وان قلت من حيث ان اباديما والتكنياوي متعادلين لِمَ كان
طول دار اباديما عشرة ايام وطول دار التكنياوي خمسة ايام قلتُ
دار التكنياوي اعرض من دار اباديما لان دار اباديما عرضها نحو خمسة
ايام وشي يسير وعرض دار التكنياوي نحو سبعة ايام فما انقص
من طولها جُبِر بزيادة عرضها ثم اعلم ان دارفور منظمة تنظيما
على وجه مُحْكَم لاننا ذكرنا ان جبل مَرَّة يشقها وان نصفها من
جبل مرة الى جهة الشرق سَهْل وعرض جبل مرة بقطْع النظر عن
ارتفاع الجبال نحو يومين ووراه من جهة الغرب سهْل ايضا لكن
من جهة الشمال الزغاوه والبَرْتِي وهما قبيلتان عظيمتان فالبرتي
من جهة الشرق والزغاوه من جهة الغرب وفي وسطها من
جنوب جديد كَرْيُو يسكنها التنجور والبِرْقِدْ وهما قبيلتان
عظيمتان وهكذا الى جديد رِاس الفيل وازْيَد بل الى تَبَلْدِيَّة وان
كان بينهما بلاد وقبائل صِغار ثم من هناك الى الخلاء من جهة
الجنوب والشرق وجهة دار اباديما يسكنه الدَاجُو والبِيقُو
فالداجو من جهة المغرب والبيقو من جهة المشرق وشرقي
جديد كَرْيُو يسكنه البَرْقُو والمِيمَة وهما قبيلتان عظيمتان ثم ان

جبل مرة لا يسكنه الا اعجام الفور واعجام الفور ثلاثة قبائل احدها
كُنْجَارَة وهى تسكن من قِرْلِى الى بعد الجبيل الصغير المسمى مرة بالخصوص
وهو مرة حقيقة وبعده بقليل الحد دار ابا ديما تسكنه الفور المسمون
كَرَاكِرِيتْ واما الفور الساكنون بدار ابا ديما فيسمون تَمُورْكَهْ وبعد
دار ابا ديما دار رُوكَّه ودار فَرَاوُجَيْه لكن رُكَّه من جهة المغرب وفراوجيه
من جهة المشرق ودار فَنْقَرَو بعد دار فراوجيه وبعد دار رُوكّه
دار سِلاَ لكن تميل الى المغرب اكثر ولهذا يحكمها اهل الوَادَاىْ
واعلم ان جبل مرة ليس جبلا واحدا كله بل هو عدة جبال كبار
وصغار وقبل الدخول فى دار ابا ديما ينقطع الجبل وتبقى ارض
سهلة يسكنها الفُلّان حتى انهم يقربون من المَسَالِيط من
جهة المغرب ويليهم بنو حِلْبَة والمَسِيرِيَّة الزُرق وجميع ما
ذكرناه غير البدو الحافّين بها من شمالها وشرقها وجنوبها
وغير المولدين من القبائل والفور يسمونهم الدَارَاوِيَّة اى المنسوبين
للدار فانهم فى الوسط لا يُعتبَرون بقبيلة وان اردت ان
ابين لك كيفية دار الفور ووضع منازل هذه القبائل والاعراب
المحتفّين بها فها انا ارسم لك ما هو على هيئة الجدْوَل تقريبًا
للفهم وهو هذا فنفرض ان هذه الجهة هى جـــــهة

الجنوب

الجنوب

دار فلا

دار شالا

دار بيكة

دار فنقرو

دار بندله

دار سلا

دار روكه

بني حبانية

دار فراوجية

بيقو

داجو

تمورکه او دار ابادیما

فلات ای فلاتا

بنی هلبة بقارة

جديد راس الفيل

شعرية

ريل

تنة

ابو الجدول

جديد كريو

جبل حريز

مربوطة

وادي الكوع

فرش

تندلتى الفاشر

جديد السيل

جبل كسا

كوبيه

برتي

قرلى

كنكاية

سترق الدجاج

بلاد كثيرة وعمارة

دار زغاوة

عرب عريقات

عرب زيادية

عرب محاميد

بديات

دار تاما

بئر زغاوي

الشمال

الغرب

الشرق

كردفال

هذا وان كنت لم ابيّن فى هذا الجدول البيان الشافى لعدم
معرفتى بالرسم ولضيق الورق فهى فى نفسها كذلك لكن الماهر
يستنتج منها صورة حسنة ثم اعلم ان اعمر البلاد من جهة
الشمال بلاد البرتى والزغاوة لكثرة ما فيها من العالم وانظر
حكمة الله فان القبيلتين فى خط واحد لكن البرتى ارق قلوبا
واحسن وجوها واجمل نسآء والزغاوه بالعكس كما ان الداجو
والبيقو فى خط واحد وبنات البيقو اجمل من بنات الداجو واما
البِرْقِد والتُنْجُور فيوجد فى كل منهما المليح والقبيح لكن البرقد
خائنون سُرّاق ليلا ونهارا لايخافون الله ولا رسوله والتنجور
معهم بعض دين وبعض عقل يمنعهم واما اهل الجبل فكلهم
على حد فى الوحاشة والوخاشة لكن متى جئت فى دار ابا ديما
تجد الرجال والنسآء حسان فسبحان من هذا صُنْعُهُ واما
المَسَالِيط فنساؤهم يسبين العقل ويذهبن باللب واجل
النسآء فى دار الفور على الاطلاق نسآء العرب بل ورجالهم
كذلك وبين الوَادَاىْ ودار فور لا يوجد ساكن البتة ماعدا
اهل جبل تَامَا الذى سنتحدث عنه أَنْ السلطان صَابُونْ
وهو سلطان الواداى غزاه واستولى على اهله واعلم ان جميع

البلاد التي في دارفور مقسومة على اكابر الدولة فكل منهم له فيها
على قدر منصبه وحاله فاوسعهم دار أَبَادِيمَا و التكَنْيَاوِي لان
كلا منهما تحت يده اثنا عشر مَلِكا لكل ملك منهم عمل مستقل
ويسمون ذلك الملك شَرْتَايْ فاباديما يحكم على التَامُورْكَة
والتكنياوي يحكم على دار الزَغَاوَهْ والبَرْتِي وما ولاهما وأَبَاوُمَا وسَاي
الكَامْنَهْ يحكم على اربعة ملوك من المَسَالِيط وفُورَكْ أَبَا يحكم على
اربعة ملوك من الكَرَاكْرِيتْ والأُرْنْدُلُنْ وهو وجه السلطان
يحكم على اربعة ملوك من بلاد البِرِّقِد والاب الشيخ يحكم على
اربعة ملوك ايضا ووَرَّثْ ابا يحكم على مَلِكين وهذه البلاد غير بلاد
الامنآء والاشراف والفقهآء العظام والقضاة وليس للسلطان
بلاد خالصة له الا بيوت ابائه واجداده مثل قِرْلِي ورِيلْ وتَنْدَلْتي
وغيرها ومحل حكم الاب الشيخ من ابي الجُدُول الى الجنوب حتى ياخذ
ايضا قطعة عظيمة من بلاد البِرْقِد والامنآء يحكمون على جهة مَرَّةْ
واما السلاطين الصغار فان كل سلطان منهم يحكم على بلاد جماعته
كالبَرْقَو والمِيمَة والتُنْجُور والدَاجُو والبِيقُو والزَغَاوَهْ وهولآء
السلاطين لهم اقطاع يتعيشون منها وان كانت المملكة لها
حاكم غيره فمثلا سلطان زَغَاوَه حاكم على جماعته مع انه في دار

التكنياوي

التكَنْيَاوِى لكن له اقطاع من زمن اجداده لا يتعرض لها التكنياوى
وبقية البلاد ياخذ التكنياوى خيراتها وهكذا لغيره من السلاطين
الصغار وبقية الاقاليم غير الستة المذكورة حكامها ملوك واما
عرض دارفور فانه من الخلا الكائن بينه وبين دار صَلَيْح اى دار
وَادَاىْ الى اخر الطُوِيشَة اى لاول الخلا الكائن بينه وبين كُرْدُفَال
نحو ثمانية عشر يوما وهذا الاقليم نصفه سهل ارض مرملة قليلا
الا اخره من الشرق فانه كثير من الرمل ولذلك يسمى بالقَوز
واما اراضى جبل مرّة فهى طين اسود وهو جبل يشق دار الفور
من اولها الى اخرها حتى قيل انه متصل بالمُقَطَّم المطل على القاهرة
لكنه ليس قطعة واحدة بل هو متقطع من عدة اماكن وله طرق
عديدة وفى هذا الجبل امم وعالم لا يحصى كثرةً وفيهم القبيلة المعروفة
بالكُنْجَارَة التى ينسب اليها سلطان دارفور وفى هذا الجبل
كهوف عديدة تحبس فيها اولاد الملوك واخرون لحبس الوزرآء
وفيه من الخيرات شى كثير وذلك ان فيه من البقر والغنم ما لا
يوجد فى غيره من الاماكن ومن العجيب ان جميع مواشيهم
ترعى وحدها بدون راع ولا يخشون عليها سارقا ولا سبعا ولا
ذئبا ولقد استاذنت السلطان محمد فضل سنه ١٢٢٠ فى التوجه

الى جبل مرة للفرجة فتوقف اولاً فى الاذن خوفا على من غائلة اهل
الجبل ثم اذن لى وعيّن معى خُدّاما وكتب لى فرمانا الى جميع عمال
الجبل يقول فيه من حضرة السلطان الاعظم والخاقان
المكرم سلطان العرب والعجم الواثق بعناية الملك العدل الصبور
السلطان محمد فضل المنصور الى جميع ملوك جبل مرة اما بعد
فان السيد الشريف محمد التونسى بن الشريف العلامة السيد
عمر التونسى التمس منا اذنا فى ان يرى الجبل وما فيه ويختبر ظاهره
وخافيه وقد اذنّاه بذلك فلا يُمنع من محل يريد النظر اليه وأُمِرَ
كلّ ملك نزل به ان يكرمه ويعظم ملقاه وقد اصحبته بفلقناويين
من خواص فلاقنتى ليكونا واسطة بينكم وبينه وتبليغ الكلام
ونيل المرام والسلام فتوجهتُ صحبة الفلقناويين وعبدين
لى ورجل من اهل البلدة التى انا فيها فسافرنا يومين وفى اليوم
الثالث اتينا اطراف الجبل فنزلنا فى بلد يقال لها نُمليَه ولها رئيس
يقال له الفقيه نمر وله ولد يقال له الفقيه محمد واخر يقال له سليمان
فنزلنا فى بيت رئيس البلدة وحضر هو واولاده واستقبلونا بصدر
رحب فاخبرناهم بمقصدنا واظهرنا لهم امر السلطان فاهتموا
حينئذ بشانى واعظموا ضيافتى فبتنا ليلتنا تلك ومن الغد

توجهوا

توجهوا بى الى سوق نُمْلَيه وهو سوق يعمر فى كل يوم اثنين يحضره
جميع اهل الجبل رجالا ونسآء يقضون مصالحهم فرايتُ اناسا
شديدين السواد حمر الاعين والاسنان وحين راونى اجتمعوا
علىّ متعجبين من احمرار لونى واتوا الى افواجا فوجا لانهم لم
يقع لهم روية عربى قبل ذلك وارادوا قتلى على سبيل الاستهزآء
وكنت اذ ذاك لا اعرف من لغة الفور شيا فما راعنى الا انى رايت
من معى من الناس اختطفوا سلاحهم وجردوه فى وجوه القوم وحالوا
بينى وبين القوم فسالتُ عن السبب فقالوا لى انهم يريدون
الفتك بك فقلت لماذا فقالوا لقلة عقولهم لانهم يقولون ان
هذا لم ينضج فى بطن امه وبعضهم يقول لو نزلتْ عليه ذبابة
لاخرْجت دمَه فقال احدهم اصبروا وانا اطعنه بحربة وانظر ما
مقدار ينزل منه من الدم وحين سمعنا منهم ذلك خفنا عليك
واحطنا بك ثم ان الجماعة اخرجونى من السوق فتبعنى خلق
كثيرون فطردوهم عنى بكل جهد ثم ذهبوا بى الى واد هناك فرايت
فيه نخيلا واشجار موز وبعض اشجار من الليمون ورايت قد زرع
فى ذلك الوادى من البصل والثوم والفلفل الاحمر وهو قرون
صغيرة رفيعة اكبر من حب الشعير بقليل والكمون والكُسْبَرَة

والحلبة والقثآء والقرع شى كثير وكان ذلك فى ايام الخريف وقد
احمر البلح فقطعوا لى عرجونين من البلح احمر واصفر واهدوا لى
بُخْنَسَة عسل لم ار نظيره حسنا وطعما ولذة وبتنا فى اكرم
ضيافة والذ عيش ولما اصبح الصباح طلبتُ التفرج فاخذونى
ودخلنا الاودية فصرنا نقطع واد بعد واد وبين كل واد يين
اقل من ميل مسافة وفى كل واد زرع عجيب ومآء يتدفق على رمل
كالفضة وقد احاط الشجر به سياجا من حافتيه يتمنى الناظر ان
لا يفارقه فجلسنا على شاطىء الوادى فى ظل شجرة هناك وذبح
لنا كبش سمين وحُنِّذ فاكلنا منه ارادتنا ثم ذهبنا لبلد تحت
الجبل فبتنا فيها فى اكرم ضيافة ولما اصبحنا صعدنا الجبل فمكثنا
صاعدين نحو ثلاث ساعات حتى علوناه فراينا فيه امما كثيرة
وبلادا متفرقة فادخلونا على شيخ الجبل وكان حـ يسمى ابا بكر وهو
جالس فى خلوته فلما دخلنا عليه وجدناه رجلا مسنا قد ناهز
الستين واثّر فيه الكبر فسلمنا عليه فرحب بنا واجْلَسَنا
لطيفة هذا الجبل لا يرتفع عنه السحاب فى السنة الا اياما قلائل
ولكثرة المطر يزرعون القمح وينبت عندهم قمح لا يوجد نظيره الا
فى بلاد المغرب او فى بلاد اُورُوبَّا لانه حسن جدا وبقية دارفور

لا

لاينبت عندهم قمح لعدم الارض الصالحة ولعدم الامطار الاما
قل كارض كُوبَيْه وكَبْكابِيَة فانه يزرع فيها القمح ويسقى بماء الابار
حتى يتم نضجه ولزيارة الشيخ المذكور يوم معلوم من السنة
تذهب اليه الناس من كل جانب ويقول لهم ما يحصل في جميع
العام من قحط ومطر وحرب وسِلْم ورخاء وشدة ومرض وصحة
والناس يعتقدون حقيقة ذلك فاختلف اهل دارفور في ذلك
فمن قائل انه من طريق الكشف وان كل من تولى شيخا يكون وليا
وما يقوله للناس من طريق الكشف وهذا قول اهل العلم ومن قائل
ان الجان يخبره بجميع ما يحصل وهو يقول للناس وكلا القولين لا
اعرف صحتهما بل قد تُقوِّلَت عنه امور كثيرة وحصل ضدها اهـ
فابرزنا فرمان السلطان وقراه عليه الفقيه محمد فرجب واكرم
ودعى لنا بطعام ثم ضرب طبلا يقال له التَنْبَل فجاء اناس كثيرون
فانتخب من شبابهم نحو مائة نفر وأرأس عليهم رجلا من ذوي قرابته
يعرف بالشجاعة يقال له الفقيه زيد وامره ان يكون معي هو والجماعة
وان يكونوا على اهبة وحذر من جهّال اهل الجبل ثم ركبنا وتوجهنا
الى مكان هناك فيه جبل صغير وهو المسمى مَرَّة وسمي الجبل كله
باسم ذلك المحل فراينا فيه مكانا اشبه بمعبد جميع اهل الجبل

يعتقدون تعظيمه ويرون ان حرمته كحرمة المساجد فدخلنا فيه
وقد اظلته شجرة كبيرة بحيث صار لا تراه الشمس فجلسنا فيه
قليلا ورايناً فيه خدماً لتنظيفه واستقبال النذور ممن ياتى
بها ثم انتقلنا من ذلك المكان ومشى العسكر امامنا فلحق بنا
عالم كثير نسآء ورجالا وجعلونى عجوبة وتكالبوا وازدحموا علىّ
واراد العسكر تفرقهم فما امكن ذلك حتى قال بعضهم ان
السلطان ارسل لاهل الجبل رجلا لم ينضج فى بطن امه ضيافة
لهم فقال بعضهم هو ادمى وقال اخرون هو ليس بادمى بل هو
حيوان ماكول اللحم على هيئة الادمى لانهم ينكرون ان يكون للادمى
لون ابيض او احمر وهولآء القوم لا يعرفون من اللغة العربية الا
كلمتى الشهادة ويقولونها مقطعتين مع العجمة القبيحة ولما
عجز من معى من الدفع عنى جائنى الفقيه زيد وامرنى ان استر وجهى
بلثام لا يظهر منه الا الحدقتان فتلثمت واحتاط بى العسكر
وحين رأى السودان انى تلثمت اختلط عليهم الامر وسالوا اين
الاحمر قالوا ذهب الى السلطان فانكفوا قليلا وح توجهنا الى
محل الحبس اى الكهوف التى فيها المحبوسون من اولاد الملوك
والوزراء فمنعنا الحرس من الوصول اليها وكاد ان يقع بينهم وبين

جماعتنا

جاءتنا شرفتلا في الفقيه زيد الامر واخذ مني الفرمان وذهب
الى رئيس الحرس وقراه عليه وعند ذلك امتثل وقال ان كان ولا
بد فليات المامور له بالتفرج وحده وجميع من معه يجلس على
بُعد حتى يقضي شانه ويرجع اليهم فجائني واخبرني بذلك فابيت
ذلك وادركني خوف عظيم فنائيت عن الدخول الى الكهوف وطلبت
الرجوع فرجعنا ومن غرائب عوائدهم ان الرجل لا يتزوج المرأة
حتى يصاحبها مدةً وتحمل منه مرة او مرتين وح يقال انها ولود
فيقعد عليها ويعاشرها ومن عوائدهم ايضا ان النسآء لا
يحجبن عن الرجال حتى ان الرجل يدخل داره فيجد امراته مختلية مع
اخر فلا يكترث ولا يغتم الا اذا وجده عليها ومن طبيعتهم
الجفآء وسوء الخُلق خصوصا اذا كانوا سكارى ومن طبيعتهم
ايضا البخل الزائد لا يُقرون ضيفا الا اذا كان من ذوى قرابتهم
او لهم به علقة او كان انسانا يخافون منه ومن عوائدهم ان
الصبيان والبنات الصغار لا يستترون الا بعد البلوغ فيلبس
الصبي قميصا وتشد الانثى وسطها بمئزر ويبقى ما زاد عن
السرة الى وجهها بارزا ومن عاداتهم عدم الترفه والتفنن في
الماكل بل كلما وجدوه اكلوه لا يانفون طعاما مرا كان او نتنا بل

ربما احبوا اكل الطعام المر واللحم النتن واستحسنوه عن غيره
ومن عادتهم ان الشباب لهم في كل بلدة رئيس وكذلك النسا
لهن رئيسة فرئيس الرجال يسمى الوُزناك ورئيس النسا تسمى
المَيْرَم فاذا كان في الافراح والاعياد والمواسم يجمع الرئيس اصحابه
ويجلس بهم في محل وتاتي الرئيسة وصواحبتها فيجلسن امامهم
على حدة فينفرد الوُزناك ويدنو من المَيْرَم ويخاطبها بكلام يعرفه
هو وهي فتامر المَيْرَم جماعتها ان يتفرقن على جماعة الوُزناك
فياخذ كل فتى فتاة ويذهبان الى محل ينامان فيه الى الصباح ولا
عار في ذلك على احدى منهن وليعلم ان الرجال في دار فور لا يستقلون
بامر البتّةَ الا الحرب فليس للنسآء دخل فيه وما سوى ذلك فهم
والنساء سواء بل اكثر الاشتغال واشقها على النسآء وللرجال
اختلاط عجيب بهن بالليل والنهار في جميع الاعمال ومن العجب
في اهل جبل مرة انهم لا ياكلون من القمح الذي يزرعونه بل يبيعونه
ويستبدلون بثمنه دخنا واعجب من ذلك غِلظ قلوبهم
وجفاوتهم مع انهم ممتزجون بالنسآء امتزاجا كليا وهذا
خلاف المشاع على السنة جميع اهل بلاد اُورُوبّا من ان الرجال
اذا امتزجوا بالنسآء تذهب غلاظة قلوبهم ويكتسبون

الرقة

الرقة وحسن الطبع ومن غلاظة طبعهم ان الرجل يسافر الفراسخ
العديدة راجلا ويكون معه حمار فيسوقه امامه ولا يركبه وان
سئل يقول إنْ ركبتُه ابطأَ بي واما لغتهم فهي لغة فيها حماس
الفاظها تتشبه الفاظ اللغة التركية لانهم اذا دعوا انسانا يقولون
له كَلا والترك يقولون كَال وقولي تتشبه اللغة التركية ليس
معناه انهما متقاربتي المعنى بل وجه التشبه في مجرد الالفاظ
وان اختلف موضوع معنى كل منهما وذلك ان الفور يقولون
للفرس يَا مُورْتَا وعند الترك هو اسم للبيض والقبيح عند الفور
اسمه كِتّي وعند الترك فعل ماض بمعنى ذهب ولم اسمع
لغة انقص من لغتهم لان العدد بلغتهم ينتهي الى ستة ويُكمّل
بالعربي فيقولون دِيكْ واحد أَوْ اثنان إِيسْ ثلاثة أُوكَّار اربعة
أُوسْ خمسة أُوصَانْدِيكْ ستة ثم يقولون بالعربي سبعة ثمانية
تسعة ثم يقولون وُأَيَّهْ وهو لفظ يدل على عشر الاعداد لطيفة
من اعجب ما سمعته بجبل مرة ان الجن ترعى مواشيهم التي ترعى
في الكلاء بدون راعٍ معهم ولقد اخبرني عدة رجال ممن يظن
صدقها ان الانسان اذا مر بمواشيهم ورأى ان لا راع لها ربما
طمع فاخذ منها شاة او بقرة او غير ذلك فان ذبحها تلتصق يده

بالسكين على منخرها ويعجز عن فكاكها حتى تاتى ارباب الماشية
فيقبضون عليه ويغرمونه ثمنها باغلا قيمة بعد اهانتهم له وضربهم
اياه الضرب المولم ولقد تكرر علىّ سماع ذلك حتى بلغ مبلغ التواتر
مع انى لا اصدقه وحين كنت في جبل مرة توجهت الى دار رجل
منهم في نُمْلَيَه اسال عنه فما رايت في داره احدا لكن سمعت داخل
الدار صوتا غليظا مرعبا اقشعرّ منه جلدى يقول لى أُكَايعنى
انه ليس هنا وفي ذلك الوقت اردت ان اتقدم واسال اين ذهب
فمر بى انسان وجذبنى وقال ارجع فان الذى يخاطبك غير ادمى
فقلت وما هو فقال هذا الحارس الجنى لان لكل انسان منا حارسا
من الجن ويسمى بلغة الفور دَامُزُوقَهْ فخفت ح ورجعتُ من حيث
اتيت ولما رجعت من هذه السفرة وتوجهت الى الفاشر
اجتمعت مع الشريف احمد بدوى الذى اخذنى من مصر وذهب
بى الى دار فور فاخبرته القصة فقال صَدَق واسمعنى اعجب من
ذلك وقال لى يا ولدى اعلم انى كنت في اول امرى اسمع ان
الدَمَازِيقْ تباع وتشترَى ومن اراد منها دَمْزُوقًا يذهب الى
من يعلم ان عنده دمازيق فيشترى منه واحدا بما يرضيه ثم
ياتى بقرعة فيها لبن ويدفعها الى رب المنزل فياخذها ويدخل

الى

الى المحل الذى هن فيه فيسلم عليهن ويعلق القرعة التى فيها
اللبن فى علاقة فى البيت ثم يقول لهن ان صاحبى فلانا عنده
مال كثير وخائف عليه من السرقة واراد منى حارسا فهل احدى
منكن تذهب الى داره لان عنده لبنا كثيرا وخيرا غزيرًا وقد اتى
بهذه القرعة مملوءة لبنا فيتمنعن اولا ويقلن لا احد يذهب
معه فيتحنن لهن ويتملق حتى يرضين فيقول من اراد الذهاب
منكن فلينزل فى القرعة ويبعد عنهن قليلا وحين يسمع بصوت
وقوعه فى اللبن يغطى القرعة بطبق من سعف وياخذها من علاقتها
مغطّاةً ويدفعها لصاحبه المشترى فياخذها ويذهب بها
الى داره ويعلقها فى بيته ويوكل بالقرعة جارية او امراة تاتى كل يوم
على الصباح وتاخذ القرعة وتريق ما فيها من اللبن ويغسلها جيدا
ثم تضع فيها لبنا اخر محلوبا فى ساعته وتعلقها وترح يامن الانسان
على ماله من السرقة والضياع وكنت اكذب ذلك حتى كثر مالى
وصارت العبيد والخدم يسرقونه فاحتلت على منع السرقة
بكل حيلة فلم يمكننى ذلك وشكوت لبعض اصحابى فامرنى ان
اشترى دَمّزُوقَة وانْ اُكْفَى شر السرقة فحدانى حب المال ان
توجهت الى رجل سمعت ان عنده دَمَازِيق وقلت له اعطنى

دمزوقة تحرس لي مالي واعطيته ما طلبه فقال لي اذهب واملا
قرعة من لبن حليب وهاتها ففعلتُ واتيته بالقرعة مملوءة لبنا
فاخذها وذهب وبعد ساعة جائني والقرعة مغطاة وقال لي
علقها حيث مالك مخزون وعرفني ما ينبغي ان يفعل كل يوم من
غسل الانية وتجديد اللبن ففعلتُ ذلك ووكلتُ جارية بذلك
وامنت على مالي حتى اني كنت اترك بيت مالي مفتوحا ولا يقدر احد
على الوصول اليه وفيه من العين والامتعة شي كثير وكل من رام اخذ
شي بغير اذني تُكسر رقبته فقتل لي عدة عبيد وعشتُ امنا على
مالي مدة حتى كبر لي ولد كان اسمه محمد فلما شب واحتلم تعلقتْ
اماله بالبنات واراد يهاديهن ببعض خرز وحلي فترقب غفلتي يوما
واخذ المفاتيح وفتح خزينة الامتعة واراد ان يدخل فكسر الدمزوقة
رقبته ومات في الحال وكنت احبه حبا شديدا فلما أُخبرتُ بموته
جزعت عليه جزعا عظيما وسالت عن سبب ذلك وأُخبرتُ انه
اراد ان ياخذ شيا من الامتعة فقتله الدمزوقة فحلفت يمينا
ان الدمزوقة لا تجلس في بيتي واردتُ اخراجه فاعجزني وشكوت
لبعض احبابي فاشار علىّ ان اصنع وليمة واجمع فيها اناسا كثيرين
يكون مع كل واحد منهم بندقية وبارود ويأتون كلهم دفعة واحدة

يطلقون

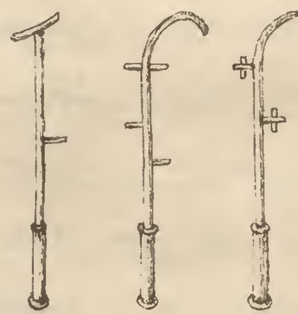
يطلقون البنادق ويصيحون بصوت واحد بكلام الفور دَمْزُوقَةْ
أَيْئِيَهْ ومعناه اين الشيطان ويكررون الطلق ويرفعون اصواتهم
بذلك حتى يدخلون الى المحل الذى فيه المال فربما خاف وهرب منه
ففعلت ذلك ففر ولله الحمد وخلصتُ من معاشرة الدمازيق
اى الشياطين ولقد اخبرنى عدة رجال ان النقاقير التى فى بيت
السلطان فيها واحدة تسمى منصورة متملكها الشياطين
وانها ربما ضربت بغير ضارب فاذا وقع ذلك يحدث فى دار فور امر
عظيم اما حرب عدو لهم او حرب بينهم وسياتى لهذا مزيد توضيح
حين نتكلم على عوائد الملوك واما عوايد القبايل الاخر كالبرنى
والداجو والبيقو والزغاوه والبرقو والميمة وغيرهم فان بعضها
يقرب من عوايد اهل الجبل وبعضها يخالفها اما المخالفة فبعض
هذه القبايل فيه كرم ونجدة ورقة طبع وذلك لمخالطتهم
للعرب اهل البادية وللتجار الذين يذهبون من ارض مصر
وغيرها فتراهم اذا راوا ضيفا اقسموا عليهم واحسنوا
ضيافتهم وان راوا غريبا اكرموه وذلك بخلاف الفور الاعجام
كاهل جبل مرة وتُمُورْكَهْ فانهم لا يكرمون الضيف ولا يالفونه
ولا ينزل الضيف عندهم الا قهرا عنهم انتـــــهى

الفصل الثانى فى عوايد ملوك الفور

اعلم ان الله سبحانه وتعالى خلق الخلايق بقدرته وميزهم بحكمته وجعل اختلاف عوايدهم واحوالهم عبرةً لاولى الابصار وتذكرةً لذوى الاستبصار ليعلم العاقل اذا تامل فى احوال الممالك واختلاف عوايدها وطبايعها المتنوعة وفوايدها ان القادر الخالق الاكبر جلّت قدرته وعظمت ارادته انما نوّع احوال هذا العالم وخص كل قوم بمزيّة لا توجد فى غيرهم ليعلم عظم قهره وحكمته كما انه اذا نظر فى اختلاف السنتهم والوانهم وزيهم ومعاشهم علم انها اية كبرى كما قال تعالى ومن اياته منامكم بالليل والنهار واختلاف السنتكم والوانكم ثم ان الله جعل لكل اقليم طبيعة فمن الاقاليم الحار ومنها البارد ومنها المتوسط بين الحرارة والبرودة وذلك بحسب قرب الاقليم من خط الاستوآء وبعده عنه فسبحانه الفعال لما يريد ولو شاء لجعلهم امة واحدة ولكن بالاختلاف تظهر المزايا وتشتاق النفس الى معرفة ما لم تعرفه ولولا ذلك لما ساحت السواح وما بذلت فى الاسفار الاموال والارواح واذا تقرر ذلك فنقول عادة ملوك الفور مخالفة لعوايد غيرهم من الملوك ولملكهم السلطنة التامة عليهم فاذا قتل منهم الوفا لا يسئل لما ذا وان عزل ذا منصب لا

يسئل

يسئل لماذا فهو تام التصرف فى كل امر يريده واذا امر بامر لا يراجع
فيه ولو كان منكرا الامن قبيل الشفاعة ولا ترد له كلمة لكنه
اذا فعل مالا يليق من الظلم والعسف تحصل له بغضا فى قلوبهم
ولا يقدرون له على شئ فاول عوايدهم ان الملك لا يكون الا من
بيت المُلك اى من سلالتهم ولا يمكن تولية اجنبى منهم ولو شرفا
وتحقق نسبه عندهم وثانيها ان الملك اذا تولى يجلس فى بيته
سبعة ايام لا يامر ولا ينهى ولا تقوم بين يديه دعوة وكلهم على ذلك
الا السلطان عبد الرحمن فانه خرق عادتهم كما مر عند الكلام على
توليته وثالثها ان لهم عجائز تسمى الحَبُّوبَات وهن طائفة عظيمة
ولهن رئيسة تسمى
ملكة الحبوبات فعند
خروج السلطان يوم الثانى من
يجتمعن ويأتين اليه وكل واحدة



منهن بيديها اربع قطع من الحديد
تسمى القطعة منها كُرْبَاجا وصورتها اما هكذا او هكذا او هكذا
وفى كل يد كُرْبَاجان يضربنها على بعضها فيحصل منها صوت وبيد
احداهن قبضة من شعر ابيض ومعها ماء اختلفوا اهل دارفور

في ما تركب منه فتبل العجوز السعو من ذلك الماء وترش به على
السلطان مع قول كلام لا يعقله الا هن وياخذن السلطان
في وسطهن ويطفن به البيت ويتوجهن الى دار النحاس وهو
المحل الذي فيه النقاقير وهي طبول السلطان فيدخلن البيت
وياتين الى النقارية المسماة بالمنصورة فيقفن حلقة ويجعلنها
في الوسط والسلطان وحده معهن ويضربن الكرابيج على
بعضها ويقلن من كلامهن ثم يرجعن بالسلطان الى كرسي
مملكته وبعد جلوسه ذلك تدخل اليه الدعاوى ويتناول
الاحكام ومن عاداتهم ان السلطان لا يسلم على غيره الا بترجمان
صغيرا كان او كبيرا عظيما او حقيرا وكيفية ذلك ان اذا دخل عليه
اناس يجثون على ركبهم ثم يتقدم الترجمان ويسميهم واحدا بعد
واحد الى اخرهم وهو انه يقول إنو تورا فلانْ دُوكَهْ كَنِيّجِي دَارِي
ومعناه ان هنا برا فلان سلام يعطي طاعة فاذا تم اسماء
الجالسين قال كِيكِينْ دُقُلَهْ كَرِكَهْ ومعناه معهم اولاد وراهم
حتى اتباعهم وخدمهم فتقول العبيد الواقفون خلف السلطان
المسمون كُورْكُوا وقد تقدم ذكرهم دُونْكَرَايْ دُوكَهْ دُونْكَرَايْ
دُوكَهْ ومعناه بسلام سلام سلام فان كان في ديوان

حفل



حفل ضرب اذ ذاك طبل يقال له
دِنْقَار وهو طبل عظيم من خشب
مجلد من جهة واحدة اهرامى
الشكل مقلوب هــــكذا
له صوت عال وان لم يكن ديوانا لا يكون ذلك ثم من شدة
تعظيمهم للسلطان ان السلطان اذا بصق في الارض يمسحه
بيده واحد من الخادمين قاعدين امامه متطلعين دايما للسلطان
ولافعاله ولحركاته واذا تنحنح قالوا كلهم تس تس يعني يلفظون
بتآء مدغمة في سين من غير حركات يكون اللسان ضاربا للسنخ
العلوى للاسنان واذا عطس لفظوا بحروف لا يلفُظ بها الا
الوزغ او من يسوق دابة واذا جلس واطال المجلس روحوا عليه
براوح من ريش النعام وان خرج الى الصيد يظللونه بشمسية
واربع مراوح كبار من ريش النعام مغلفات بجوخ احمر وهذه المراوح
تسمى
بالريش
وصورته
هــــكذا



فيقفون بالشمسية على راس السلطان ويجعلون المراوح
اثنين عن اليمين واثنين عن اليسار فيصير على السلطان ظل
واسع وللشمسية المذكورة والريش ملك مخصوص واعوان
يتدا ولونها نوبة فنوبة ماشيين على اقدامهم ومن عادة السلطان
اذا ركب ان ترفع امامه السجادة ولها ملك مخصوص واعوان
يتدا ولونها ايضا ومن تعظيم السلطان انه اذا ركض جواده وعثر
الجواد فرماه او وقع من شدة الركض انهم يرمون انفسهم جميعا
من على ظهور الخيل ولا يمكن ان يثبت احد منهم على ظهر
فرسه بعد وقوع السلطان بل ان راى الخدمة احدا
ثابتا على ظهر جواده ولم يرم نفسه يرمونه الى الارض ويضربونه
ضربا مولما وان كان عظيما لما يرون ان ثباته احتقارا بامر
السلطان واذا جلس السلطان للحكم فى ديوانه لا يكلم
الناس مباشرة بل بواسطة ترجمان ان لم يكن ديوانا عاما
فان كان ديوانا عاما كانت سبعة المترجمون اولهم
عند السلطان واخرهم عند الناس اصحاب الدعوى
والمترجمون فى الوسط والعساكر حوله والكوركوا خلفه
والعلماء والاشراف جالسون وهيئة ديوانـــــــه

هكذا

هكذا

كُورْكُوا

محل السلطان

وزير وزير

خادم خادم

عساكر عساكر

ترجمان

عساكر عساكر

اصحاب الدعوى

الناس

مُوجَيْلَه

عساكر عساكر

والناس جاثون على ركبهم امامه واضعين ايديهم على التراب والمَوْجَيْلَه
واقفون دايما وسنذكر تعريفهم فاذا سلم السلطان عليهم
مسحوا التراب بايديهم واذا تكلم احد فى مجلسه لا يبدا الكلام
الا بقوله سلم على سيدنا ان كان عربيا وان كان فوراويا قال
أَبَاكُورِى دُوكَّا جَنِى ومعناه ذلك واذا كان السلطان هو المتكلم
يقول سلم عليه اذا يتكلم بالعربى فالترجمان يقول دُوكَّاىْ دَايِكْ
سِيدِى واذا كان بالفوراوية يقول دُوكَّا جَنِى ان كان عجميا وان

كان عربيا يقول سلم عليه ولاخصوصية لمجلس السلطان
في ذلك بل كل مجلس تعمل فيه دعوى يقال ذلك حتى في مجلس القاضي
ومشايخ البلاد ولا يمكن ان تعمل دعوى بغير دوكاجني ويلزم لذلك
ان الكلام يطول وان كان قصيرا لتكرير هذه الكلمة بعد كل كلمة
اوكلمتين واذا افتتح احد دعوى بغير ذلك يعيبون عليه ويرون
انه غير متمدن بل اذا كان في مجلس حاكم يؤدَّب بالزجر ما لم يكن
غريبا فيُعذر ومن عادة ملوك الفور تجليد النحاس وهي عادة لا
توجد في غير دارفور وتجليد النحاس هو تغير جلود الطبول المسماة
في اقليم مصر بالنقاقير وهذا التجليد يعظمونه ويجعلون له
موسما في السنة ومدته سبعة ايام وكيفية ذلك ان
السلطان يامر بنزع جلود الطبول كلها في يوم واحد فتُنزع ثم
يوتَى باثوار خضر اللون فيذبحونها وياخذون من جلودها
ويجلدون بها تلك الطبول لكن اهل دارفور يقولون في ذلك
كلاما لا يقبله عقل العاقل مُمارس للكتب ولكنهم مطْبقون
على ذلك فانهم يزعمون ان هذه الاثوار من نوع بقر معروف
عندهم وانها حين الذبح تنام وحدها بدون من يمسكها
ولا يذكرون اسم الله عند ذبحها ويقولون ان الجن هو الذى

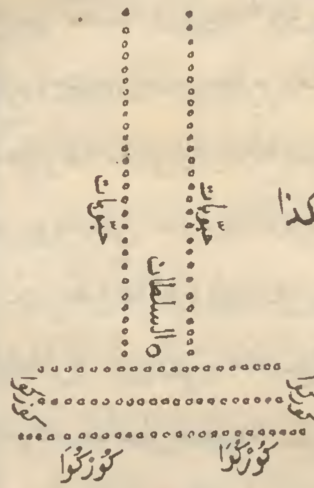
يمسكها

يمسكها ويبنيها ثم ياخذون لحومها ويجعل في خوابي ويترك ستة
ايام مع الملح وفي اليوم السابع ياتون ببقر كثيرة واغنام وتذبح كلها
ويطبخون لحومها وفي حال الطبخ ياخذون اللحم الذي في الخوابي
ويقطّعونه قطعا صغيرة ويجعلون في كل قدر منه قطعا تُخلط
باللحم الجديد ثم تفرق الموائد للملوك واولاد الملوك والوزراء على
حسب طبقاتهم ويقف على كل مائدة منها حارس من طرف
السلطان ينظر من ياكل ومن لم ياكل فاذا اخبر السلطان بان
فلانا لم ياكل امر بالقبض عليه في الحال لانهم يقولون ان من كان
في قلبه خيانة للسلطان او غدر لا يمكن ان ياكل من هذا اللحم
وان تعلل احد بانه مريض او لا يقدر على حضور ارسلت اليه
اواني منه مع حارس امين ينظر هل ياكل او لا فان ابى يقبض عليه
الا اذا كان معذورا بقوة مرضه وبعض اهل دارفور يقولون
انه يؤتى بغلام وصبية لم يبلغا الحنث ويذبحان سرّا ويقطع
لحمهما ويجعل في القدور مع لحم الحيوانات المذبوحة وبعض الناس
يقول لابد وان يكون اسم الغلام محمدا واسم الصبية فاطمة
وان صح هذا فهو غاية الكفر بالله ورسوله ولكني لم اشاهد
ذلك ولم اقف عليه لاني غريب والاغراب لا اطلاع لهم على مثل

هذا الامر ابدا لكني سمعته من الناس كثيرين يحلفون لي بايمان
مغلظة ان هذا الكلام صحيح لا ريب فيه وقبل اخراج الطعام تحضر
العساكر كلها ويقفون في بطحاء واسعة امام دار السلطان ثم
يخرج السلطان عليهم في زينته وأُبَّهَتِه فتعرض عليه الجيوش كل
ملك باتباعه واحد بعد واحد وكيفية العرض ان الملك ياخذ
اتباعه ويركض حتى يصل الى محل السلطان فان كان من العظماء
برز السلطان من جماعته الى ملاقاته مقدار خطوتين او ثلاثة وان
كان غير عظيم ثبت السلطان في موضعه فيرجع الملك جماعته
ويفعل ذلك ثلاث مرات وفي الثالثة يعرضون على السلطان
ثم يرجعون الى محل وقوفهم فيخرج ملك اخر بجيشه ويفعل كذلك
وهَلُمَّ جَرًّا فاذا تم العرض خرج السلطان راكضا وتتبع الملوك
وذهب اولا الى اعظمهم ثم الى مثله والى اقل منه فهكذا حتى يمر
عليهم اجمعين جبرا لخاطرهم وكلما اتى قوما صاحوا في وجهه بكلام
يعظمونه به وهو انهم يقولون له بصوت عال برنُس حر السلاطين
جنزير الملوك اداب العاصي فرتاك الجبال بلا ديوان وغير ذلك
فاذا تم العرض دخل السلطان داره ودخل وراءه جميع ارباب
المناصب من الوزراء والملوك واولاد السلاطين فيدخل السلطان

الى دار

الى دار النحاس ويأخذ قضيبا ويضرب به النقارية المسماة
منصورة ثلاث ضربات والعجائز
الى المحبوبات محدقات به بايديهن
الكرابيج يضربنها على بعضها كما
تقدم ثم يمشين زوجا زوجا هكذا
والسلطان بين الزوج الاخير حتى
يدخلن بالسلطان الى محل جلوسه
وانا شاهدت ذلك ثم تفرق
الاطعمة كما ذكرنا واذا كان بعض



القواد او الوزراء غائبا عن الفاشر في وقت تجليد النحاس ثم جاء
بعد ذلك واتهم بغدر او خيانة يُسقى من مآء كيلي وهو مآء ينقع
فيه ثمر شجرة مسماة بكيلي وثمره كالجوز تقول اهل دارفور ان
المتهوم بشئ اذا شرب منه ان كان بريئا يتقاياه في الحال وان
لم يكن بريئا يشرب منه حتى يمتلأ بطنه ولا يتقايا حتى انه ربما شرب
ملئ خابية انا شاهدت لكن في تُهمة سرقة ولعل هذا من خواص
النباتات لان النبات في دارفور له خواص عجيبة سنذكرها بعد
ان شا الله تعالى ومن عادة الفوران السلطان له مزرعة معلومة

يزرعها لنفسه في كل سنة وفي يوم بذر الحب فيها بعد الامطار
يخرج في مهرجان عظيم ويخرج معه من البنات الجميلات المتجملات
بالحلي والحلل ما ينوف عن مائة صبية من محاظية الخاصة حاملات
على رووسهن انية فيها المآكل الفاخرة وهذه الاواني تسمى
بالعُمَار مفردها عُمْرَة فيمشين ورآء جواد السلطان صحبة العبيد
الصغار الحاملين للحراب المسميين كوركوا واصحاب الصفافير وهؤ
يغنون بغنآء حال تصفيرهم وكوركوا الحاملون للحراب يغنون معهم
فحين تخرج البنات مع السلطان تغنين معهم ايضا فيبقى لجوعهم صوت
جيل جدا وحين ما يصل السلطان الى المزرعة ينزل عن جواده وياخذ
البذر وياتي احد عبيده يحفر الارض بمسحاة معه ويرمي السلطان
البذر وهو اول بذر يقع في الارض في الجهة التي فيها السلطان
فعند ذلك تتبعه الملوك والوزرآء والقواد فيبذرون الحب
ويزرعون المزرعة في اسرع وقت وبعد تمام زرع المزرعة يحضر
الطعام المحمول على رووس البنات المذكورة فيوضع امام السلطان
فياكل منه هو ووزراؤه ثم يركب في مهرجانه حتى يصل الى دار ملكه
وهذا اليوم من الايام المشهورة في دارفور

الفصل الثالث في مناصب ملوك في الفور

ومـلابسهم

وملابسهم وكيفية مجلس السلطان
وغير ذلك اعلم ان واجب الوجود تقدست ذاته
عن المعين لما كان منفردا بالقدرة المطلقة والارادة التامة المتصرفة
احوج الملوك الى الوزرآء والمدبرين والمعينين ليعلم عجزهم عن
الاستقلال في تدبير ممالكهم ومصالحهم ولولا ذلك الاحتياج
لطغوا وبغوا اكثر ماهم فيه من الطغيان بل ربما ادّعوا الالوهية
التي لا تليق الا بذاته العلية لكن خص كل اقليم بترتيب وتنظيم
فلهذا تجد اسماء مناصب الوزرآء الخلفا كانت مغايرة لاسماء
مناصب وزرآء الملوك الآن واسمآء مناصب وزرآء ملوك هذا
الزمن متخالفة ايضا ففي مملكة آل عثمان اسمآء المناصب
الوزير الاعظم والكتخدا والخازندار والسلاح دار والمهردار والديوت
دار وخوجه دار وسربوابين وقابجي باشي وغير ذلك من تتونجي
باشي وشربتجي باشي وقهوجي باشي وقفطان اغاسي وبشكير اغاسي
وباشات وامرآء الالوية وامرآء الالايات واما اهل دار فور فانهم
لتعظيمهم للسلطان لم ينتبهوا الا الى جسم السلطان فسموا
المناصب باسمآء اعضآئه فاول مناصبهم أُورُونْدُولُوكْ وهو
منصب عظيم القدر صاحبه يكنّى براس السلطان ولهذا

المنصب اقطاع عظيمة وبلاد وصاحبه لا يسلم عليه الابدُوكَارِي
دوكَا وترفع السجادة امامه كالسلطان وصاحب هذا المنصب
اذا كان السلطان مسافرا او قانصا وظيفته ان يمشي بعساكره
امام الجيش كله لا يسبقه احد وثانيها منصب الكَامْنَه وهو
في العظم والجلالة اعلا من أُرُونْدُولُوكْ ويكنَّى عنه برقبة السلطان
لكن من عادة الفور ان السلطان اذا قتل في الحرب وسلِم
الكامْنَه حتى رجع الى محل الامن يقتلونه لكن يخنقونه سرًّا ويولون
غيره للسلطان المتولى واذا مات السلطان على فراشه لا يقتل
الكامنه وهذا الكامنه يسمى بلغة اعجام الفور ابا فوري ومعناه
ابو الفور ولصاحب هذا المنصب اقطاع جليلة وعساكر
كثيرة ويفعل مثلما يفعل السلطان ووظيفته ان يمشي خلف
جيش أُرُونْدُولُوكْ وثالثها أَبَا أُومَاكْ وهو قرين الكامنه في كل
شئ وهو كناية عن فقرات ظهر السلطان ووظيفته ان يمشي
خلف الجيوش بجيشه لا يعقبه احد وان اعقب الجيش عدوٌ فيه
كفاية لدفعه والذب عن الجيش حتى يُدرك ويُمَدّ بالجيوش
ورابعها أَبَادِيمَا وهو اعظم من تقدم جلالةً وأُبّهةً وعساكرا
ويحكم على اثني عشر ملكا من ملوك الفور وله اقليم واسع يسمى

تمُورْكَهْ

تموركه وله جميع ما للسلطان من الشارات والأُبَّهة ماعدا
النحاس فان طبله دِنّقار وهو كناية عن ساعد السلطان
اليمين ووظيفته ان يمشي هو وعساكره عن يمين السلطان
وخامسها منصب التَكَنّيَاوِى وهو قريب اباديما فى كل شى
وهو كناية عن الساعد الايسر للسلطان ويحكم على اثنى عشر
ملكا ايضا من ملوك الجهة الشمالية وله اقليم واسع وسادسها
منصب الاب الشيخ وهو اعلا من جميع ما ذكر ولا فرق بينه
وبين السلطان واوامره تنفذ على جميع من ذكر وغيرهم وله
اقطاعات جليلة واقليم واسع وصاحب هذا المنصب مطلوق
السيف يقتل بغير اذن وجميع اهل المملكة تحت يده وهو كناية
عن بحيرة السلطان وقد تقدم بعض ذلك فى حديث الاب الشيخ
محمد كُرّا وسابعها مناصب الأُمَنا وهى اربعة كل واحد منهم
يدعى امينا واصحاب هذه المناصب لها اقطاع وعساكر وليس
لها من شارات الملك شى وهولآء الاربعة ملازمون لمجلس
السلطان وثامنها مناصب الكُورَايَاتْ وهى مناصب جليلة
القدر الا انها اقل من مناصب الأُمنا رتبة ومناصب الكُورَايَات
اربعة ايضا وتاسعها منصب سُومِنْدُقُلَّة وصاحبه

عظيم القدر ذو ابهة عظيمة واقطاع واموال وافرة ويليه منصب
كُورْكُوَا واعلا من هذين منصب وَرَّيْنَبَايَهْ وهو منصب جليل
عظيم من عادة ملوك الفوران صاحب هذا المنصب لا يكون
الا خصيا لانه ينال منصب الابوّة بعد موت الشيخ وتقدم
لنا ان منصب الاب لا يتولاه الاخصى وصاحب هذا المنصب
يحكم على جميع الخصيان الموكلين بحريم السلطان وهو ايضا صاحب
غضب السلطان وتحت يده الحبس فكلما غضب السلطان
على انسان اعطاه له فيسجنه في سجنه وتحت يده عساكر
كثيرة ومعنى وُرَّيْنَبَايَهْ بالفوراوية باب الحريم وصاحب هذا
المنصب تحت امر الاب الشيخ ويليه منصب ملك وَرَّادَيْنَهْ
ومعناه ملك باب الرجال ولكل بيت من بيوت الملوك والوزراء
بابان احدهما للرجال والثاني للنسآء فباب الرجال يسمى وَرَّادَيْنَهْ
وباب النسآء يسمى وَرَّيْنَبَايَهْ ويليهما منصب ملك العَبِيدِيَّة
وهو منصب جليل القدر صاحبه يحكم على جميع عبيد السلطان
الخارجين عن داره الذين في البلاد بنسائهم واولادهم وكذلك
تحت يده مواشي السلطان وآلآت السفر من خيم وقِرَب
وغير ذلك ويليه منصب ملك القَوَّارِين اى المكّاسين وهو

منصب

منصب جليل صاحبه يحكم على جميع المكاسين وجميع الجلابة
وله اقطاع وعساكر عظيمة واعلا منه منصب ملك الجبّابين
وصاحبه في ابهة عظيمة ومُلْك كبير وهو ملِك الجبايين اى الذين
يجْبون الغلال من البلاد ومعنى الجِبَاية انهم ياخذون عشر ما
يخرج من الحبوب ويجعلونها في مطامير لاحتياج السلطان
وبعد ذلك ملوك كثيرة فحكّام الاقاليم عندهم يسمون الشَرَاتى
واحده شَرْتَايْ وحكام القبايل يسمون دَمَالِجْ واحده دُمْلُج
ولكل من الشَرَاتى عساكر كثيرة ولكل من الدَمَالِج اعوان وهولاء
خلاف السلاطين الصغار الذين ذكرناهم سابقا ثم اعلم ان
جميع من ذكر من ارباب المناصب لا يعطيهم السلطان
راتبا ولا مرتّب لهم عنده بل كل ذي منصب له اقطاع ياخذ
منها اموالا وما ياخذه من الاموال يشترى به خيلا وسلاحا
ودروعا ولبوسا ويفرقها في العساكر وكيفية ما ياخذه هو
ان زكاة الحبوب كلها للسلطان كزكاة الماشية فلا ينالون
منهما شيا وانما لكل ملك منهم افدنة كثيرة يزرعها دُخْنًا وذُرة
وسمسما وفولا وقطنا تزرعها الرعايا وتحصدها وتدرسها
له قهرا عليهم وله الهامل وهو الضال من رقيق وبقر وغنم

وحمير يبيعونها له ويأخذ ثمنها وله التقادم وهي الهدايا التي
يقدّمونها له حين التولية والقدوم على البلاد وله الخطية وهي
في عرفهم اموال يدفعها الجاني للحاكم ويسمى عندهم بالحُكم اذا
شجّ انسان اخر يوخذ من الشاجّ مال ويدفع للحاكم واذا أحْبل
رجل امراةً في الحرام يوخذ من كل منهما مال على قدر حاليهما ايضا
وله الدم وهو في عرفهم اذا قُتِل قتيل ووُدِي يشارك الحاكم
اقارب القتيل في الدية سواء كانت دية العمْد او دية الخطاء
وذلك خلاف المظالم التي ياخذونها بغير حق وخلاف الاعمال
الشاقة التي يكلفونهم بها لانهم يبنون لهم بيوتهم ويسخّرونهم
في جميع اعمالهم ومن مناصب الفور ملك المَوْجَبة وانما
اخرناه لطول الكلام عليه وغرابته وغرابة المنصب وغرابة
افعال اهله وهو عندهم ادنى المناصب واقلها رتبة لكن
الكلام عليه يحتاج الى تمهيد وهو ان صاحب الحكمة الأزلية
والسلطنة الابدية واهب العقل ومانح الفضل وهب لكل
انسان عقلا يميز به الخير ليتبعه من المكروه ليحذره واودع
في كل انسان حب راي نفسه وعقله بحيث يرى ان عقله اتم
من عقل غيره ورايه احسن من راي غيره الا من بصّره الله بعيوبه

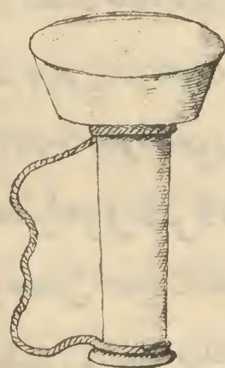
وعلمه

وعلمه عجز نفسه عن تدبير جلب مصالحها ودفع مضارها
واذا تقرر ذلك فنقول من طبيعة بلاد الفور الميل الى اللهو والاستهتار
واللعب والطرب يستفزهم ادنى مطرب فتراهم لا تخلو اوقاتهم
عن مطرب ملوكا كانوا او سوقة ولذلك استحضروا جميع ما
يمكنهم من الات الطرب فتجد كل ملك له غلمان صغار حسان
الاصوات وهم المسمون كوركوا ومعهم صفافير يصفرون بها
صفيرا هو فى نفس الامر غناء مع حسن اصوات الصفافير
وحسن اصوات الغلمان فيسمع من جميع ذلك صوت
حسن وكيفية ذلك ان الملك ان كان عنده من الغلمان
عشرة مثلا يكون منهم ارباب الصفافير اثنين او ثلاثة والرابع
بيده قرعة جافة خاوية الباطن
مستطيلة احد طرفيها غليظ
والطرف الثانى رقيق يقبض عليه
باليد صورتها هكذا



فيجعلون فيها بعض حصباء
ويقبضها الغلام بشرط ان
يكون فمها منسدا بالقار ويهزها فيسمع للحصى فيها

صوت يوفّق على اصوات الصفافير والستة الباقون يغنون
وربما اخرج السلطان بعض جواريه مزينات حاملات لاواني
من الاطعمة للسلطان ماشيات خلفه صحبة الغلمان
فيغنين مع الغلمان والصفافير
وربما زادوا معهما طبلا من خشب
مستطيل كالطبلة المسماة في
عرف مصر بالدَرَابُكَّة ويسمى عندهم



تِكْجَلْ وصورته هـــــكذا
وله علاقة كما في الصورة فيُدخل
الضارب يده من العلاقة ويضع
العلاقة على كتفه ويصير الطبل تحت ابطه ويضرب عليه بكلتا
يديه نقرات محكمة على صوت الصفافير وما يغنونه يكون
بلسان الفور ولهم معلمون يعلمونهم التصفير والغناء والضرب
على الطبل المذكور والمشاة الذين يمشون امامه وبين يديه يغنون
غناء وحدهم وكيفية ذلك انهم يكونوا كراديس كراديس يغني
من كل كردوس واحد والباقي يرد عليه بصوت عال ولذلك اذا
ركب السلطان تضرب الطبول وتغني جميع الناس مشاة وركبانا

فيسمع

فيسمع لذلك ضجة عظيمة مع اصوات الصفافير وغناء الغلمان
يخشى الانسان على سمعه منه لقوته وهذه الصفافير تسمى
طير الصَعِيد وذلك ان ببلاد صعيد هم طيور لها اصوات حسان
فاخترعوا هذه الصفافير على شكل اصواتها وينضم لتلك الاصوات
اصوات المَوْجَيهْ وهذا اللفظ فى لغة الفور يطلق على الواحد والجمع
وهم طايفة عظيمة لها ملِك مخصوص وهو فى عرف الفور كالخلبوص
او المسخرة فى عرف اهل مصر او كالسُوتَرِى فى عرف الترك لكن
الموجيه يخالف ما ذكر لانه يتولى قتلَ من يامر السلطان بقتله
وصفة الموجيه ان يلبس على راسه عصابة فيها صفيحة من
حديد مستديرة الشكل مع التجويف وفى العصابة المذكورة
قطعة من حديد ايضا كالمسمار معلقة بخيط محررة على التجويف
الذى فى الصفيحة بحيث اذا هز راسه تضرب التجويف المذكور



ويسمع لها رنة عليه واعلا
منهما فى العصابة ريشة او
ريشتان من ريش النعام
وصورتها هكذا
وعلى الطرطور ودع وخرز معلق

ايضا وفى رجله اليمنى خلخالات من الحديد وفى اليسرى خلخال
واحد وتحت ابطه جراب صغير مستطيل
اذا حل عصابته وطرطوره يضعهما فيه
وبيده عصى معوج اعلاها هكذا



معلق فيه جلاجل فيقف بين يدى السلطان
من الموجيه اثنان او ثلاثة ان كان
السلطان فى ديوانه وان كان فى
سفر او قنص مشى امامه اربعة او خمسة وكل منهم يغنى ويرقص
ويقول كلاما مضحكا يضحك منه سامعه ويحاكى نباح الكلب
وصوت الهر وغناؤه بكلام الفور لا بالعربى وليس فى رقصه
تكسّر بل يهز راسه يمنةً ويسرةً ويضرب احدى ساقيه
بالاخرى فترن الحديدة التى فى العصابة على راسه وترن الخلخال
التى فى ساقيه واذا كان السلطان مسافرا او قانصا لا يغنون
بل يصيحون جميعا صيحة واحدة بقوة اصواتهم يقولون يا يا
وهكذا ما دام السلطان راكبا ولا خصوصية فى ذلك
للسلطان بل كل ملك من ملوك الفور الكبار له موجيه يقف
امامه فى ديوانه ويمشى قدامه فى سفره والموجيه لا يختشون

باس

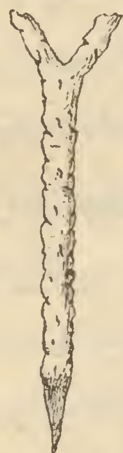
باس السلطان ولا غضبه ولهم جراة عظيمة على السلطان
فمن دونه لا يكتمون السلطان امرا بحيث انهم اذا سمعوا امرا
فظيعا يقولونه في محفله وينسبون الكلام لقائله حقيرا
كان او جليلا لا يخافون لومة لائم واذا اراد السلطان اشاعة
امر او اعلان حكم امر الموجيه ان ينادي به فينادي به الموجيه
بعد المغرب وقبل العشآء ندآء يسمعه الخاص والعام ومما اتفق
ان السلطان عبد الرحمن كان يحب العلمآء ويكثر الجلوس معهم
في ليله ونهاره وقلّما يجلس مجلسا الا ومعه عالم او اثنان
فاغتاظ الوزراء منه وقالوا كيف يتركنا ويجلس مع هولآء
لكن ان مات هذا السلطان لا نولي علينا بعده رجلا يقرأ ابدا
فسمع ذلك احد الموجيه فامهلهم حتى جلس السلطان في
ديوانه وحضر اوليك الوزراء فجآء الموجيه وقال بلسان الفور
كلاما معناه نحن ما بقينا نولي علينا من يعرف القراة والكتابة
فالتفت اليه السلطان وقال لم ذلك قال لانك تترك الوزرآء
وتجلس مع العلمآء فاغتاظ السلطان لذلك ونظر اليه نظرة
الغضب فخاف الموجيه ان يسطو عليه فقال ما ذنبي انا سمعت
هولآء واشار الى الوزراء يقولون ذلك فقلتُه فالتفت السلطان

اليهم ووبّخهم على ذلك واراد القبض عليهم فاخلصوا منه الا
بجهد ومشقة قلت والجاهلون لاهل العلم اعدآء ومن
ذلك ماحكاه لى بعض الثقاة بدارفور ان السلطان تيراب السالف
الذكر صنع وليمة لامر نسيته وحين حضر الطعام تتبعه لينظر
اى الطعام احسن فجاء الى طعام صنعته اياكرى كنانة وكشنزعنه
فاعجبه فامر به للعلمآء فابت عليه وقالت اانا عندك بهذه
المنزلة تعطى طعامى للمشايخ وطعام غيرى للوزرآء والملوك فقال
انما امرتُ به للمشايخ لحسنه ولتحصل لك بركتهم فقالت دع
طعامى تاكله الوزرآء والملوك ولاحاجة لى ببركتهم فقال لا ياكله غير
العلماء فقالت لا وحياتك لا تاكله العلماء وغلبت عليه حتى
ارسله للملوك واختار من طعام غيرها للعلما وطايفة الموجيه
من افقر اهل دارفور لانهم ليس لهم حرفة الا السوال فانهم دايما
يقصدون الامرآء ويتكففون الناس وتخاف الامرآء منهم ويكرمونهم
لانهم لا يكتمون حديثا ان احسن اليهم احد اثنوا عليه واشاعوا
الذكر بكرمه وان احرمهم احد ذموه واشاعوا ذمه فهم فى ذلك
كالشعرآء من اعطاهم مدحوه ومن منعهم هجوه ومن مناصب
الفور منصب اياكرى وقد اسلفنا ذكره ومنصب الحبوبات وقد

ذكرناه

ذكرناه ايضا وان كان للسلطان المتولى ام فلها منصب وان كان
جدة فلها منصب ايضا لكن هذان المنصبان ليسا مقررين
بايطرائن عند وجودهما ولقد رايت ام السلطان محمد فضل وهى
جارية وخشنا لو بيعت فى دارفور لما كانت تساوى عشرة من
الفرانسا ورايت جدته وهى عجوز وخشنا من اقبح ما يرى فى عجايز
السودان وكانت ناقصة العقل ومن نقص عقلها كانت تجلس
على كرسى وتحملها الرجال على عناقهم للسفر البعيد ومعها من
العساكر خلق كثير ووشى اليها بعض الناس بان اهل دارفور
يقولون ان هذه الخادم قد طغت وبغت فحين سمعت ذلك
جلست فى ديوانها واحضرت جميع اتباعها وقالت انا الحادم
الحادم جاب الفضة وجاب الفضة الذهب وقولها انا الحادم
بالحاء المهملة ومرادها الخادم بالمعجمة الا انها لا تقدر على النطق
بالخا المعجمة لعجمتها وهناك مناصب أُخر اعرضنا عن ذكرها
لحقارتها واما كيفية مجلس السلطان فاعلم ان بيت سلطان
الفور فى وسط بلده المسماة بالفاشر والناس حوله ولهذا جعل
لبيته بابان احدهما وهو الاعظم هو المسمى وَرَّيدَايَا معناه باب
الرجال والثانى هو المسمى وَرَّيبَايَا ومعناه باب النسآء وفى كل منهما له

مجلس فمجلس وَرَّيذَيا هو الديوان الاكبر وهو بعدان يدخل
الداخل من الباب الاول وهذا المجلس واسع ولايجلس فيه
السلطان الا في الايام العظيمة او للاحوال المهمة وقد نذكر ان
بناء الفور كله بقصب الدخن
او المَرْهَبَيْبْ ومحل الديوان
يسمى لِقّدَابَه او رَاكُوبَهْ وصورتها
هي ان يوتى باخشاب ملسا
طويلة في اخر كل خشبة شعبتان
هــــــــكذا

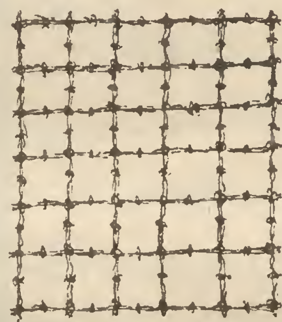


فيحفرون في الارض حفرا متساوية
العمق ويجعلون الاخشاب
متساوية الطول ويجعلون
الحفر سطورا متقابلة لايختل
سطر منها عن الاخر بحيث
انها تكون هــــــكذا
لكن تكون كلها على نَمَط واحد
وخط واحد فيدخلون في كل

°	°	°	°	°	°
°	°	°	°	°	°
°	°	°	°	°	°
°	°	°	°	°	°
°	°	°	°	°	°
°	°	°	°	°	°
°	°	°	°	°	°

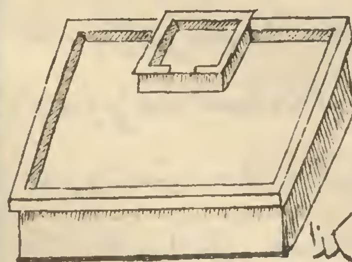
حفرة

حفرة خشبة من الاخشاب ويجعلون شعاب كل صف متجهة
لجهة واحدة ويضعون عليها خشبة طويلة تسمى بَلْدَايَا اى
يضعونها بين شعاب الصف فاذا كمل على تلك الهيئة ياتون بفروع
رفيعة تسمى مطارق فيجمعون منها كل اربعة او خمسة بسواء
ويربطونها بلحاء الشجر حتى تصير حزمة ويوصلونها بغيرها
وهكذا حتى تصير طول اللقدابة



المذكورة ويجعلون من الفروع
جملة على هذا النمط ويرتبونها
كلها مربعا واحدا مستطيلا
فى وسطه مربعات فتكون
صورتها هكذا
ويضعونها فوق البَلْدَايَات المذكورة ثم يضعون البوص عليها
وهو مجعول حزَماً ويربطونها مع الفروع باللحاء فيتكون من
ذلك سقف جميل بالنسبة لبنائهم ففى وَرَّيْدَيَا يكون هذا المحل
واسعا وعلى هذه الصفة عالا السقف بحيث يمر تحته الراكب على
الهجين ولا يمس السقف راسه وكان قبل ذلك دانى السقف لا يمر
تحته الا الفارس فاتفق ان حضر عند السلطان رجلان ممن اتقن

ركوب الابل وادعى كل واحد منهما انه افرس من صاحبه في ركوب
الابل وتشاجرا ثم اتفق رايهما على ان يركبا ويمرا ببعيريهما من تحت
اللقداية فتراهنا على ذلك وخرج السلطان والناس من اللقداية
وركبا وجاءا راكضين فلما وصلا الى اللقداية احدهما نقز فصار على
ظهر اللقداية وترك بعيره وجرى مسرعا فصادف بعيره وهو
خارج من تحت السقف فركبه ومر سريعا لم يعقه شي والثاني
حين وصل الى اللقداية مال الى جانب بعيره ومسكه بيديه حتى
خرج من تحت اللقداية فكل منهما جاء بشيء غريب فاحسن اليهما
السلطان واعترف الناس لهما بصناعة الركوب وانهما كفرقدي
سماء وشذ بعض فادعى ان الذي ترك بعيره وجرى على ظهر
اللقداية اصنع وشذ اخرون فادعوا ان الذي مال في جنب
البعير اصنع وحكم له السلطان ومن ذلك الوقت زيد في
علو اللقداية ثم ان السلطان ان
جلس في هذا الديوان يجلس
في وسطه ولذلك بنوا له فيه
محلا عاليا لكن مركزه اعلا من
جانبيه هـــــكذا



فالمحل

فالمحل العالى المتوسط هو محل جلوس السلطان والذى اقل منه
من جهة اليمين هو محل جلوس العلماء والذى عن يساره هو محل
جلوس الاشراف والفقهاء وعظماء الناس وامامه رَحَبة واسعة
فاذا اراد السلطان الجلوس لديوان عام او ملاقات بعض رسل
الملوك او يوم فرح وسرور زُيِّن محل جلوسه بالزردخانات والمقصبات
ووضعوا فى المحل المذكور كرسيا وعليه مرتبة من الحرير فجلس السلطان
فى ابهته وجلس العلماء والفقهاء والاشراف حوله ووقف وزيراه
بين يديه وهما المسميان بالامينين ووقف رئيس تراجمته امامه
قريبا منه ووقف التراجمة الستة امام الترجمان الاول بين كل
ترجمانين مسافة قليلة بحيث كل ترجمان يسمع ممن يليه سمعا
جيدا ووقف الكورُكُوا بالصفافير خلفه وصاحب الدِنقَار معهم ووقف
عبيد السلطان واصحاب سجنه وغضبه وراء الناس وجلس الناس
الباقيون كل واحد فى المحل اللايق به ووقف ملك الموجيه قريبا
من الترجمان الاول وقد انتظم المجلس وقد رسمنا كيفيته فى باب
عوائد الفور فراجعه ان شئت   واما ان جلس السلطان
فى وَرّيبَايَا فان مجلسه يكون مختصرا وهو اشبه بمجلس سرلان
اللقداية التى يجلس فيها صغيرة وحـ لا يقف امام السلطان الا

ترجمان واحد وموجيه واحد او اثنان وان كثروا فثلاثة والسلطان
قد يكون جالسا واكثر ما يكون جالسا بالليل وقد يكون راكبا
واكثر ما يكون ذلك بالنهار وان جلس ففى محل عال لكنه غير مزيّن
ولا فرش له الا سجادة واحدة وبازائها مخدة وقد ذكرنا سابقا
ان من العوائد ان السلطان لا يسلّم عليه الا بدُوكَّراى دُوكّاوانه
اذا بصق مُسِح التراب الذى بصق عليه فى الحال واذا تنحنح قالوا
صوتا كصوت الوَزَغ وبيناه هناك اتم تبيين فلا فائدة فى الاعادة
هذه كيفية مجلس سلطان الفور واما كيفية مجلس سلطان
الوَادَاى فتختلف فاننا نذكر ان الوادَاى دائما يحجبون السلطان عن
اعين الناس ويشددون فى ذلك فلا يتمكن احد من رؤيتــه
جيدا ولا تجتمع عليه الملوك كما تجتمع على سلطان الفور لانهم
يرون ان عدم اجتماع الناس عليه اهيب له وانفذ لكلمته ولما
كان الامر كذلك وخيف من وقوع ظلم واجحاف رُسم ان يجلس
السلطان للمظالم فى يوم الاثنين والخميس وجعلوا الجلوسه
ذلك كيفية مخصوصة تقام فيها نواميس الملك ويزجر الظالم
وينتصف المظلوم ورتبوا له مجلسا بحيث يحصل المقصود من
غير اختلاط بالعالم وسنذكر ان بنآء الوادَاى قد يخالف بنآء الفور

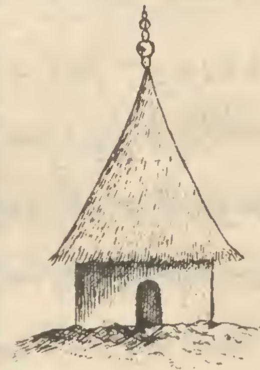
فى ان

في ان الفور لا يبنون باللبن الا قليلا وان الوادای اكثر بنائهم
باللبن فجعلوا المجلس المعد لذلك عاليا ما يجلس فيه السلطان
مع بعض خواصه في يوم الاثنين والخميس ولا تراه الناس وانما
يعرف جلوسه فيه براية يبرزونها من طاق في المجلس الذي هو فيه
وبصوت البَرَدِيَّة فمهما برزت الراية وضربت البَرَدِيَّة وهي طبل
كالكوبة المسماة في مصر بالدَرَبُكَّة لكن صوتها عال شديد
فيسمع الكَبَرْتُو فيبوقون بالبوقات ويضربون بالتِكّلْ فتسمع
الناس خصوصا وإنَّ من كانت له دعوة يترقب ذلك اليوم فيجلسون
كلهم في الفاشر وان الكَماكِلَة دائما جالسون في الفاشر لسماع
الدعاوي وان ارباب المناصب والمراتب يترقبون في ذلك اليوم
جلوس السلطان في الديوان فتحضر التراجمة المسمون بخَنْشُم
الكلام والعَقَدَة والملوك على طبقاتهم ويحضر القاضي واشراف
الناس والعلماء فيجلسون في ظل شجر في الفاشر يسمى ذلك الشجر
بالسَيَال فمتى اخرجت الراية من الطاق وضربت البردية دخل خنشم
الكلام ورقى من سُلَّم في داخل البيت وخرج من طاق لمصطبة
معدة لجلوسه بحيث يصير قريبا بمسمع من السلطان ووقف
هناك واصطفت العساكر وجلس القاضي والعلماء في مراتبهم

وكذلك الاشراف والتجار وجا من له دعوة رفعها الى السلطان
وذلك بعد ان يقول ختم الكلام السلطان يبسلم عليكم يا اهل
الفاشر السلطان بيسلم عليك يا قاضي السلطان بيسلم عليكم
يا علماء وهكذا كما يفعل في يوم الجمعة ولنرجع الى ما نحن بذكر الفور
فنذكر نبذة في صفات تَنْدَلْتي فاشر السلطان وفي بيته وصفة كل
منهما حسب الامكان فنقول وتندلتي فهي الآن قاعدة مملكة
الفور واول من نزلها وخطها من الملوك السلطان عبد الرحمن
سنة ١٢٠٦ من الهجرة واما صفة ارضها فرملية كاحد الاقواز يشقها
واد بالعرض وهذا الوادي رجل من الوادي الاكبر المسمى الكوع ففي
ايام الخريف يمتلأ ذلك الوادي ماء فلا يعبره عابر الا من محل بعيد
من جهة المشرق وفي وقت نضوب المياه وذلك تارة في اخر الشتا
وتارة في اول الصيف يحفرون فيه الابار ومنها تشرب اهل الفاشر
كلها والسلطان لخوفه من السحر يشرب منه تارة وتارة ياتون
له بماء من جديد السيل لانه قريب من تندلتي من جهة الشرق
بنحو فرسخ وبناء الفور كله من قصب الدُخْن وحيطان بيوتهم
الخارجية كلها بالشوك ويسمون الحائط الخارجي زريبة والحائط
الداخلي صريفا والبيوت اعني المساكن كلها على هيئة قبة الخيمة

فيكون

فيكون الصريف لها كالطُرْلُكْ لكن البيوت اصناف في البناء بيوت
المساكين وهي مساكن عندهم تسمى بالبيوت وهي من قصب الدخن
وبيوت الامراء والملوك وهي مبنية من المرَهَبَيْب كما سنذكر ذلك
ومنها ما يسمى سُكَتَايَة ومنها ما
يسمى تُكُلْتِي ومنها ما يسمى كُرُنْك فاما
السكتاية فصورتها هـــــكذا



فهي كقبة الخيمة الا انها طويلة رفيعة
من اعلا ويأتون ببيض النعام فيثقبونه
كل بيضة ثقبين من محورَيْهَا ويدخلون
في الثقب عودا فيجعلون في العود ثلاث بيضات او اربعا بينها كرة من فخار
احمر اما اسفل ذلك او اسفل ابريق من
صناعة كِيرِي وينصبونه على قمة القبة
واما التُكُلْتِي فهو بيت شكله هـــكذا



من اعلا نصف كرة وقائم على دُرْزُوِيَتَيْنِ واما الكرنك فهو مثله الا انه قائم
على اربع دُرْزُوِيَات والسلطان يضع بيض النعام على سكاتيه وتكاليه وكرانكه
ويكسوا اعلاها ثيابا حمراء وبيضاء هكذا ليتميز بها عن غيره
واسفل دائرة سكتايات السلطان والاياكري والسراري وكبار الدولة

مبني من الطين واما اعلاها فمن المرهبيب وهو عزيز الوجود وهذه
الداير تسمى دُرْدُرْ قطره كقطر الخيمة المعتادة واعلم ان اهل
الفاشر منقسمون الى قسمين احدهما اهل وَرَّيْدَيَا والثاني اهل
وَرَّبَابَا وبيت السلطان بينهما فاهل وريديا يسكنون جهة
باب الرجال المسمى بوريديا واهل وربابا يسكنون جهة الباب
المسمى وربابا فزريبة السلطان موضوعة على شفير الوادي في
العلو الكائن هناك فهي شمال الوادي وليس بينها وبينه الا خطوات
قليلة وممتدة الى جهة الشمال مسافة بعيدة وباب الرجال يفتح
جهة الشمال امام الفضاء المسمى بالفاشر وهو متسع عظيم يكاد
ان يكون ثلثي دايرة ونذكر الان صفة زريبة السلطان وبيوته
اما الزريبة فهي من شوك الكِتِر والحَشَاب ثلاثة صفوف بين
كل صفين جذوع من خشب فيها بعض تفاريع محفور لها في الارض
حفر عميقة والشوك من امامها وخلفها كالبنيان المرصوص
علوه اطول من قامة والجذوع بارزة منه وفي كل سنة يجدد ما
حصل فيه خلل وبين الشوك وبين المساكن مسافة
نحو اربعين خطوة ولوَرَّيْدَيَا اربعة ابواب كل باب عليه بوابون
يبتنا ويون حفظه والابواب ليست كالابواب المعهودة اعني

انها

انها من الواح الخشب بل
هى اعواد مربّطة بالقد النيئ
اعنى غير المدبوغ على هيئة
شباك هـــــــكذا



وقد جعل فيه سلسلة من
حديد وكل فجوة باب مجعول فى حافتها اعواد كثيرة من
خشب فتجعل السلسلة فى عود منها ويدخل فى
الحلقتين قفل كاقفال الصناديق ومسكن البوابين
قريب من الباب فاذا دخل الداخل فى وَرَّيْدَا يا من
اول باب يجد داخل الباب فضاء واسعا وفى اخره اللِقْدَابَة
الكبرى التى هى ديوان السلطان فتكون على يسار الداخل
وقد ذكرناها سابقا ورسمنا صورتها فلا اعادة وعلى
يمين الداخل محل الكُورَايَات وهم فى عرفنا سُوَّاس الخيل
والأَصَابِل قريبة منهم وهى لقدابة طويلة قليلة العرض
مربوط فيها خيول الملك وبعد الاصابل بيت النحاس
وبيوت خدمته قريبة منه والباب الثانى لسُومِنْدُ قُلَة
والباب الثالث لكُورْكُوَا والباب الرابع للطواشية وبين

كل بابين فضاء وصريف حاجز وعليه مركب الباب وايضا
داخل الباب الثانى لقدابة اخرى يجلس فى هذه اللقدابة
السلطان مع خواصه وداخل الباب الثالث لقدابة
ثالثة صغيرة يجلس فيها السلطان مع خواص خواصه
وداخل الباب الرابع الحرم والجوار ومحل سكنى السلطان
كما سنبينه بالرسم ان شاء الله واما وَرَّيْبَايَا فهو
باب يدخل منه الى فضاء طوله اكثر من عرضه وفى اخره
لقدابة كبيرة تكون مثل ثلث اللقدابة الكبرى التى فى
وَرَّيْدَايَا وهذه اللقدابة عن يسار الداخل وعن يمينه
من بُعد ابنية للفَلَاقنَة وللبوابين وداخل الباب الثانى
لقدابة اخرى اصغر منها يكون فيها السلطان بالليل
مع من يحب من خواصه وعن يسار هذه اللقدابة
الباب الثالث وهو كانه فى ركن وقد رسمنا هنا
صورة الزريبة السلطانية والبيوت كما ترى فى الصحيفة
الاتية بعد هذه لانك تعرف ما ذكرناه فى ذلك مفصلا
وتكون كانك قد شاهدت ذلك عيانا وهذه الصورة
فيها صفة دار السلطان فى الجملة

الشمال

الشمال

دار القاضي عز الدين

سوق

جزارين

دار الشكناوى

دار الكامنة

حصين ود نمارى

امين حامد بن الانصارى

ابراهيم ود رماد

فاشر

دار عبد الله ود النو

دار سعيد برك

الباب الاول وهو باب وريديا

زريبة

عبيدية

قلاقنة

بوابون

بيت الميرم حوا والانصارى زوجها

بيت الامين يوسف

لقدابة وريديا والكبرى وهو ديوان السلطان

الغرب

الشرق

الباب الثاني

صريف

الباب الثالث

لقدابة السر

الباب الرابع

دنكاية

خزينة السلطان

خزينة

محل اقامة السلطان

باب

بيت الفقيه مالك

بيت الامين دردوك

الباب الثالث اى باب الحريم

عبيد بوابون

لقدابة وريبايا

الباب الثاني

الباب الاول وهو باب وريبايا

قلاقنة

دار عيسوى

زريبة

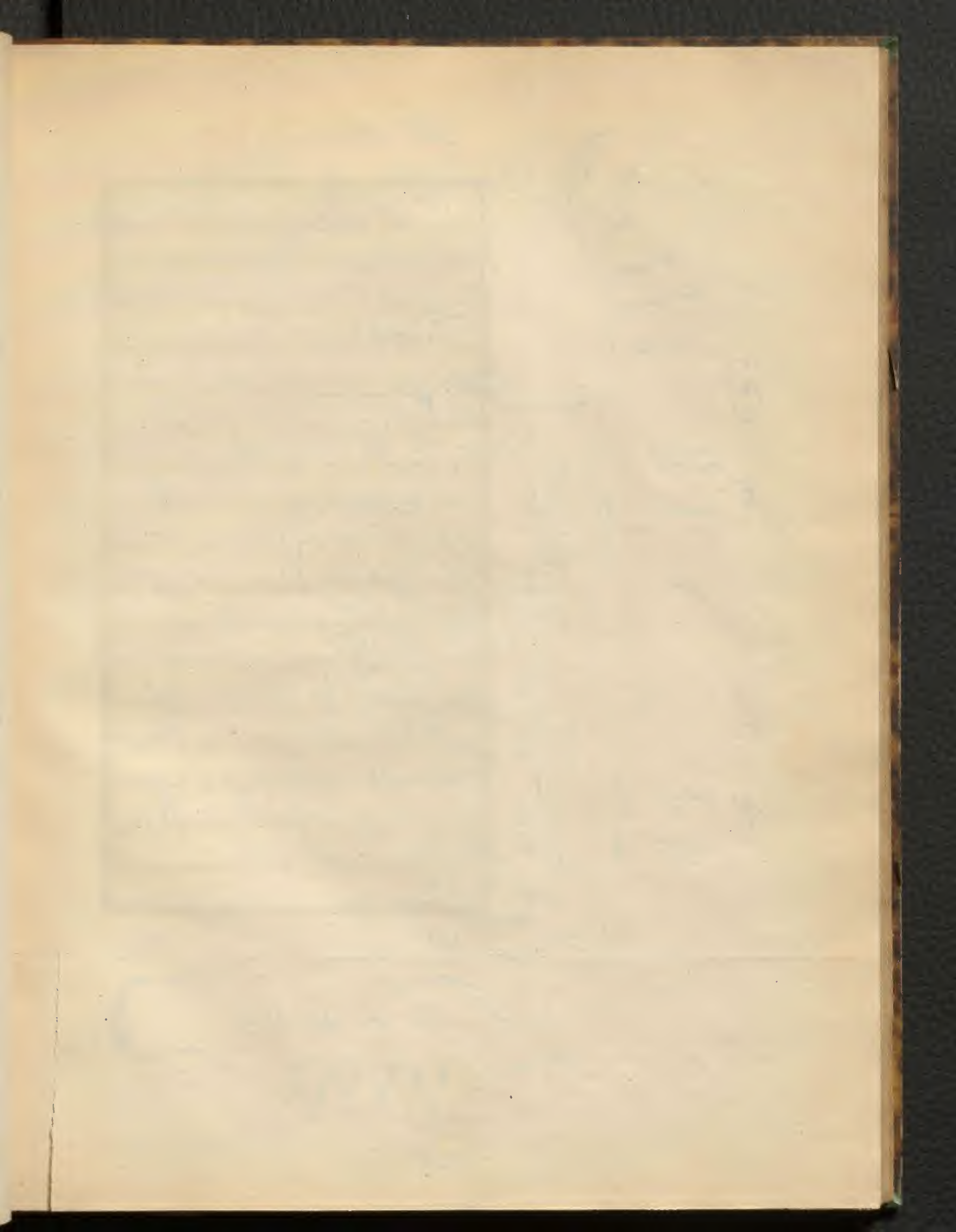
لقدابة

الوادى وهو رجل وادى الكوع

بيت الاب الشيخ

دار السلطان

الجنوب



واعلم ان اهل الفاشر سواء كانوا اهل وَرّيْدَايا او اهل وريبايا
كل منهم يحافظ على محل سكناه خَلَفا عن سَلَفٍ فكل من تولى
منصبا يبنى بيته فى محل صاحب المنصب الاول او قريب منه فمن
كان من اهل وريدَيا لا يسكن فى وريبايا وكذلك العكس ولا
خصوصية للاقامة فى ذلك لانهم يحافظون على اماكنهم ولو
فى السفر فلو انتقل السلطان بعساكره مسافرا متى ما
نصبت خيمته فى بقعة نصب العساكر حسب ذلك
كل منهم فى محله المعلوم بحيث لا يكون بين المدينة فى الاقامة
وبين المنزلة فى السفر فرْق الا كبر المنازل واتساع البيوت
واما الجهات فكل منهم يعرف محل البعض فكانهم فى المدينة
ومن ذلك ان السلطان ياتى بالليل الى المنزلة فيعرف
محل سكناه من غير سوال وكذا اتباعه كل وزير وامير يعرف
منزله وما ذاك الا من المحافظة على المنازل وفى ذلك فوايد
منها انه لو ارسل السلطان لانسان يطلبه بالليل لا يسئل
المرسل احدا بل يعرف ان منزلة فلان فى الجهة الفلانية فيذهب
اليه من غير سوال احدٍ وكذا لو ارسل بعض الوزرآء او الملوك
لبعضهم حيث ان المنازل محفوظة لهم لا يتعب رسلهم بل

كل منهم يعرف منزل صاحبه وهذا من اغرب مايكون **واما
زيهم فى الملابس فاعلم** ان بلادهم فى الحرارة بمكان
عظيم ولشدة حرها لا يمكنهم ان يلبسوا الا الثياب الخفيفة
لكن يتفاوتون فى ذلك فالاغنياء يلبسون الثياب الرفيعة جدا
بيضاء كانت او سودا واما الفقرآء فانهم يلبسون ثيابا خشنة
واما السلطان والوزرآء والملوك فان كل واحد منهم يلبس
ثوبين كالاقمصة رفيعين جدا إمّا مما يجلب لهم من مصر او
مما يعمل فى دارفور لكن ان كانا من البيض فانهما يكونان فى
غاية من البياض والنظافة وان كانا من السود يكونان نظيفين
ايضا ولا يتميز السلطان عن غيره فى ذلك الا بما يلبسه زيادة
على القميصين وذلك انه يضع على راسه كشميرا وهم لا يمكنهم
ذلك والسلطان يتلثم بشاش ابيض يضع على راسه منه
طيات وعلى فمه وانفه لثام منه وعلى جبينه ايضا بحيث لا
يظهر منه الا الاحداق لكن اللثام يشارك فيه أُورُونْدُلْك
والكامنه فانهما يتلثمان كالسلطان وكذلك السلاطين
الصغار يتلثمون ايضا لكنه يتميز بالسيف المذهب والحجاب
المذهب وبالمظلة ان كان راكبا وبالريش وبالسروج المذهبة

والركاب

والركاب وعدة الجواد التي لا يمكن سواه ان يجعلها على جواده وان
كان في محل جلوسه لا يتلثم الا هو وحده ومَن ذكر لا يمكنهم
ان يتلثموا بحضرته الا ان كانوا راكبين معه او كان كل منهم
في محل حكمه وديوانه وانواع ما تلبسه اهل دارفور الاغنياء من
الملابس من المجلوب الشاش والبفت الإنجليزي والثياب الحرير
في يوم المهرجات كيوم العيد ويوم تجليد النحاس ولهم ملاحف
يتلفعون بها وهي كالملاءة التي يتلفع بها في اقليم مصر وهي إما
من الالاجة او من الشاش لكن يكون لها هدب طويل وهذه الملحفة
يتوشح بها او توضع على الصدر والاكتاف واذا حضر لابسها
امام السلطان يشد بها وسطه وذلك من كمال الادب عندهم
وان كان من غير المجلوب فالكَلْكَف وهو ثوب من قطن غزله
رفيع جدا طوله عشرون ذراعا وعرضه ذراع واحد ومتوسطهم
يلبس من المجلوب النَشُوتَر وهو كناية عن العبك المصبوغ
ازرق ويجلب لهم بعض قماش من المغرب اي من بلاد الوَدَاي
والبَرْنَو والباقِرْمَه يسمى التيكَو والقُدَانِي لكنها غير عريضة
لان عرض الشقة قيراطان لا غير فيتعبون في خياطتها والتيكَو
والقُدَانِي المذكوران سود لكن القُدَانِي مع انه اسود يرى في لونه

بعض حمرة فهو كلون رقاب الحمام السود ومن عجيب ما رايته
في ذلك ان لابسه اذا تنخم خرجت النخامة من صدره سودآ
وذلك ان النيلة تدخل في مسام جسمه حتى توثر في صدره
وبالجملة فالغني سلطانا كان او وزيرا او ملكا يلبس ثوبين
وسراويل وعلى راسه طربوش وباقي الناس لا يلبسون
الا ثوبا واحدا وسراويل وملحفة ان تكن وعلى راسه طاقية
بيضا او سودا واكثرهم يكون راسه عريانا واما نساؤهم
فانهن يلبسن مئزرًا في اوساطهن يسمى في عرفهم الفردة
ثم الابكار يلبسن فوطة صغيرة على صدورهن يقال لها الدُّرَّاعة
وهي لبنات الاغنياآ تكون من حرير او ألاجة او بفت ولبنات
الفقرآ تكون من التكاكي ويربطن في اوساطهن الشرطة
يجعلن فيها الكَنَافِيس والكُنْفُوس عندهن عبارة عن
منسوج عرضه اربع قراريط طوله نحو من ثلاثة اذرع تاخذه
الواحدة منهن وتدخل طرفه من الامام في الشريط التي في
وسطها وتفوت الطرف الاخر بين فخذيها وتشبكه في
الشريط من الخلف وهو كالحفاظ عند نسآء المدن في ايام
الحيض الا ان الكُنْفُوس عند نسآء الفور لا يلبسنه لاجل الحيض

بل

بل يلبسنه مطلقا واذا تزوجت البكر لبست ازارا كبيرا
يسمى في عرفهم الثوب وهو عبارة عن ملاءة تلتف فيها
المرأة ثم هو على قدر مقامات الناس في الغنى والفقر فنسا
الفقراء اثوابهن من التَّكَاكِي والاغنياء من الشَّوْتَر او الكُلكُو
او التيكو او القُدانى او البفت ولا يكون من حرير ولا من
الاجة واما حُلِي النسا عندهم فانهن يلبسن الحُزام وهو
للاغنيآء من الذهب وللمتوسطين من الفضة وللفقرآء من
النحاس وهو على نوعين حلقي وشوكي فالحلقي عبارة عن
حلقة فيها ثلم وهذا الثلم تجعل
فيه مرجانة وهذه صورتـــــه



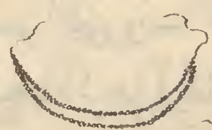
والشوكي عبارة عن حلقة نصفها
غليظ ونصفها رفيع كالشوكة يجعلن فيه اربع مرجانات
بينها حبة من ذهب او ثلاث حبات احداها ذهب وراس
طرفه الغليظ كحبة مربعة الاسطحة
وصورته هـــــــكذا



ويلبسن في اذانهن اخراصا كبارا
من فضة يزن الخرص منهن نصف رطل ولئلا يضر اذانهن

يربطنه بعلاقة فى روسهن تحمل ثقله عن الاذن وهو عبارة
عن حلقة واسعة احد طرفيها شوكى والاخر كالحبة المربعة
الاسطحة كالخزام ومن لم تجد خزاما ولاخرصا تسد ثقب
انفها بمرجانة اوحبة خرز مستطيلة وتسد ثقب اذنيها
بقطعة من لب بوص الدخن او الذرة او قطعة من خشب
ويجعلن فى اجيادهن عقودا من انواع الخرز كالمَنْصُوص وهو
عندهم عبارة عن خرز اصفر من كهرباء وهو نوعان كروى
ومفرطح وتختلف افراد كل منهما فى الصغر والكبر والرَّيْش وهو
عندهم عبارة عن خرز مستطيل ابيض فيه خطوط حلقية
ابيض منه وخطوط سمر وهو على انواع احسنها المسمى عندهم
بالسُومِيت وكله جامد صلب كانه من رخام يجلب من
الهند وهو خرز رفيع مستطيل كثير الخطوط فيه سمرة م
والعَقِيق هو عبارة عن خرز احمر كروى كله يتفاوت فى الكبر
والصغر وهو من عقيق والمرجان وهو نوعان نوع يسمى
القَصّ وهو خرز اسطوانى مستطيل قليلا ونوع يسمى
المُدَرْدَم وهو خرز كروى ودَمُ الرُعَاف وهو نوع خرز احمر
داكن منه ما هو اسطوانى ومنه ما هو كروى وهو من زجاج

يجلب

يجلب من بلاد اوربا والقاو وهو مرجان صناعى كروى
وطويل كله فيعملون من جميع ذلك عقودا ويلبسنها
كل منهن على قدر حالها فى اليسار وعدمه فترى منهن
من يكون لها عقد واحد ومن

يكون لها اثنان هكذا
ومن يكون لها ثلاثة واغناهن

لا تزيد على اربعة عقود هكذا
ويرتبن الخرز المذكور فيها ترتيبا
حسنا بحيث يألفه النظر ويميل للابسه القلب ويضعن
على روسهن تمايم من حب نبات يسمى الشُوش وهو
حب صغير احمر كالجلنار وفى جانب كل حبة منه نكتة سودا
وهذا الحب رويته مفرّحة جدا وودع وفول وهذا الفول
عندهم ذو الوان منه ما هو احمر ناصع الحمرة ومنه ماهو تبنى
اللون ومنه ماهو اسود ومنه عسلى فيثقبن الشُوش
والودع والفول وينظمن الشوش وحده تمايم لكن يجعلن
فى اسفل كل تَمِيمَة اما جلجلا او ودعة ويجعلنها
عناقيد هكذا


لكن يفصلن بين كل تعريجة بخرز ازرق ويلبسن في
اوساطهن خرزا على انواع فنسآء الاغنيآء يلبسن خرزا كبيرا
مثل الجوز يسمى عندهم رُقاد الفاقه ونسآء المتوسطين
يلبسن المنجور ونسآء الفقرآء يلبسن اما الحرش واما الخذور
وجميع ما ذكر يعمل في الخليل من بر الشام لكن رقاد الفاقه
املس جدا وهو ما بين اخضر وازرق واصفر ومشاهرة
وهو خرز اسود منقط بنقط بيض والمنجور كذلك في الالوان
الا انه اصغر حجما منه وفيه حروشة وعدم اتقان في صناعته
والحرش في لونهما لكنه صغير كحب السبحة مع الحروشة
الكلية وله غضون واما الخذور فانه حب اسطواني وهو
اما احمر او ابيض ويلبسن في اذرعتهن عقدا يسمى المذرعة في
المفصل بين الزند والساعد وهو عقد مركب من خرز اسطواني
طول الخرزة من نحو قيراطين وهو اما ابيض او اسود ويسمى
النشور فينظمن خرزة بيضا وخرزة سودا ويفصلن بين
كل خرزتين بحبة اما من المرجان الحر او من المرجان الطبخ اي
الصناعي او من حب الرعاف وذلك على قدر حالهن في الفقر
والغنآء ومن حليهن اللدّاي وهو سلك غليظ من الفضة

نصف دايرة في طرفيه اعوجاج كالسنّارة فيوخذ سلك رفيع من
النحاس وينظم فيه مَنصُوص ومرجان وعقيق ويربط طرفاه
في الاعوجاج الذى كالسنارة من
الطرفين فيكون السلك الرفيع وما
هو منظوم فيه كالوتر للقوس وصورته هكذا



فيجعلن الوتر قريبا من جباههن ويشبكن السلك الغليظ
في شعورهن ويلبسن في اياديهن اساورا من عاج او من قرن
فاذا كانت من قرن سميت بالكيم او من نحاس وبنات الاغنيا
من الفضة والعاج معا وفي ارجلهن الخلاخيل وهي من النحاس
للجميع لكن بنات الفقرآء من النحاس الاحمر وبنات الاغنيآء من
النحاس المخلوط بالتوتيا فرارا من حمرة النحاس المعروفة الى الاصفرار
القريب للون الذهب ويجعلن من انواع الخرز الرفيع الملوّن
عصابةً على جباههن وفي اياديهن واما طيبهن فهو السُنبُل
والمَحلَب وكعب الطيب وهو المسمى بعرف الفور عِرق أُمّ ابيض
لسبب لونه الابيض بشئ اسمر واصفر وبعرف مصر عِـرق
بنفسج بسبب رايحته وخشب الصندل وشئ كالمحار
الصغير يقال له الظُفر وهو اسمر الى سواد والشَيبة والمَرسِين

وبعض الاكابر يتطيبون بالجلاد وهو جلد نوافج المسك وعندهم
ثمر شجر ذكى الرائحة يسمى الدَايُوق وهو حب احمر يميل الى الصفرة
يسحقنه النسآء ويخلطنه بطيبهن ومن عادتهن ان يكتحلن
بالاثمد لكن لا يضعن الكحل في اعينهن بل يجعلنه على الاجفان
السفلى والعليا من الخارج فيلتصق عليها بواسطة الدهن
ويكحّلن عشا قهن كذلك. فترى الشباب والشابّات كلها
متكحلة كذلك ومن عادتهم ان العاشق ياخذ من محبوبته شياً
من حليها المعروف ويلبسه افتخارا له وتذكارا لاسمها واذا
اصابه مُهِمّ اوعثر يقول انا اخو فلانة وهى تقول كذلك ايضا
واكثرهم لا غيرة له على عرضه فربما دخل الرجل داره فوجد امراته
مع غيره فى خلوة فلا يغضب ان لم يجده على صدرها واما اذا
دخل ووجد ابنته او اخته مع اجنبىّ لا يسوءه ذلك بل ربما سُرّ
به وظن ان ذلك يكون سببا لزواجها ومن عادتهم
ان البنت اذا طعن ثديها يفردون لها محلا تبيت فيه
وياتيها من يحبها فيه وتبيت معه ومن ذلك يقع الحبل
باكثر بناتهم ولا عار عليهم فى ذلك وولد زنا عندهم
ينسب لخاله وكذلك البنات فالبنت التى تكون من هذا

القبيل

القبيل يزوّجها خالها وياكل من صداقها مالاً لاسيما ان كانت
جميلة وبالجملة لا يمكن في دار الفوران تمتنع النسآء عن الرجال
ولا الرجال عن النسآء بل لا يمكن الرجل ان يحرز ابنته تحت كنفه
ولو كان عظيما اما ان كان فقيرا فانه يهاب ويوذى وربما قتل ومن
ذلك ما اتفق ان رجلا كانت له ابنة وكان يغار عليها ولا يرضى
ان يكلمها اجنبى ومن شدة خوفه عليها كان يقهرها على
البيات معه في المحل الذى هو فيه وكانت من الجمال بمكان فكان
الشباب ياتون على عادتهم الى بيت ابيها فاذا حس بهم
زجرهم ولعنهم وطردهم فلما اعياهم امره احتالوا عليه واخذوا
قرعة مستطيلة قليلا تقرب من الشكل البيضى تنتهى بعُنق
وفتحوها من اعلا واخرجوا لبها ومَلَوْهَا غائطا وبولا وحركوه حتى
امتزج ببعضه وتوجهوا الى منزله ليلا ونادوه يا والدنا مُرْ
فلانة تاتِ لنتحدث معها فقام على عادته ولعن وسب وزجر
فما افاد ذلك بل قالوا له نحن لا نبرح حتى تخرجها لنا فاغتاظ
منهم وخرج قاصدا طردهم ومن عادتهم انهم كانوا اذا سمعوا انه
خارج اليهم يفرون منه لهيبته الا في تلك الليلة فانهم ثبتوا
ومسك احدهم القرعة من عنقها وكمن له حتى اخرج راسه

من باب البيت فرفع يده بقوة وضرب بها راس الرجل
بالقرعة فانكسرت على راسه وسال الخبث الذى فيها على
راسه وثيابه ووجهه فلما شم الرايحة الكريهة صاح يشتم
فقالوا له اسكت هذه الليلة فعلنا هذا معك والليلة القابلة
ان عارضتنا قتلناك فايقظ الرجل اهله وجاؤوه بمآء فاغتسل
وتطيّب ونام وخاف منهم فلما اصبح افرد لابنته حجرة لنومها
قهرا عنه وجرت عليها عادتهم وان كان غنيا صاحب
حشمة وابّهة وعبيد وخدم يتحيلون فى الدخول الى الحريم
بالليل ولو على زى النسآء ومن ذلك ما اتفق ان رجلا من اكابر
الناس له سبعة اولاد ذكورا وله بنت واحدة وكانت فريدة
حسن وقد خطبها منه اناس كثيرون فابى عليهم فحين
طال الامد على البنت تحيلت وادخلت شابا لطيفا من
الشجاعة بمكان فمكث عندها ما شآء الله ان يمكث
وافتقده اهله فلم يعرفوا له جهةً فاتفق انه أُتِىَ بشراب
فشرب ولما اخذته النشوة طلب الخروج فقالت له البنت
أصبِرْ الى الليل فابى وقال لا اخرج الا الآن وغلب عليها وخرج
وكان ابوها واخوتها جالسين على باب بيتهم فما شعروا

بالشاب

بالشاب الا وهو خارج فصاح ابوهم على بواب البيت اقفل
الباب فلما قفل الباب امر العبيد بالقبض عليه فاجتمعت
العبيد ليقبضوا عليه فجرح منهم اناسا وامتنع عليهم فخرج
الاولاد السبعة مجردين السلاح عليه قاصدين قتله
فناشدهم الله الا ابعدوا عنه وتركوه ان يمضي الى سبيله فابوا
وتراموا عليه ففر منهم ورماهم بالحراب فقتل واحدا منهم
فكبر عليهم ذلك ورموه بالسلاح يرومون قتله فصار
يذب عن نفسه ويرميهم حتى قتل من الاولاد ستة وجرح
السابع جرحا خفيفا فحين راى والدهم ذلك نادى يا غلام
افتح له الباب ففتح له وخرج ولم يكن به جرح ولم يعرف من هو
لانه كان متنقبا وكانت ابنته سببا في خراب بيته وقتل
اولاده ووقايع كثيرة من هذا القبيل تذهب الدماء فيها
هدرا لان البنت التي يكون هذا الامر من شانها لا تخبر
الناس باسم القاتل ولا من هو بل قصارى امرها اذا سئلت
عمن فعل هذا الفعل ان تقول لا اعلم ولا يسلم من هذا الامر
بيت فيه انثى الا اذا كانت وحشا او بها عاهة تنفر الناس عنها
وقد اجتهد السلطان عبد الرحمن في منع ذلك فلم يمكنه ذلك

حتى انه جعل فى السوق خصيانا كثيرين يمنعون النسآء من
مخاطبة الرجال والاختلاط بهم فاحتالوا فى ذلك حيلا عجيبة
منها ان الرجل كان يمر بالبنت التى تعجبه فيقول لها يا بنية
مَالُهْ راسك شَيْئٌ مِثْل دِيكْ السُوكْتَايَهْ وَمَالُهْ اعنى لاى
سبب وشين بعرفهم غير جميل فتقول هى وَيْنُو السوكتايه
الشين المِثْل راسى وَوَيْنُو يعنى واين هو فيقول دَيْكَا اى
ذاك وينعتها لها باصبعه فتعرفها وبعد المسآء تذهب
اليه فتبيت عنده ولم ينفع الحرس بشى كما انه اجتهد فى
منع شرب الخمر فما امكنه واحتالت الناس حيلا عظيمة
حتى كانوا ياتون لبيوت الخمارين ويشترون منهم الخمر
ويورون لمن يراهم انهم يشترون خبزا فكانوا يقولون
بلغتهم تُفْرُوبَا يِنْسَا اى خبز كُمْ عندها اى هل عندكم خبز
فان خافوا ان يكونوا جواسيس طردوهم بقولهم اِكْيَا يعنى
ما عندنا وان عرفوا انهم اغراب يدخلونهم داخل الدار ويعطوهم
ما يريدون وكان السلطان فى اثنآء ذلك يامر بشم افواه من
حضر مجلسه من اكابر الدولة وهم اكثر الناس ادمانا على
الخمر فاستعملوا لازالة الرايحة مضغ فروع شجر يقال له الشعلق

فكانوا

فكانوا يشربون كفايتهم ثم يمضغون منه فلا تشم من افواههم
رايحة الخمر البتة وهذه عوايد ارتكزت في طبايعهم و امتزجت
بدمهم ولحمهم فصارت سُنّة متبعةً وان كانت في الاسلام
محرمة ومن عوائدهم ان الرجل اذا تزوج وكان فقيرا ولم يواسوه
اهله الاغنياء وجاء يوم الوليمة يعمد الى مرعى المواشي حتى يجد
ماشية اقرب الناس اليه فيعقر منها ما يكفيه لوليمته ثورا
او ثورين او بعيرا ان كان صاحب ابل وان لم يكن شيء من ذلك
ذبح اكباشا على قدر كفايته فان فطن رب المال له ومنعه قبل
العقر ربما قاتله الان يغلب وان شح وطلبه للقاضي يلزمه
القيمة فيدفعها له على التدريج ان لم يكن متيسر الحال ومن
عادتهم ان الغلام اذا اختتن يجتمع عليه في ثالث يوم ختنه
الى سابع يوم جميع غلمات البلد وغيرهم ممن له بهم قرابة او معرفة
وياخذون السفاريك ويخرجون في بلدهم والبلاد القريبة منها
فلا يرون دجاجة الا قتلوها وان قدروا على ضبطها بالحياة
اخذوها حتى يجتمع عندهم دجاج كثير ولا يقدر احد من الناس
يعارضهم في ذلك وكل من عارضهم ضربوه وهم صغار لا تقام
عليهم شريعة ومن عادتهم ختن البنات لكنهم في ذلك على

اقسام فمنهم من لا يرى ذلك ابدا وهم اعجام الغور ومنهم من
يخفض خفضا خفيفا كعادة اهل مصر وهم اكابر الناس ومنهم
من ينهك الخفاض حتى يلتحم المحل ببعضه ويجعلون لمسلك
البول ماسورة من صفيح وهولآء اذا زوّجوا ابنتهم لا يقدر
الرجل على افتضاضها حتى يشقون له المحل بالموسى وهنالك
نسآء لهذا المعنى وفي وقت الولادة كذلك ايضا وهولآء
اكثر بنات الفقرا المنهمكات مع الرجال دايما ويفعلون ذلك
خوف الافتضاض بالزنا ومع ذلك يقع الحبل فيهن وهن على
تلك الحالة وفي خفاض البنات يعملون امرا حاطيمة ويولمون
الولائم العظيمة ومن عاداتهم ان اقارب البنت المخفوضة من
الرجال يقفون خارج المحل الذي تخفض فيه البنت والنسآء يكن
عندها فان صوتت وقت الخفاض وصاحت لعنوها وتركوها
وان صبرت وهبها كل من اقاربها على قدر حاله وقرابته فمنهم
من يهب لها بقرة ومنهم من يهب بقرات ومنهم من يهب
لها رقيقا ومنهم من يهب لها شاة او شياها حتى تصير
من ربات الثروة وابوها وامها يهبان لها اكثر من جميع
الناس ان كانوا اغنيآء ومن عاداتهم ان يثقّلوا مهور البنات

فربما

فربما تزوجت البنت الوسيمة من الفقرآء بعشرين بقرة وجارية
وعبد فياخذ الاب والام جميع ذلك ويعقدون العقد على جذعة
من البقر ولذلك يفرحون بولادة الاناث اكثر من ولادة الذكور
ويقولون ان الانثى تملا الزريبة خيرا والذكر يخربها ومن عادتهم ان
البنت اذا تزوجت تمكث بعد الدخول بها فى بيت ابيها سنة
او سنتين ولا يمكن خروجها لبيت زوجها الا بعد جهد جهيد
والنفقة فى تلك المدة على ابيها وما ياتى به الرجل فى تلك المدة
يكون على سبيل الهدية ومن عادتهم ان الرجل اذا خطب بنتا
وكان قبل ذلك له اختلاط بابيها وامها وكانت لها اختلاط بابيه
وامه ايضا تذهب تلك المخالطة بمجرد الخطبة ويستوحش
كل منهم فبعد ذلك اذا راى الرجل ابا البنت المخطوبة او امها يفر
من الطريق التى هو عليها وهما كذلك وكذلك البنت تفر مهما رات
اباه او امه وفى اثناء ذلك اذا دخل الرجل البيت يرسل السلام لام
البنت امامع البنت او اختها او جارية فى البيت ونحو ذلك
وهى ترسل له السلام ايضا ولا يتلاقيان ولا يزالون كذلك
حتى يبنى بها فعند سابع يوم من البناء يخرج ويقبل راس حماه
وحماته ويجتمع عليهما وكذلك البنت ومن عادتهم ان كلا من

الزوج والزوجة يرى اقارب زوجه كاقاربه فيحترم الرجل حماه
ويخاطبه يا ابنى وام امراته يخاطبها بامى واختها باختى وهى
كذلك ويرون ذلك من اكبر الحقوق عليهم فصل
في اصطلاح تزويج الفور لما كان المتوحد فى ذاته
وصفاته وافعاله غنيا عن الزوج والولد ما انفصل عن احد
ولا ينفصل عنه احد اذ لا يحتاج لما ذكر الا الحادث المسكين الذى
لا سند له الا الله ولا معين وهو سبحانه وتعالى حى قيوم لا
تاخذه سِنَةٌ ولا نوم واحدٌ أَحَد فَرْدٌ صَمَد لم يتخذ صاحبةً
ولا ولد ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له كفوا احد
خلق ادم ابا البشر من التراب وخلق حوآء زوجه من اقصر
ضِلَع من الجهة اليسرى على الصواب ولما كان سِرُّ خَلْقِهِ ان
يكون خليفةً فى الارض ويملأَ من نسله طولها والعرض ركّب
فيهما الشهوة البشريةَ ليحصل التناسل وِفْقَ الارادة السنية
وكان ادم حين خُلقت حواء فى سِنةٍ من النوم ولما افاق
رأها امامه على ترتيب منظوم فوَقَعتْ منه موقعَ الاعجاب
وقال لها من انت يا اعز الاحباب قالت انا حواء وقد خلقنى
الله من اجلك يا ادم وقدّر ذلك من أزلٍ تقادمَ فقال لها هلم

الىّ

الىّ فقالت بل انت تعالَى الىّ فقام ادم اليها فصارت عادة الرجال
الذهابَ الى النسآء ولما ان جلس معها ومس بيديه جسمها
دبّت فيه الشهوة الانسانية واراد مواقعتها كما هو مقتضى
الحيوانية قيل له مه يا ادم لا تَحِلُّ حواء الا بصَداق وعقدِ نكاح
ثم ان الله سبحانه وتعالى خطب خطبة نكاحهما بكلامه القديم
فقال الحمد لعزتى والعَظمةُ هيبتى والخلق كلهم عبيدى وانى
أُشهِدكم يا ملائكتى وسكان سمواتى انى زوجت بديعة فطرتى
حوآءَ أَمَتِى لادم خليفتى على صداق ان يسبّحنى ويُهلِّلنى فكان
ذلك سُنَّة لاولاده لكن لما اختلفت الاقاليم واللغات وتعددت
القبائل والاصطلاحات كان اصطلاح كل قوم مباينا لاصطلاح
اخرين وإنْ كان العقد والمهر واحدا فمن اصطلاح الفوران
الشبان اناثا وذُكرانا ينشؤن جميعا ففى صِغَرِهم يرعَون
الاغنام ولا حجاب بينهم على الدوام فربما اصطحب الشاب
والصبية من ذلك الحين وانعقدت بينهما المودة التى لا
تَبْلَى على ممر السنين فمتى احبها واحبته ركن اليها وصار يغار
عليها ولا يرضاها تحادث غيرَهُ وح يرسل اباه او امَّه او احد
أقاربه فيخطبها فاذا انعقد بينهما الكلام ونفذ على وفق المرام جمعت

الناس للاملاك وحضر الشهود للملاك فيذكرون شروطا كثيرة
ويطلبون اموالا غزيرة وكلها ياخذها الاب والام او الخال او العم
ويعقدون لها على شئ قليل من ذلك المال الجزيل وكنا قد ذكرنا
نبذة من ذلك فلنرجع هنالك ثم بعد تمام العقد يتركون الامر نسيا
منسيا مدة طويلة ثم يجتمعون فيما بينهم ويتشاورون
فينعقد رايهم على وقت فيه يزفّون فان كان العروسان من
ذوى البيوت الفخام والمراتب العظام ابتدا اهلهما في تهيئة الذبايح
والشراب قبل العُرس بايام كثيرة ثم يرسلون الرسل الى احبابهم من
البلاد ويقولون العُرس في اليوم الفلاني المعتاد ويكون قد حضروا
من المِزّر والنبيذ الاحمر المسمى عندهم بِأُم بُلْبُل ومن البقر والغنم
ما فيه كفاية فتاتى الناس في اليوم الموعود افواجا وهناك
نسآء معهن طبول صغار وكبار كل امراة معها ثلاثة طبول
اثنان صغيران واخر كبير على هيئة الدَرَبُكَّة تضعها تحت
ابطها الايسر احدُها وهو الكبير من اعلا والاثنان يحاذيان
اسفل الكبير وتضرب بيدها على الثلاثة ومجموعها يسمى
عندهم الدَلُّوكَة وكلما جاءت طائفة خرجت النسآء
بالطبول ويضربنها ويقلن كلاما يمدحنها به منه قولهن

هَىْ بَاىْ هَىْ بَنَاتْ
وَبْنِينْ حِسّ البَنَانْ
يَاهَزَّازِينْ القَـنَا
أَرَيْتْ مَايجِيكُمْ فَنَا
عَيْنْ الحَسُودْ بِالعَمَى
يَاهَزَّازِينْ الجِرَابْ
أَرَيْتْ مَايجِيكُمْ خَرَابْ
عينِ الحَسُودْ فِي التُرَابْ

وكلما قالت كلاما قالت قبل ان تقول غيره هَىْ باىْ هَىْ بنان وبنين حسّ البنان انما هذا الكلام لا يعنى شيا بالحقيقة وكنتُ مرّة جئتُ الى عرس فتعرضت لى امراة وقالت

الشَرِيفْ جَاىْ مِنْ المَسِيدْ
الكِتَابْ فِي إِيدْ
وَالسَيْفْ فِي إِيدْ
وَمِنْ قَبَلْ يجِيبْ
البِرْقِـدْ عَـبِيدْ

وكنتُ احفظ من كلامهن كثيرا نسيتُه فتخرج اصحاب العرس

ويتلقون القادمين وكل طائفة تاتى رجال ونسآء فيجعلون كل
طائفة فى محل وياتون لهم بالاطعمة والاشربة على حسب مقامهم
فمنهم ياتونهم بالعصائد والمِزر المسمى فى مصر بالبُوزة واللحم السليق
والشِوى ومنهم من ياتون له بالفطير والشراب الاحمر الذى كالنبيذ
المسمى عندهم بأُم بُلْبُل وان حضرهم جماعة من الفقهآء اتوهم بالعصائد
واللحوم وبالسُوبْيَا وتسمى عندهم دِينْزَايَا ثم يقيلون فى اماكنهم
حتى يبرد الحر ويعظم الفئ فتخرج الشابات من النسآء صفوفًا
صفوفا وكل من النسآء يقابله صف من الشبات وتخرج النسآء
التى معهن الطبول فيضربن ويقلن من كلامهن فيبرز صف من
صفوف النسآء يمشين هونًا ويرقصن باكتافهن ويتقاصرن
الى الارض حتى يصلن الى صف الرجال فكل شابة تعمد شابا حتى تضع
وجهها فى وجهه وتهز راسها نحوه حتى تضربه بضفائرها فى
وجهه وضفائرها اذ ذاك مدهونة بالطيب وانواع ما يعرفونه
من العطر فيَهيج الشابُّ ويهز حربته على راسها ثم تلتفت
راجعة فيتبعها حتى الى مكانها الاول فيقف فيه الرجل وترجع
هى القهقرَى حتى تصل الى المحل الذى كان واقفا فيه الرجل فحَ
من يتامل يجد صف النسآء ثبت فى مكان صف الرجال وبالعكس

واذا

واذا كان هناك بعض شبان لم يدخلوا فى الصف واحدى
الصبايا تريد ان يقابلها واحد منهم تالفه تخرج من الصف
وتذهب اليه راقصةً حتى تكب شعرها على انفه فيهيج ويصيح
ويهز حربته ويخرج وراءها وان لم يخرج كان ملوما وعليه وليمة
للخارجة له وبعد ان يثبت كل صف فى مكان الاخر تخرج النسا راقصات
والرجال راقصين وكل منهم مقابل للاخر وكل شابة مقابلة لشاب
حتى يتلاقا الصفان فى وسط المجال وكل شابة تكب راسها فى
صدر ووجه الشاب المقابل لها والشاب يهز حربته على راسها
ويصيح صياح الفرح وهذا الصياح عندهم يسمى الرَقْرَقَة وكان
النساء والرجال ثَمِلَ مما شرب ولايزالون هكذا حتى ياتى الليل
فترجع كل طائفة الى مقرها ويوتى لها بالاطعمة والاشربة هذا
ولا يخطر ببالك انه ليس عندهم رقص الا هذا النوع وهو المسمى
برقص الدَلُّوكَة وهناك رقص اخر يسمى بالجيل واخر يسمى لَنْقِى واخر
يسمى شَكَنْدَرِى ورقص العبيد والاماء يسمى تُوزِى ورقص
الفور يسمى تَنْدِكَا وهناك رقص اخر يسمى بَنْدَلَهْ وفى الاعراس
كل اناس يرقصون نوعا من هذه الانواع فالنساء الجميلات بنات
الاكابر يرقصن مع امثالهن من الشبان على الدَلُّوكة واواسط

النسآء مع امثالهن من الشبان يرقص الجيل ومَن دونهم يرقصن لَنْقِي فاما رقص الجيل فتتقابل فيه النسآء مع الرجال يرقصن باكتافهن ويضربن بارجلهن اليمنى على الارض والرجال كذلك لكن في كل حلقة هناك نسآء يغنين والناس ترقص على غنائهن وفي رقص اللَنّقِي بعض النسآء يغنين والشابات والشبان يضربن بارجلهم الارض ويرقص كل منهم برجليه اليمنى واليسرى لكن الشبان يكرون كريزا معروفا لهم واما الشَكَنّدَرِي فيجتمع الشبان والشابات وكل رجل ياخذ شابة امامه وتنحني هي ويمسك خصرها بيديه حتى يكونو الكلهم كدائرة مسلسلة اعني الانثى تضع يديها على حقوى الذكر الذي هو امامها والذكر يضع يديه على حقوى الانثى التي هي امامه وكلهم منحنيون حتى يكونوا كدايرة تامة ويمشون رويدا رويدا مع ضرب ارجلهم في الارض لاجل يسمع رنين خلاخيلهن والبنات التي يغنين خارجات عن الحلقة واما البَنْدَلَه فهي من انواع رقص العبيد وهو ان العبد ياتي بالنارجيل المسمى عندهم بالدَلَيْب ويثقبه وهو اكَرٌ مثل كرة المدفع وينظم منه ثلاثا او اربعا في خيط ويربطها في رجله كالخلخال في الرجل اليمنى وكل عبد يفعل ذلك وتقفو جارية من الجوَارِي خلفه ويكونون كدايرة ولهم

كريز

كرير مخصوص فيخرج العبد منهم لإخر في وسط الدائرة ويتحاول
معه في اللعب وهذا اللعب مبني على القوة وخفة الجسم كما
يلعب البهلوان فبعد ان يتحاولا مليّاً يضرب احدهما صاحبه
برجله التي فيها النرجيل فلا يخلو اما ان يوقعه في الارض اوّلا
فالماهر هو الذي ان ضرب صاحبه اوقعه و الباقي يرقصون رقصا
لا تكسر فيه وكلهم يردّون على المغنيات وهذه المغنيات خارج
عن الحلقة واما التُوزِي فهو ان عبدا من العبيد يضرب على
طبل كبير والنسآء والرجال حوله حلقةً وكل رجل واضع يديه على
حقوى امراة وكل امراة واضعة يديها على حقوى رجل لكن مع
الانتصاب والاعتدال لا مع الانحنا ويمشون رويدا والنسآء يضربن
ارجلهن ببعضها لترن الخلاخيل التي في ارجلهن ومشيهم
كلهم في الدايرة و المغنيات خارج الحلقة واما التَنْدِكَا فهي لعب
البرْقِد والفور وهو اشبه بالتُوزِي وانما الفرق بينهما في
كون ان التُوزِي يمشون فيه رويدا والتَنْدِكَا بحركات عنيفة
وبالحقيقة العبارة لا تفي بذلك لان المشاهدة بشئ اخر فربما
يرى المشاهد شيا لا يمكن التعبير عنه ولكل رقص من الارقاص
غناء مخصوص فاما غناء الجيل فمنه قولهم ·

يُوبَانِي هَي يُوبَانَيْنْ

اللَيْلْ بُوبَى يَالْمُتْقَالْ

أَنَا رَاسِي إِنْدَارْ

اللَيْلْ بُوبَى يَالْمُتْقَالْ

أَنَا رَاسِي إِنْدَارْ

وهذه الكلمات يوباني هي يوبانين لا تعني شيا لكن واحدة منهن تنشد وتقول الليل بوبى يالمتقال فتقول النسآء الاخر انا راسى اندار ومنه قولهن

اللَيْلْ بُوبَى

دَارْ فُورْجَفَهْ

أَنَا رَاسِي نُوَى

ومنه قولهن

فُرَيْعْ الحَانِيَّهْ

سَبْبَتُوا الجَانِسِيَّهْ

وَيَا فُرَيْعَا الصَنْدَلْ

فِي بُوَيْتْنَا قَامْ رَنْدَلْ

واما غنآء اللَنْقِي فمنه قولهن

يَا عِيَالْ

جِيبُوا الْمَالْ

نَهِيضْ دَلْدَكْ وَدْبِنَيَّةْ

صَبُّوا دَرِيزْ الْجَبَلْ فِي كَرِيُو

نَهِيضْ دَلْدَكْ وَدْبِنَيَّةْ

واما غناء التَّنْدِكَا عند الفورقنه قولهن

بَا سِي طَاهِرْ دُقُلَا

بِي لَبَا وَدُويَكْ أَبَا

كِتَابْ مُصْحَفْ لَكْ حَلْفِينْفِيَا

تْرِيْمُدُو كُبِي رَايْلَا

تَارْكَا مُدُو صَقَلْ جُوَجِي

ولو تتبّعنا غناء انواع الرقص لطال الحال فبعد ان ياكلوا ويشربوا يزفون العروس بالدَلُّوكَة ويلفون بها حول البلد وياتون بها للمحل الذى أُعدّ للدخول عليها فيه ثم بعد العشآء بكثير تجتمع الشبان وياخذون العريس ويزفونه بالغناء والرقرقة حتى ياتون به الى المحل المعلوم فيجلسون خارجه وح جميع الشابات مجتمعة مع العروس والشبان مجموعون عند العريس وقد

استوزر العريسُ اعز اخوانه لانه حـ كالسلطان واستوزرت
العروسُ امراةً وسمّوها ميْرَمْ فبعد ان يجلس الرجال مع عريسهم
يطلبون الميْرَمْ فلا تخرج لهم الا بعد نحو ساعتين فيتقدم لها الوزير
ويسلم عليها بلطف يلتمس منها حضور العروس فتقول لهم من
انتم ومن اين جئتم وما هي العروس التي تريدون فيقول الوزير اما
نحن فضيوف وقد جئنا من بلاد بعيدة ونريد المَلِكَة تؤانس
ضيوفها فتقول له اما الملكة فمشغولة بشغل عظيم وها انا
وكيلتُها في ضيافتكم وقراكم وما يلزم لكم فيقول الوزير نحن نعلم
ان فيك البركة والكفاية لكن لنا معها كلام لا يمكن افشاؤه لغيرها
فتقول له اذا كان كذلك فما للملكة وما لي لان عادتها ان لا
تبرز من حجابها ولا تاتي لطلابها الا بجُعْل فيقول لها المال والارواح
وكل ما طلبتِه فلا يزال يحاولها وتحاوله حتى يتراضيا وهذا كله
والعروسة قريبة منهم وراء ستارة لكنها لا تتكلم بشيء والعريس
ايضا ساكتٌ كذلك والمحاورة بين الاثنين فاذا وقع التراضي رفعتْ
الستارة فتخرج العروس فيقول الوزير اما الملكة فللملك وما ذا
لنا نحن فتنادي الميْرَمْ للبنات التي مع العروس فيحضرن وتقول
لهن ايتها البنات اريد منكن في هذه الليلة ان تؤانسن

اضياف الملكة فيقلن لها حبا وكرامة وهي تعلم كل صبية ومحبوبها
فتقول يا فلانة كوني مع فلان وانت يا فلانة كوني مع فلان وهكذا
حتى لا يبقى الا التي لا محبوب لها او الذى لا محبوبة له فياخذ كل
شاب محبوبته ويبيت معها ان وسعهم المحل الذى هم فيه وصورة
ذلك ان يبيت العريس وعروسه والمَيْرَمْ والوزير وكل زوجين
معا صفا او صفين على حسب سعة الموضع وان لم يسع
المحل جميعهم بقي مَن وَسَعَه المحل مع العروسين وذهب الباقي
فكل شاب منهم ياخذ محبوبته ويتوجه بها الى بيتها او الى بيت
بعض احبابها ولا يذهب بها الى بيته لانها لا ترضى ذلك لان عادتهم
ان الشاب متى ما احب صبية وعلمت امها بذلك لا تقابله ابدا
ولا يقابلها واذا رائته في طريق ولم تر لها مخلصا منه بركت في
الارض وسدلت ثوبها على راسها ووجهها حتى يمر وهو كذلك
يفعل يعني ان راها وعرفها يرجع على عقبه هاربا ان امكنه ذلك
والا ادار وجهه لنحو حائط او شجرة حتى تمر ثم يرسل لها السلام
ان كان معه احد وكذلك هي تفعل بعد مروره ان لم يكن معه
احد ترسل له السلام ان كان معها احد وهذا كله عندهم
من نوع الحياء والتعظيم وعندهم اهل الزوجة محترمون فامها

كامه بل اشد احتراما وابوها كابيه بل اشد واخوتها كاخوته
وهي مثله في ذلك اذا رات امه او اباه فرت وسلكت طريقا
غير طريقهما وترسل السلام او يرسل اليها ولا تواجه احدا منهم
وتعتبر اباه كابيها وهكذا مثل ما ذكرنا في الرجل ولذلك تذهب
مع محبوبها الى محل اخر ولا ترضى ان تذهب معه الى بيته بل
ان ضاقت الاماكن بكثرة الناس وليس هناك دار سوى
دار ابيه لا تذهب معه اليها بل يذهبان الى الخلا ويبيتان
فيه واما دار ابيها من حيث ان لها محلا معدا لذلك يبيت
معها فيه من ارادت ولا يراها ابواها فان الرجل يذهب معها
اليه ويخرج عنه الفجر وابواها نائمان فلا يراه احد منهما ولنرجع
الى ما نحن بصدده فنقول ثم يبيتون تلك الليلة فاذا اصبح
الصباح قامت كل صبية وتوجهت الى بيت ابويها فتُصْلِح شانها
اعني انها تغسل وجهها واطرافها بل ربما اغتسلت ثم تتطيب
وتكتحل وتجدد زينتها وكذلك العروس تدخل عند امها فتُصلح
شانها وكذا الرجال يذهبون الى ديارهم ان كانت قريبة فان
كانت بعيدة كأن كانوا من بلد اخرى يذهب كل منهم الى دار
صاحب له فيُصْلِح شانه هناك وكذلك النسآء ان كانت

المراة من بلد اخرى تذهب الى دار حبيبة لها تصلح شانها فيها
لان الشابات اللائى حضرن للعُرس مع كل شابة منهن كحلها
وعطرها وما تحتاج اليه فتصلح شانها ويجلسن حتى يقرب الضحى
فتاتى الميرم الى محل الزفاف و العريس غائب عنه اعنى عند قيامه
لاصلاح شانه هو الاخر فتقمه وتنظفه وتفرشه وتهيئ مجالسه
هى وبعض صواحبتها فياتى العريس فيجده نظيفا فيجلس هو
ووزيره وتنهل عليه الشبان فيجلسون معه ثم اصحاب العرس
بالخيار ان شاؤا جعلوا السبعة ايام كلها بالرقص والدلوكة
وان شاءوا اقتصروا على يوم واحد فان ظهر اقتصارهم جلس
الضيوف الى وقت الغذاء وبعد تناولهم الطعام رجع كل منهم
الى بلده ولم يبق الا اهل البلد الذى هم فيه وان لم يروا الاقتصار
وعلموا ان اصحاب العُرس يريدون ان يمتد عرسهم الى
السبعة ايام اقاموا ويظهر ذلك بتجدد الذبائح وعصر الخمور
والتهيئ تنبيه اعلم ان اهل كل بلد من البلاد الذين دُعُوا الى
مثل هذه الوليمة ياتون اما ببقرتين او ثورين او ثور او بقرة او
بشياه اعانة لصاحب الوليمة وان كان لهم اقارب خارجين
عن بلدتهم ودُعوا ياتون باثوار او بقر غير ما تاتى به اهل بلدتهم

اعانة ثم يمكثون نهارهم كله في لَعِب وضحك وانشراح واكل
وشرب وطيبِ محادثة الى العصر فتضرب الطبول التي هي
الدَلُّوكَات ويفعلون مثل ما فعلوا في اليوم السابق حتى الى الليل
فياتيهم الطعام والشراب وبعد فراغهم من ذلك يجتمعون رجالا
ونسآء في محل الزفاف فيتحادثون حتى الى نحو نصف الليل ثم ياخذ
كل شاب حبيبته ويبيت معها حيث باتا امسهما ويبقون
على ذلك المدة المذكورة واذا أَعْوَزَ الامر الى الذبايح بأَن كان ما
أُعِدَّ للذبح لم يكفِ من حضر خرج ابو العروس او اخوها او احد اقاربها
الى المرعَى فكلما وجده من البقر امامه عقر منها ثورا او ثورين او بقرة
او شياهًا وبعد العقر يرسل الجزارين فيذبحون العقير وياتون
بلحمه الى الضيوف وهكذا فاذا بلغ الخبر صاحب البقر فلا يخلو إمّا
ان يطلب الثمن فيرضونه او يسكت حتى يبقى له عرس او لِاحد
اقاربه فيعقر هو الاخر ما يريد من بقر من عقر بقره ودَقّة بدُقّة
ولذلك اذا عُمِل عرس تخاف ارباب المواشي من العقر فيامرون
رعاتهم ان يُبعِدوا بها في الخلاء لانهم لا يعقرون الا من الاموال
القريبة المرعَى وهذه سُنّة جارية فيهم وفي تلك المدة العروس
كالملكة وصواحباتها معها في لعب وانشراح والعريس كذلك ومن

عادتهم

عادتهم ان العريس لا يفتض عروسه الا بعد السبعة ايام
مع انهما يبيتان متعانقين لا حائل بينهما ويجعلون ذلك كرامة
لها ولابويها لانهم يقولون الليلة الاولى في كرامة ابيها والثانية
في كرامة امها والثالثة في كرامة اخيها ان كان او اختها وهكذا
حتى تتم السبعة ايام ومن استعجل وفض قبل تمام ذلك عُيِبَ
عليه وقالوا قد استعجل ولكن من المحال ان يفتضها قبل ثلاث
ليال **عجيبة** من عوائدهم ان المراة لا تاكل امام زوجها ولا
غيره من الرجال واذا دخل زوجها وهي تاكل قامت وفرت وهذا
عندهم من اكمل الحياء ويقبحون على المراة التي تاكل امام الرجل
وحين كنتُ هناك ورايتُ ذلك قلت لهم انستحي من الاكل مع
الرجل ولا تستحي من النوم معه وانه يدخل بين شُعَبِها ويولج
فيها ويرى فرجها وما هي عليه قالوا ذلك لا ضرر فيه واما
تفتح فآها وتدخل فيه الطعام امام الرجل فهذا شيء قبيح اهـ
ومن عادتهم ان الرجل لا ياخذ عروسه ويبني بها في بيته بل في بيت
امها وابيها ولا تخرج معه حتى تلد ولدين او ثلاثة فان طلبها
للنقلة معه قبل ذلك ابت عليه وربما وقع الطلاق بينهما بسبب
ذلك ومن عادتهم انها لا تذكر اسمه على لسانها ابدا بل دائما

تقول قال لى كذا وكذا فاذا سئلت من الذى قال تقول هو حتى يولد
لهما فتى وُلِدَ لهما قالت ابو فلان او ابو فلانة باسم من يولد ان
كان ذكرا او انثى ومن عاداتهم ان الرجل لا يُنفِق على المراة بعد الزفاف
الا بعد سنة فان جاء بشىء قبل السنة جاء به على سبيل الهدية
مع انه لا ياكل الا عز مما ياكلون فيمكن انهم طبخوا شيا قبيحا لهم
من المآكل الرديئة ويذبحون له دجاجا او حماما او لحما ومن عوايدهم
ان الرجل مدة ما هو فى بيت ابى زوجته يصنعون له طعاما جميلا
جدا غير العشآء يتناوله بالليل اما مرة او مرتين او ثلاث ويسمون
الاول بلغة الفور جُرِى جَرَاكْ والثانى تَارْكَا جِيسُو والثالث
صُبُحْ جَلُّو ومرادهم بذلك تقويته على الجماع واما اسمه بلغتهم
العربية وَرَّانية واكثر الاغنيآء ياكلون بعد اكلهم العشآء لانهم ربما
جاءهم ضيف فلم يتمكن من التَشَبع لحيائه من الضيف او كان العشا
غير جيد فلا بد له من وَرَّانية ومعنى قولهم جُرِى جَرَاكْ انزع القميص
فان جُرِى معناه قميص وجَرَاكْ معناه انزِعْ وتَارْكَا جِيسُو
معناه مَسْك الرِجْل فان تَارْكَا معناه رِجْل وجِيسُو معناه
مَسْك وصُبُح جَلُّو معناه طلوع الفجر واما الورانية فهى عربية
منسوبة لِوَرَاء ضد الامام لانه ياكلها وراء العشآء اى بعد ما

ياكل

ياكل العشآء ولهذا تجد بعض الناس اذا كان عنده من يعز عليه
من الاخوان وحضر العشآء معه واراد ان يقوم يمنعه حتى ينفض
المجلس ثم يدعو خادمه ويقول هل من شي يوكل فياتيه الخادم بالورانية
فياكلان معا وهذا لا يُفْعَل الا مع اعز الاصدقآء وهذه الورانية
تنفع احيانا للضيوف المُفَاجي بالليل الداجي وهذا كله ان كان عرسا
فان كان ختانا فعلوا ما ذكرناه من استحضار الاطعمة والمزر وامّ
بُلْبُل والدَنْزَايا ودعوا الناس ورقصوا على الدلاليك وزفوا
المطاهر وجاء المزيّن فختنه وابوه واقف فان بكى المطاهر فرّ اهله
منه وتركوه ومضوا وان صبر حال الختن ولم يبك قال ابوه اشهدوا
يا اهل المجلس انى اعطيت ولدى بقرة اوثورا اوعبدا اوامة
مما يقدر عليه وقالت امه كذلك وكل من حضر من اهله يهدى
له شيأ فان كان اهله اغنياء ناله منهم شي كثير فيصير غنيا
وذلك كله بحسب غناء اهله وفقرهم ثم يجتمع اترابه فى
ثالث يوم الطهور وياخذون السفاريك ويجوسون خلال
البلد يضربون الدجاج فيقتلون دجاجا كثيرا وفى رابع يوم
الى اليوم السابع يذهبون الى البلاد المجاورة لهم فلا يرون
دجاجة الا قتلوها وكل يوم يتوجهوا البلد يقتلون دجاجا

واصحاب الدجاج لايرون بذلك باسا وان كان خفاضا فعلوا
فيه كل ما ذكرنا الا الدجاج فلا يقتلونه والخفاض لا يتغالون
فيه كالختان ومما ذكرناه يعلم الواقف على رحلتنا اننا استقصينا
جميع ذلك لتمام الفائدة وحسن العائدة واعلم ان اهل دار
فور لا يستقلون بشي في امورهم بدون النساء بل انهن
تشاركهم في جميع احوالهم الا في الحروب العظيمة ولذلك ان
عرسا لا يتم الا بهن او حزنا كذلك ولولاهن ما استقام لاهل
دارفور شي فترى النساء يحضرن في الامور المهمة ومن ذلك
الاذكار وهي على ضربين ضرب يفعله اهل البلاد المستعربون
اعني من ليسوا بعجم وضرب يفعله اعجام الفور فاما الاول فهو ما
كان على طريقة شيخ من الصوفية او ولي من الاولياء وعلى كل
فتحضر حلقة الذكر امراة تنشد لهم والنساء خلفها وقوف
لا يتكلمن بل ينظرن ازواجهن واقاربهن ليعلمن ايهم احسن
ذكرا وقد ينشد رجل والنساء يسمعن كبقية الرجال ومن
ذلك ما وقع ان تلميذ الشيخ دفع الله حضر حلقة ذكر تلاميذ
الشيخ يعقوب وبين تلاميذ الشيخين معاندة فلما حمي الذكر اراد
احد تلاميذ الشيخ يعقوب ان ينكت على تلميذ الشيخ دفع

الله فقال

أَلْمَاعِنْدُو شَيْخًا فَرَاجَابَا
لَايَدْخُلْ دَرَقَةْ وَنَشَّابَا
أَلْمَاعِنْدُو شَيْخْ مَهْيُوبُ
لَا يَدْخُلْ حَلَقَةْ يَعْقُوبُ

فسمع تلميذ الشيخ دَفْع الله وعلم انه عناه بذلك فقال

نَدْخُلْ وَنَمْرُقْ مَتَعَافِي
بِالْنِيَّةْ وَآلْعَمَلْ أَلْصَافِي
دَفْعْ أَللّٰهْ فَوْقِ طَوَّافِ

نادرة حضرت امراة فى حلقة ذكر وانشدت

نُصَفِّي لَكُمْ مَرِيسَةْ دُوَانِي
وَأَنَا عَزَبَا بَيْتِي طَرْفَانِي
يَا فُقَرَا مَا فِيكُمْ زَانِي

فسمعها الذاكرون وكان فيهم شاب فهم المعنى وكان يقول الله حَيْ فصار يقول انا زانى انا زانى واما اعجام الفور فيقفون فى الذكر صفين او حلقة وكل رجل منهم خلفه صبية والنسآء ينشدن وهم يذكرون وذكرهم كرير فمن انشادهن قولهن

كُرُو كُرُّو يَن عَالِمًا نَمَا

صِحُ لَكُ كُويِ جَنَّهْ

صِحُ لَكُ كُويِ

ومعنى ذلك كُرُو معناها شجرة وكُرُّو معناها خضراء وعالما نما معناه ظلُّ العلماء وصِحُ لَكُ كُويِ صِحُ لَكُ كُويِ معناه صحيح نمشى الى الجنة صحيح نمشى الى الجنة ومعناه ان الشجرة الخضراء ظل العلماء ونحن ندخل الجنة حقا ندخل الجنة حقا ومنه قولهن

جَبْرَايِيلَهْ مِيكَايِلِيَهْ

كُلُّ سِبَا مُلْكَا الْجَنَّهْ

ومعناه جبرائيل وميكائيل كل حسنة يملك بها للانسان الجنة ومن قولهن

لِلَّهِ قُوىَ لِلَّهِ

شَهَرْ رَمَضَانْ أَللَّهْ أَنْدَوَا

كَالْفَارِنْبِيَهْ

ومعناه لله يا إماءُ الله شهر رمضان دواء الله فافرحوا به اه ومثل هذا كثير لو تتبّعناه لخرجنا الى الاسهاب وجلبنا الملل لأولي الالباب وفيما ذكرناه كفاية لكن من حيث اننا تكلمنا في التزويج وما

يتعلق

يتعلق به عن لنا اننا نذكر نبذة في حجاب النسآء وهم المسمون في مصر بالطواشية وبأغوات الحريم وبالتركية قزلر اغالر لانهم امنآء على الحريم ونقول

فصل في الخصيان المعروفين في مصر بالطواشية

لما كان الحق سبحانه وتعالى غيورا على عباده ومحارمه منتقما ممن تعدا حدوده بارتكاب مأثمه وكانت الغيرة وصفا من اوصافه ولذا حرّم الظلم على نفسه وخلافه جعل الغيرة مركوزة في طباع بني آدم من زمن سلف وتقادم واول من غار قابيل على اخته اقليما لما امر آدم ان يزوجها من هابيل ويزوجه من اخته ذميما فكان من الغيرة من امرهما ما كان وقتل قابيل اخاه كما ورد بنص القرآن بل قد توجد الغيرة في غير بني آدم من الحيوانات فيغير الحيوان على انثاه وتحصل المعاركات سيما والنسآء اكثر شبقا وغلمة ولا مروءة تمنعهن ولا همة وكان بعض الناس بلغ في الغيرة اعلاها وارتقى الى منتهاها حتى ان بعضهم لا يرون النسآء الا كالامآء ومنهم من هو كثير الغيرة حتى من الاخوان والابنآء بل منهم من بالغ في الغيرة فصار يغار عليهن من الليل والنهار ومنهم من يغار من عيون النرجس ان تراه كما قال الشاعر

من الكامل

غُضِّى جفونَكِ يا عيونَ النرجسِ ... مِنْكِ استحيتُ بأنْ اقبِّلَ مؤنِسِى

نامَ الحبيبُ تذبَّلتْ وَجَنَاتُه ... وعيونُكنَّ شواخِصٌ لم تَنْعَسِ

وبالغ بعضهم حتى انه غار على المحبوب من نفسه ومن المحبوب ومن الزمان والمكان كما قال الشاعر

من الهزج

اغارُ عليكِ من عينى ومِنّى ... ومنْكِ ومن مكانِكِ والزمانِ

ولو أنّى وضعْتُكِ فى جفونى ... الى يوم القيامة ما كفانى

ومثله قوله

من الهزج

فلو أمْسَى على تَلَفِى مُصِرًّا ... لقلتُ مُعَذِّبِى بالله زِدْنى

ولا تَسْمَح بوصلِكَ لِى فأنّى ... اغارُ عليكَ منكَ فكيفَ مِنّى

وارتقى بعضهم الى اعلا المبالغة فغار من الضمير حيث قال

من الطويل

اغارُ عليه من ضميرى فيالَهُ ... هَوًى رابنى حتى اتّهمتُ جوارحى

فتحيل الناس فى حراسة الحريم لما عندهم من داء الغيرة المُقْعِدِ المقيم فما راوا احسن من حراسة انسان يكون مقطوعَ اعضآ التناسل وهو الذى تطمئنّ اليه النفوس فى العاجل والآجل واكثر الناس احتياجًا لذلك الملوك والامرآء لان كل واحد منهم يجمع ما قدر عليه من النسآء بلا مِرا ولما كانت ملوك السودان اكثر الناس للنسآء جمعا وابذلهم فى ذلك وُسْعًا كان يوجد عند الملك من الخصيان

عدد

عدد كثير وجم غفير فيوجد عند سلطان دارالفور نحو الالف و
اكثر وعليهم ملك منهم وهم له كالعساكر وهو الذى يرتب فى
بيت السلطان ما يلزم منهم للحراسة ويبقى عنده ما زاد الى وقت
الحاجة والخصيان مكرمون عند الاكابر خصوصا فى دار الفور فان
لهم فيها سطوة واى سطوة والكلمة النافذة والقوة ومقام ومقال
وحال لا يماثله حال حتى ان لهم هناك منصبين جليلين لا يتولاهما
غير خصى احدهما منصب الابوة والثانى منصب الباب واقول
ان منصب الباب غير مختص بدارالفور بل فى تونس وفى قسطنطينية
كذلك واصل الخصيان الذين فى دار فور من بلد رُوكَا يخصونهم
هناك ويأتون بهم الى دار فور على سبيل الهدية لكنهم كثيرون
جدا ومنهم من يُخْصَى فى دار فور ولقد رايت حين كنت هناك
غلاما حسن الوجه جميل الصورة فى نحو الثمانية عشر خُصِىَ
فى دار فور وسببه انه كان من خَدَم السلطان محمد فضل
واحبَّ غلمانه الذين ربوا فى البيت وكان له سعدٌ قائم تحبه
النساء لقضاء اوطارهن غير الخنا وكان اسمه سليمان تير فحسده
اقرانه ونموا عليه عند السلطان فغضب عليه واراد قتله
فاشار عليه بعض وزرائه بخصيه وقال له من حيث ان الامر

كذلك اقطع ما يوذيك به ولا نقتله فخصاه وعاش واجتمعتُ
عليه وكان ذا منصب جميل وابهة حسنة الا ان السلطان
كان لا يالفه لصلاحه ولما قيل فيه ولقد سمعتُ من ثقات انه
احبل امراة وظهر حملها فسئلت فقالت من سليمان تير فغضب
عليه السلطان وخصاه وبعد ان برِئَ اعطاه المراةَ وولدَهَا
وقد ذكرنا سابقا ان الشيخ محمد كُرَّا كان اتهم بما اتهم به سليمان
تير فخصَى نفسه بيده دفعا للريب فحُظِي عند السلطان
وصار ما صار من امره **نكتة** مما وقع من عُتُوّهم وتجبرهم
ان اجتمع بعض امراء الغور في محل انشراح ونزهة وانبساط
وكان فيهم خصِيّ فجعلوا ياكلون ويشربون والخصي كواحد منهم
فاتفق ان واحدا من هولاء الامرا معه سنديل من حرير فابرزه في
المجلس وقال هل تعلمون لماذا يصلح هذا المنديل فقال احدهم هو
يصلح لمسح العرَق وقال الاخر هو يصلح للتجمل والزينة وقال الاخر
هو يصلح لان يجعل على صدر انثى جميلة وطفِقَ كل واحد يقول
ما بدا له وصاحب المنديل يقول لا ولما اعياهم امره قيل له قل
لنا انت لماذا يصلح فقال هذا يصلح للمسح بعد الجماع فاستحسنوا
قوله وسكتوا فما راعهم الا ان قام الخصيّ من بينهم صالتًا

سيفه يروم قتال صاحب المنديل وقال له أتعرض بي الى مقطوع
لا بد من قتلك فقاموا اليه وتلطفوا به وهو لا يرجع عن قوله
حتى ارضوه بخيولهم كلها وكان الخصي للخليفة ابن السلطان تيراب
الذين اسلفنا ذكرهما ومن عتقهم ان الشيخ محمد أورد كان
في ايام السلطان تيراب في منصب الابوة ومن عادة الاب ان
يتوجه لبلاده ومحل حكمه في كل سنة في فصل الربيع ويجمع اهل
البلاد في يوم واحد ويعرض الرجال ويرى العساكر فاتفق انه جمعهم
في يوم شديد الحر في رحبة واسعة امام داره ولم يخرج لهم حتى
فاتت القائلة فخرج في ابهته راكبا جواده والعبيد يظللونه من
حر الشمس ويجلبون له الهوا بالمراوح وخرج العسكر وصفوا
الناس صفوفا كدايرة وهو واقف ينظرهم وقد اشتد الحر وامر
الناس بالجثي على ركبهم وسلاحهم ودرقهم في ايديهم فكان الانسان
منهم لا يستطيع الجثي لشدة حر الرمضا وسال العرق وكثر
القلق ومكث مليا لا يامر بامر ولا ينهى عن شيء وعطش
الناس واخذ منهم حر الشمس اكبر ماخذ وهم صابرون على
ما قضاه الله عليهم حتى مات بعضهم من العطش ولما راى
قلق العالم وتحيرهم اعجبه ذلك وضحك وقال بلسان الفور

نَنُو نَنُو نَتُو يوما عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا وكررها مرتين او ثلاثا وكان
العالم المجتمع فى تلك الجَلَدْكَا اى العرض ما ينوف عن زُهاء عشرين
الفا وكان فيهم رجل صالح يقال له الشيخ حسن الكَوْ فبرز وقال
باعلا صوته اسكتْ يا كافر ثلاثا فاخذه الرُعْب من الشيخ
المذكور وولى هاربا ورفع الشيخ يديه الى السمآء وقال اللهم ارحم
عبادك فما تم كلامه حتى ارتفع السحاب مثل الجبال ونزل المطر وتفرق
الناس وكان يوما مشهورا وبسبب غضب الشيخ انه مَثَّلَ
نفسه بالإله ومَثَّلَ عرض الناس عليه بعرضهم للحساب ومَثَّل
شدة حر الشمس بشدة حر يوم القيامة ولذلك استشهد بقوله
نَنُو بالاية الكريمة ونَ بمعنى هذا وتُو بمعنى يوم والباقى هى نص الاية
الكريمة نادرة حكى ان الشيخ محمد أوْرِدَكَا المذكور كان قليل
العقل ومن قلة عقله انه لما تولى فى منصب الأُبُوَّة امر السلطان
تيراب ان يقرأ ليتعلم القراءة والكتابة فاحضر فقيها يعلمه
فكتب له حروف الهجآء وصار يقرء عليه فى كل يوم واستمر
على ذلك مدة ايام ثم انه ذات يوم طلب المصحف فجيئ به له
فتصفحه ونظر فى السطور فراى واوًا مفردةً فعرفها وقال
للفقيه إنْمَاكْ واوٍ يعنى اليس هذه واو فقال الفقيه نعم فقال قد

ختمت

ختمتُ القران وامر بذبح الذبائح وضرب الطبول وصنع
وليمةً عظيمة فعُدّت هذه من طيشه وخفة عقله اهم
ولنرجع الى ما كنا بصدده فنقول ومع كثرة الخصيان في دار
السلطان لم يَسْلَم من الدنس لان النسآء شياطين لا يغلبهن
غالب سيما وقد قام عذرهن بداعي كثرتهن في بيت السلطان
وهن في سن الشَباب والراحة وحُسْن المأكل والملبس
فللشهوة فيهن نصيب اوفر ولما سُجِن في هذا السجن
تحيلن على دخول الرجال بكل حيلة فمنهن من تصاحب من
الرجال من الخَدَمة الذين بالباب ومنهن من لها عجايز ياتينها
بالرجال بحيلة وهي ان العجوز تتامل في الفتيان حتى ترى الشاب
الجميل الذى لا نبات بعَرَضَيْه فتتحيل عليه بلطف حتى تاخذه
الى دارها ومن المعلوم ان شبان السودان لا يحلقون
رووسهم بل يوفرونها فتصير الوفرة لهم كشعر النسآء
وتجعل وفرته ظفائر كظفائر النسا وتُلبسه حُليّا كحليهن
من عقود وتمائمَ ومدارِع ومجور وتلبسه دُرَّاعةً وفردة وثوبا
بحيث لا يشك رائيه انه امراة وتدخله دار السلطان
بين نسآء فتى ولج ذهب خوفها وسلمته لمن ادخلته برسمها

فيمكث ما شاء الله ان يمكث فان ستر الله عليه خرج كما دخل
وان عثر عليه قتل ولا يعثر عليه الا باسباب منها ان تعلم امرة
احدى ضرائرها فتطلبه منها فتابى هى بخلا به او لا يرضى هو ان
يذهب فح يحملها الغيظ على ان تفتن عليه فيعثر عليه ومنها
ان السلطان يامر بالتفتيش فيحضر الطواشية كلهم ويفتش
معهم البيوت ومن وجدوه قتلوه ومنها انه يزهق من طول
المكث فيخرج وحده فيعثر عليه البوابون وهو خارج فيقتلونه
وان ستر الله عليه خرج واغلب من يدخل بالصفة التى ذكرناها
لا يخرج الا بالليل او مع نسآء كثيرة وهو فى وسطهن ومن العجائب
من يتحيل فى خروج النسآء من بيت السلطان بان يُنكّرن
المراة منهن بثياب مِهْنة قَذِرة ويخرجنها امام الناس جهارا
فاذا اعترها البواب او احد الخصيان قيل له هذه امراة مسكينة
كانت دخلت معنا تلتمس معروفا ومنهن من يُدلّس
عليها الخصيان وذلك لا يكون الا اذا علم الخصى انه ان عرض
انفتح له مَهْوىً فقتل فيه فح يسكت قهرًا عنه وتدخل
المراة وتخرج وتدخل من شاءت ولم تخش باسا ومن ذلك
ما وقع من بعض محاظى السلطان صابون مع تُرْفُنْكْ محمد

ابن

ابن عمها وسنذكر ذلك في سيرة السلطان صابون سلطان
دار الوداي ان شاء الله تعالى واعلم ان نساء السودان كثيرات
الشبق والغلمة اكثر من غيرهن لامور الاول لفرط حرارة الاقليم
الثاني لكثرة مخالطتهن للرجال الثالث لعدم صونهن واستقرارهن
في البيوت فمن ذلك ترى المراة منهن لا تقنع بزوج ولا بخليل واحد
على حد قول الشاعر

ايا من ليس يرضيها خليل ولا الفا خليل كل عام
اراك بقية من قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام

من الهزج

الرابع لعدم اقتصار ازواجهن عليهن لان الرجل منهم ان كان ذا
قدرة نكح من الحرائر اربعا وتسرى بغيرهن من السراري وكل ذلك
على قدر حاله والنساء شقايق الرجال والنفس واحدة في الشهوة
والطبع خصوصا وعندهن من الغيرة ما لا مزيد عليه فيتحيلن
على الاجتماع بغير زوجهن وياخذ كل منهن في ضروب من الحيل
تتوصل بذلك الى مرغوبها وان كان لا يقدر على التسري طمح نظره
الى غير امراته فمتى علمت امراته بذلك حداها حادي الغيرة على الاجتماع
بغيره الخامس العادة لانهن من صغرهن قد تعودن الاجتماع
مع اترابهن من الذكور حتى كبرن على ذلك والعادة اذا استحكمت

صارت طبعا فلذلك اذا تزوجت لا يمكنها الاقتصار على زوج واحد
الا من رحم الله ومن حيث ان هذا الطبع مركوز فيهن يصدر منهن
ما يصدر فلذلك لا يرى منهن من اقتصرت على بعلها الا القليل
وكلما تقادم الزمن كلما اكثر الفساد عندهم **نادرة** ومن المجرب
في دارفور ان النار اذا اشتعلت في دور واشتد وقدها وعجزوا عنه
نادوا هل من طاهرة فتاتي امراة عجوز لم تزن قط فتخرج كنفوسها
وتشير به للنار فتطفى بارادة الله تعالى وهذا من مجرباتهم وحين
كنت هناك وقع حريق في بيت جدة السلطان واشتد وحضر
السلطان بنفسه وارباب دولته فما امكنهم اطفاؤه ونادى منادي
السلطان هل من طاهرة وتكرر الندا في البلد فما قدرت امراة تاتي
لذلك الحريق ومن هنا يعلم انه لا يوجد الآن فيهن طاهرة لكن
سمعت بان ذلك قد يوجد في نسآء اعراب باديتهم واما نسآء
السودان فقل ان يوجد فيهن طاهرة لان المراة منهم حيث لا
عقل يردعها ولا خوف يزجرها ولا دين تراعيه تفعل ما ارادت بل قد
تفتخر بكثرة الاصحاب وتقول لو كنت قبيحة ما جاءني احد ولولا اني
من الحسن بمكان ما القى الرجال وارتكبوا من شاني الاهوال ومن
العجب ان في بلاد العرب اذا اسنت المراة او كان لها ولد جليل ذو

شهرة

شهرة يمنعها ذلك عن ارتكاب الزنا وعن التطلع للرجال إما لعلمها
بعدم الرغبة فيها ان كانت مسنة ، ولخوفها على مقام ولدها
وجلالة قدره الا نساء السودان فقد حكى لي من هو اعز اصحابي
وصونا لصحبته لا اذكر اسمه ان خال السلطان محمد فضل المسمى محمد
تيتل زوجته اخته وهي أمبوس ام السلطان وعمرها بنحو خمس وثلاثين
سنة بامراة من بيتها وصنعت له مهرجانا عظيما هرع الناس للفرجة
عليه فاخبرني انه كان من جملة المتفرجين قال بينما انا واقف اذ جاءت
ام السلطان ومعها سرب من النساء كانهن الغزلان وهي تمشي
امامهن وهن خلفها وهي كانت جارية بشعة المنظر منوهة
الخلق دنية الاصل لانه لا يوجد في سكان دار الفور اذا اصلا من
البيقو الذين هي منهم فصار كل من الواقفين يتعجب من صنع الله تعالى
ان قدم هذه المراة مع ما هي عليه من قبح الذات والاصل على من هن
احسن وجها واصلا وذاتا وبهاء وجمالا قال فدخلت على اخيها
تيتل وكان وقت بنائه بعرسه فمكثت عنده برهة ثم خرجت قال
فلم نشعر الا برنين الخلاخل والحلي وعبق الطيب فعلمنا انها خارجة
فوقفنا صفا حتى اذا خرجت لم اشعر بها الا وقد قبضت على يدي
وجذبتني للذهاب معها فاردت الامتناع وكاني تعاصيت فدفعني

النسآء اللائى خلفها وكرهتُ ان يشعر الناس بذلك فمشيت معها
محاذيا لها وهى بجانبى قابضة على فلما كنا فى اثناء الطريق قالت انا
تعبت مع انه لم يكن بين بيت اخيها وبيتها اكثر من مائة خطوة وقد
بلغنى انها قبل اتصالها بالسلطان كانت من اقل الجوارى المبتذلات
للمهنة فكانت تاتى بالمآء والحطب على راسها من الخلآء والآن تتعب
من مشى مائة خطوة قال فقلت لها من كثرة ما عانيت فى هذا اليوم
قال ثم دخلنا الدار والخصيان واقفون على الباب لا يجترى احد منهم
ان يتكلم وقد عرفونى معها فلما وصلتْ الى حجرتها دخلت فدخلت
معها فاطلقتْ يدى فجلستُ على فراش هناك وانطرحتْ هى
على سريرها تتقلب يمنة ويسرة وتهز منجورها بيديها ثم قالت
لى ان بى صداعا فقلت لها لا باس عليك قالت فاقرا لى عليه
لعله يذهب فجئت اليها وقد علمتُ ان ذلك حيلة منها المقصودها
وان الكبر يمنعها ان تقول لى هَيْتَ لك مع ان جميع من كان معها
من النسآء ذهب ولم يبق الا انا وهى وهناك جارية جالسة
خارج الباب ان احتاجت الى شىء دعتها له قال فلما اكثرت من
التقلب ولم ترمنى ميلا اليها دعتنى لاقرأ على صدغها فجين
وضعتُ يدى على صدغها وابتدات القراءة ارتعشت تحت

يدى وصارت تضطرب اضطراب المذبوح وتتاوّهُ فشممتُ منها
رائحة الطيب فانعشتنى واخذنى ما ياخذ الرجل من النشاط ففهمتُ
ان اعلوها فادركنى خوف من ابنها السلطان لانه متى وجد مع امه
احدا قتله وقد تكرر منه ذلك مرارا ويهجم عليها بغير استئذان لكنها
قد رصدت له اناسا يخبرونها بمجيئه فان كان عندها احد تحيلت
فى اخراجه قال وخفت ايضا لانى كنت سمعت انها مصابة بدآء
الحَصَرِ وهو المعبر به عند الحكماء بالسيلان الابيض اعنى ان كل من
واقعها ابتلى به سيما وقد شاهدت من مرض به منها قال فحين
ادركنى الخوف من هاتين الجهتين برد ما بى قليلا وكانت قد اطلعت
على حالى اولا فلما رات منى الفتور ظنت انى جائع فدعت بجارية لها
اسمها ذِرَاع القادر وقالت لها ائت بطعام جميل فاتت الجارية
بانآءَيْنِ فى احدهما حمام مقلوّ فى السمن وفى الاخر فطير بالعسل
وقالت لى كل قال فابيت واعتذرت بانى غير جائع فحلفت علىّ
فتناولتُ من الطعام واعجبنى وكنت فى تلك الليلة محتاجا وبينما
انا اكل اذ سمعت حركات عنيفة وكركبة وجاء الخدم يهرعون ويقولون
ان السلطان قد اتى فقالت خذوا هذا واخرجوه من الباب الثانى
فاخذنى الجوار واسرعوا فى المشى حتى اخرجونى من الزريبة ومن لطف

الله تعالى ان السلطان لم يدخل عليها من الباب الذى عادته الدخول
منه بل الى الباب المذكور واوقف عليه حرسا ودار حتى اتى للباب الذى
خرجت منه لانى بمجرد خروجى وانفصالى عن الباب رايت نواصى الخيل
قد اقبلت فوقفت على بعدارى ما يكون فسمعته يقول للبوابين
من خرج الآن من هنا فقالوا لا احد فقال احد الفرسان انا رايت
انسانا انفصل من هنا واظنه كان هنا فقال جميعهم ما راينا احدا كل
ذلك وانا واقف اسمع وحمدت الله الذى اخرجنى قبل وصولهم
والا لو وصلوا الى الباب قبل خروجى كنت اول قتيل فحين سمعت
منه هذه القصة تعجبت غاية العجب وعلمت ان الخصيان لا
ينفعون الا مع عدم غرض النسآء ومتى كان للمراة غرض لا يقدر
الخصى ان يصنع شيا فانظر يا اخى كيف وقعت هذه القصة من هذه
المراة مع انها ام ملك ولو وقعت من غيرها لكان للكلام فيها مجال
فكيف بهذه وبالجملة فالنسآء لا خير فيهن الا من حفظها الله ورحم
الله من قال

من الطويل

ففيهن من تسوى ثمانين بكرة وفيهن من تغلو بجلد حماره
وفيهن من تاتى الفتى وهو معسر فيضحى وكل الخير فى صحن داره
وفيهن من تاتى الفتى وهو مؤسر فيصبح لم يملك عليق حماره

وفيهن

وفيهن من لم يستر الله عرضها   اذا غاب عنها الزوج راحت لجاره
فلا رحم الرحمن خائنة النسآء   واحرق كل الخائنات بناره

وليعلم ان كل مصيبة تقع اصلها النسآء فكم بسببهن قتلت ملوك وخربت ممالك وسفكت دماء فهن لنا شياطين على حد قول الشاعر

ان النسآء شياطين خُلقِنَ لنا   نعوذ بالله من شر الشياطين

غريبة مقتضى انهم جعلوا الخصيان لصيانة الحريم عن الرجال ان الخصيان امنآء عليهن من طرف السيد والامر بخلاف ذلك فقد راينا منهم من عنده عدة نسآء يتمتع بهن واول من رايت عنده ذلك محمد كُرّا الذى اسلفنا ذكره وحكى لى من أَثِقُ به انه لما راى الغلب عليه فى قتال السلطان محمد فضل كان عنده امراة من اجمل النسآء فذبحها بالليل قبل موته لئلا يُحظى بها غيره وهذه نهاية الغيرة ورايت فى دارفور وفى الوادى كثيرا من الخصيان كل منهم حائز نسآء عديدة وسالت من اهل الخبرة ما يصنعون بهن وهم كهن من حيث ان اعضاء التناسل مفقودة فقيل لى انهم يساحقون النسآء ويشتد بهم الحال وقت المساحقة حتى انه يعض الانثى وقت الانزال عضا مولما وكنت اذ ذاك لجهلى بعلم الطب أُصدّق ذلك لكن الآن لا

اصدقه لان وظيفة العضو قد فقدت بفقده والعلة تدور مع
المعلول وجودا وعدما وكنت سالت اهل الخبرة عن كيفية
الخصى فاخبرني بعضهم انه يوتى بمن يراد الفعل به فيضبط ضبطا
جيدا وتمسك المذاكير وتستاصل بموسى حاد ويوضع في ثقب
مجرى البول انبوبة صغيرة من صفيح لئلا ينسد ويكون قد
سخن السمن على النار تسخينا جيدا حتى غلى ثم يكوى به محل القطع
وبعد ان يكون محل القطع جرحا حديديا ينقلب جرحا ناريا ثم
يداوى بالتغيير عليه بالتفتيك والاربطة حتى يُشفَى او يموت ولا
يشفى منه الا القليل فان قيل ان في هذا تعذيبا للحيوان
الناطق وقطعا للتناسل المامور بكثرته شرعا فهو حرام قلت
نعم قد صرّح غير واحد من العلمآء بحرمته خصوصا جلال الدين
السيوطى رحمه الله فانه صرح بالتحريم في كتابه الذى الفه في حرمة
خِدمة الخصيان لِضَريح سيد ولد عدنان لكن الحرمة على
الفاعل وانما يخصى الخصيان قوم من المجوس وياتون بهم الى
بلاد الاسلام فيبيعونهم ويهادون بهم ولا يُخصَى على يد
المسلمين منهم الا القليل النادر واما استخدامهم بعد الخصى
فلا ضرر فيه بل فيه ثواب عظيم لانهم لو لم يستخدموا لحصل

لهم

لهم الضرر من وجهين الاول مما وقع عليهم من الخصي الموجب
لفقد اللذة العظيمة وقطع التناسل والثاني من ضيق المعيشة
فان قيل اذا كان الامرآء كالملوك ومن يجري مجراهم يجمعون كثيرا من
النسآء في دورهم وكلهن شابات ومن المعلوم ان الغيرة موجودة
فيهن كما هي موجودة في الرجال لانهن شقائقهم فكيف يعاشرن
بعضهن خصوصا اذا احب الرجل واحدة منهن واعرض عن غيرها
قلتُ ان العداوة واقعة بينهن على قدر احوالهن فكل منهن تتمنى
ان يخلُ لها وجه زوجها ولا يالف سواها لكن لما كُنّ تحت قهر
الزوج خصوصا ان كان ملكا يُخفين البغضآء ويظهرن المودة
وهذه عادتهن في اخفآء ما يُبطنّ واظهار ضده ولا يَظْهَر ما
اخفت المراة منهن الا اذا زاد خوفها وملكت رُشْدَها وح تظهر
ماكان كامنا في صدرها فان قيل ما رتبة نسآء السودان في
الجمال قلتُ اعلم ان نسآء السودان على اقسام في ذلك ومن
المعلوم ان كل قبيلة يوجد فيها الجميل والقبيح لكن هناك قبائل
يوجد فيها الجمال اكثر واخرى يوجد فيها الشوه اكثر واقل قبيلة
في دار الفور بالجمال هم التِمُورْكَه لانهم وحشيون اهل جبال وسوء
معائش وكذا الكَرَاكْرِيتْ وقد ذكرنا سابقا ان قبيلة البَرْتِي

والبيدوب اجمل نساء من غيرهما ويليهما قبيلة البيقو والبرقو
والبيمة والتنجور واشوه قبائل الفورنساء انجام الفور ويليهم
الداجو والبرقد والمساليط كان في دار الواداى قبيلتى اب
سنوت وملنقا ومننقا اجمل الواداى نساء ويليهم الكوكة
والبيمة وكشمرة واقبحها نساء التاما ويليها البرقد والمساليط
والداجو ولا يقدر الانسان ان يساوى بين جمال اهل السودان
وغيرهم من اهل بلادنا لاختلاف اللون تنبيه اجمل اهل
بلاد السودان عموما من مشرقها لمغربها نساء عفنو ويليهم
باقرمة وبرنو وسنار واوسطهم الواداى ويليهم الفور واقبحهم
التبو والكتكو وبالجملة فالجمال يوجد في كل قبيلة لكن قد يقل
في واحدة ويكثر في اخرى وسبحان من خص من شاء بما شاء
لا رب غيره ولا معبود سواه فما كل اسمر مسكا ولا كل احمر
ياقوتا ولا كل اسود زبادا ولا كل لماع ماسا وان شئت
قلت ما كل اسود فحما ولا كل احمر لحما ولا كل ابيض جيرا فقد
يوجد في الاسود والاسمر من الجمال ما لا يوجد في الابيض
الشاهق وكان بقائل يقول وهل تستوى الظلمات والنور
او الظل والحرور لكن من الناس من تعشق في السمر حيث قال

وفى

من الطويل
وفي الشَّعر معنًى لو تأملتَ حسنَه لما عشقت عيناك بيضا ولا حُمْرَا

واحب بعضهم السواد وبالغ حتى قال

من الوافر
أُحِبُّ لاجلها السودان حتى أُحِبّ لاجلها سود الكلاب

وكنت قديما مُغرَمًا بهذا المذهب فقلت

من الهزج
يلوموني على حبي لسَوْدَا وما علموا السيادة في السواد

فقلت لهم دعوني لا تلوموا فان السُّودَ سادوا بالسَّواد

وجُلُّ البيضِ لولا الحاجِبات وخالُ الخدِّ حالِكُ في السواد

لما عُشِقوا ولا نُظِروا بعين ولكنّ الفضيلة في السواد

وفي الاول السواد بمعنى السودد وفي الثاني بمعنى المال وفي الثالث بمعنى السواد الحقيقي وفي الرابع العالم الكثير وقال بعضهم

من البسيط
قالوا تعشقْتَها سَودَا فقلتُ لهم لونُ الغوالي ولونُ المِسْكِ والعُودِ

إني امرءٌ ليس حبُّ البيضِ مكْرُمَةً عِندي ولو خَلَتْ الدنيا من السُّودِ

وقال الفاضل الشيخ عبد الرحمن الصفتي

من الكامل
بالرُّوح اسمر نُقْطَةٌ من لونِهِ تَكْسُو البَيَاضَ من الجمالِ شِعَارَا

ولو استقلّ من البياضِ بمثلها لاعْتَاضَ مِن ثوبِ الملاحةِ عارَا

ما مِن سُلَافَتِهِ سَكِرتُ وانما تركَتْ سَوالِفُهُ العقولَ حَيارَا

حَسَدَ المَحاسِنُ بعضَها حتى انتهَتْ كلُّ المحاسِنِ أن تكون عِذارَا

وكنت عارضته بقصيدة منها قولي

من الرجز والكامل احق

الحقُّ ابيض دَعْ مقالةَ معشرٍ قد عاند وا واستكبروا استكبارا

وقال الصفتي ايضا

من البسيط

قالوا تعشقتَها سمرآ فقلتُ لهم لون الغَوالي ولون المِسكِ والحَدَقِ

وماتركتُ بياض البيضِ عن غَلَطٍ إنّي من الشَيْبِ والاكفانِ في فَرَقِ

وتغالى بعضهم في مدح البياض وذم السواد بكلام يطول وقال من عاند في ذلك عميتْ بصيرتُه عن قوله تعالى فمحونا ايةَ الليل وجعلنا ايةَ النهار مُبْصِرةً ولكلٍّ وجهةٌ هو مُوَلّيها وللناس فيما يعشقون مذاهب

فصل في امراض السودان والماكولات وصحة الاقاليم والصيد وبعض الحيوانات

يجب على العبد ان يعلم ان الله خص كل اقليم بما لا يوجد في غيره وجعل في كل قبيلة خاصية لا توجد في غيرها ولذا اذا تغرب انسان من بلده لاخرى يكون هواؤها مخالف لهواء بلده تحصل له مشقات فيمرض حين يتغير عليه الهواء فربما مات وان لم يمت يطول مرضه ولا يصحّ جسمه حتى يعتاد بهواء البلد التي سكن فيها بعد طول المدة ولما كان الامر كذلك كان الاولاد الذين يتناسلون من ام واب فوراويين مثلا اطول اعمارا واقوى

بِنيَةً ولذلك ترى الرجل له عشرة من الولد واكثر أقوياء أصحاء
وكذا اعراب البادية هناك لا يموت الرجل منهم حتى يرى من ولده
عددا كثيرا فلو انعكس الامر بان تزوج فوراوى عربية او عربي فوراوية
ترى سُلالته ضعيفة نحيفة لا يعيش منها الا ما قل وندر
وهذا مما يدل على ان في البلد والجنس خاصية لا توجد في غيرهما
لان كل ولد يوجد من ابوين من نوع واحد وبلد واحد كان اقوى
بِنيَةً واعدل صحةً وترى من انعكس فيه الامر ضعيفا فاسد
اللون نحيفا ورايتُهم في دار فور ودار واداى يستعينون على
صحة الطِفل باخذ الدم فياخذون الطفل حين يستكمل اربعين
يوما من ولادته ويشرطون بطنه من الجهتين اعنى اليمنى
واليسرى تشاريط كثيرة وينزل منه دم غزير وحين يستكمل
ثلاثة اشهر يفعلون به ذلك وان لم يُفعَل به ربما هاج عليه
الدم فقتله واكثر امراض الاطفال عندهم المرض المسمى ابو لِسان
وهو داء يعترى الطفلَ في غلصمته اى عند اللهات فتحدث له فيها
زائدة كلسان العصفور عند اصل
اللسان فيعالجونها بالقطع وصورة
الالة التي يقطعونها بها هكذا



وهي حديدة مركبة في يد من خشب ومعها قطعة خشبة تامة
فيدخل الطبيب الخشبة اولا حتى يوصلها الى المحل الذي فيه
الزائدة ويكون العليل قد ضبط ضبطا جيدا ثم يدخل الحديدة حتى
يصل راسها المعوج الى اصل الزائدة من الجهة الاخرى وتبقى الزائدة
بين الحديدة والخشبة ويتكأ عليهما معا فتنقطع الزائدة بينهما
فيخرج الحديدة والخشبة معا فيرى على الخشبة قطعة لحم صغيرة
ويكون قد استحضر على قليل من النطرون وسحق جيدا بين حجرين ثم
يبل الرجل اصبعه ويجعله على المسحوق فيلتصق به ويدخله في فم
العليل بعد ان يكون قد ادخل الخشبة ان كان الطفل قد أثغر لكن
لا يوصلها الى محل الالم بل حتى تتجاوز اسنان العليل ثم يدعك محل
القطع بالمسحوق الذي على اصبعه دعكا جيدا فيبرء العليل بذلك
واذا ترك ابو اللسان المذكور أنحل جسم الطفل ونشأ عنه اسهال
عجيب فيكون سببا في قتله ويليه مرض اخر يسمى عندهم أُمّ صُقُع
ولا يعتري الا الاطفال ايضا وهي استرخآء يقع في اللهاة وبثرة تحدث
فيها فلا يشرب العليل اللبن ولا ياكل ويصفر لونه فيدعون
له بالطبيب فياتي ويسحق النطرون كما تقدم ويضع الخشبة
وحدها في فم العليل ويدخل اصبعه فيرفع لهاته ويفقأ

البثرة

البثرة التي توجد فينزل منها دم وقيح ثم يغمس اصبعه مبلولا
بريقه في النطرون ويحك به البثرة واللهاة لكن يفعل ذلك ثلاثة
ايام فيبرء العليل وقد يقع الاسهال المفرط لكن ينظر في الطفل فان
كان ابن سنين ووجدوا المقعدة تبرز من محلها حكوها بشفقة
حتى فقئوا ما فيها من البثور وينزل منها دم كثير وقللوا ماكله
فيبرأ وان كان صغيرا كابن سبعة اشهر او ثمانية ونحوها كووه
حول السرة اربع كيات هكذا
اعني تكون السرة في الوسط ويكون الكي اعلاها واسفلها وايمنها
وايسرها وقد يعتري الاطفال المرض المسمى بالغُزَيِّل وهو مرض
ناشئ عن اصابة في المخ يترك الطفل يعبث بيديه ورجليه على
غير الحالة المالوفة واهل مصر كاهل تونس يقولون انه من الجان
حين يُترَكُ الصبي وحده في محل يعتريه هذا الحادث فيقتل في
مصر وتونس وبلاد العرب اطفالا كثيرة فاما اهل مصر يستعينون
في علاجه بالكتابات لاعتقادهم انه من الجان فياتون بمن له
شهرة في الرُقَى والعَزائم والاقسام فيكتب العليل ويَرْقِي
وهذا قد يصادف ان العليل يخف الله وقد لا ينجع واما اهل
السودان فيعالجونه بالكي في الجبهة بان ياتوا بلب قصبة

من قصب الدخن ويلامسون بها النار حتى تاخذ فيها وتبقى
لها زَهرة كزهرة الشمعة التي تُقَطّ فيكوون العليل بها فيبرء
لوقته ومن امراض الاطفال هناك أَبُو صَفَّيرْ وهو مرض يعترى
الطفل فيُفسِد لونه ويصفر صفرة ظاهرة وهو المسمى في كتب
الطب باليرقان الاصفر وهناك امراض عامة الصغيرُ والكبيرُ فيها
على حد سواء فمنها الوِرْدَة وهى الحُمَّى ولا يكاد ينجو منها احد فى
كل سنة وتتسلط عندهم فى ايام الخريف واول الربيع المسمى
عندهم بالدَرَتْ وهو وقت خريفنا وتتنوع فمنها حمى الوِرْدِ التى
تاتى فى كل يوم فى ساعة معينة ومنها حمى الغِبّ وهى التى تاتى يوما
ويغيب يوما ومنها حمى التثليث وهى التى تاتى بعد كل يومين
ومنها حمى الرِبْع وهى التى تاتى بعد كل ثلاثة ايام وهى اقوى انواع الحمى
واقل منها بدرجة حمى التثليث ومنها الحمى المُطْبِقة وهى التى لا
ترتفع عن صاحبها الا بالشفآء او بالموت وتسمى فى مصر بالنُوشة
وهى فى عرف الاطبآء الآن التهاب معدىّ معوى وكلها عند اهل
السودان تسمى بالوِرْدة لا يميزون فيها ومن الامراض العامة
الوبائية عندهم الجُدَرِى وهو عندهم كالطاعون فى مصر
ويشتد خوفهم منه لانه قَتّال جدا وكل من مرض به منهم

اخرجوه

اخرجوه من البلد الى محل اخر فى الخلآء وبنوا له عشة تسمى عندهم بالكَرَابَة وتركوا عنده من يخدمه ممن يكون قد مرض بالجدرى وكلما مرض اخر نقلوه اليه وهكذا وهذا هو الكُرَنْتِينَة بعينها

تنبيه اخوَفُ اهل السودان من الجدرى اعراب باديتهم لان الجدرى ان دخل فى حى من احيائهم افناه فلذلك تراهم اخوف الناس منه ولقد اخبرنى رجل من اكابر البِرْقِد يقال له عثمان وَدْ عَلّوا انه كان مرض بالجدرى وقاسى ما قاسى ثم شفاه الله فلما قشر جُدَرِيُّهُ وقبل ان يندمل صار يوذيه الذباب فكان يتلثم لاجل ذلك قال بينما انا ذات يوم متلثم واقف على باب دارى اذ رايت اعرابيا قد جاء يمشى مشية الخائف فلما رانى اقبل على حتى دنا منى وسلم على ثم قال أَمَانَةٌ عليك هل فى حلتكم هذه جدرى فقلت كفانا الله شر الامانة ورفعت اللثام عن وجهى فحين رانى صاح صيحة عظيمة وسقط الى الارض فجاء لصيحته اخوانه من الاعراب فرفعوه وذهبوا به وكنت انا حين جاء اخوانه فررت لئلا يقتلونى فبلغنى بعد ذلك انه مات بعد ثلاثة ايام ومن خرافات اهل السودان انهم يقولون ان الجدرى حيوان لا يشاهد الا اثره يعلق بالانسان فيقتله وسمعت من كثير منهم انه راى اثره

ويتواطئون على ذلك ويصدق بعضهم بعضا وسالتهم عن اثره
كيف هو فقال اثره نُكَتٌ مستديرة متوالية هكذا ...... على
سطر واحد فكل بيت اصبحنا ورايناذلك الاثر دخل فيه نجد اهلَه
قد اصيبوا **عجيبة** اخبرنى القاضى الدليل قاضى القضاة بمملكة
الواداى حين جآء الى القاهرة سنه ١٢٥٧ ان المرض المسمى بالهَيْضَة
واهل مصر سموه الهوا الاصفر الذى كان اتى الى مصر من الحجاز
سنه ١٢٤٧ ذهب الى بلادهم واخربها وقتل منها عالما كثيرا وكنا نظن
انه لا يصل الى هناك فسبحان الفعّال لما يريد لا معقِب لحكمه
ومن الامراض العامة الكثيرة الحصول عندهم المرض الافرنجى ويسمى
عندهم بالجِقَّيْل وكثرته بينهم لكثرة الفساد وليس له عندهم
دواء الا الكى وصفة هذا الكى انهم ياتون بحديدة وهى المسماة عندهم
بالحَشَّاشة وهذه الحديدة مستطيلة مفرطحة عرضها بنحو
قيراطين وطولها بنحو خمسة قراريط او ستة فيحموها بالنار حتى
تحمر ولها صورة انبوبة مركبة فى وسطها عرضا فاذا احمرت الحديدة
اخرجوها من النار وصبوا على الانبوبة مآء قليلا ثم يدخلون فى
تلك الانبوبة عودا يرفعونها به ويكوون به المحل الذى ظهر فيه
الداء من غير استثناء ومتى ما شُهِد هذا الداء على احد وله اهل

كووه

كووه ولو قهرا عنه وبهذه المعالجة تشفاه الله باقرب زمن وهذا
المرض في كُرْدُفَال اكثر من دار فور ودار فور اكثر من الواداي حتى انه في
الواداي لا يسمع بانسان مرض بهذا الداء الا نادرًا وسبب كثرته
في كردفال ان من اصيب منهم به يعتقد انه كلما اعدا غيره به يخف
عنه ما هو فيه ولم يدر انه لو اعدا مائة الف لم ينقص مما هو فيه
شيء فترى المريض منهم سواء كان امراة او رجلا يعدي خلقا كثيرا
فلذلك كثر عندهم وفي دار فور وان كان كثيرًا لكنه لما كان منهم من
لا يستحي ان يراه الناس مريضا فيعدي غيره وهو قليل ومنهم من
يستحي من ذلك فيجلس في بيته حتى يبرء وهو كثير فقل عندهم واما
في الواداي كل من مرض به لزم محله حتى يبرء فكان وجوده نادرًا ومنها
الحَصَر وهو السيلان الابيض ومثله الهَبُوب وهو ريح ينعقد
في البطن السفلى من المراة او الرجل واكثر ما يوجد في النسآء
ويقولون انهما مُعْدِيَانِ ومن الامراض الفاشية عندهم الجُذَام
وهو تاكُلُ مارنِ الانف واطراف الاصابع وكذلك البَرَص الا انه
اقل ومنها ابو الصفوف وهو ذَات الجَنْب وعلاجه عندهم
بالتشريط على الاضلاع فيشرطون اربع صفوف او خمسة كل
صف اربع شرطات او خمس هكـــــذا

ويدعكون المحل بعد التشريط بسحوق النطرون فينزل من الفتحات
دم كثير فيبرء المصاب ومنها **الفُرَنْدِيتْ** وهو كثير عندهم ويسمى
في مصر بالفَرْتِيتْ وهو ورم يحدث في الساق او اليد او في محل اخر
فيتكون فيه قيح فيُبْعَج ويخرج من محل البعج خيط ابيض طويل اشبه
بالعصب الا انه غير متين كالعصب والظاهر انه حيوان لانه
يخرج ويدخل وعلاجه البعج والتدفية بورق العُشَر المدهون بالسمن
المسخن على النار ومن الامراض العضوية عندهم **السُوتِيَّة** وهي
مرض يخص الركبة وهو ورم كالفرنديت الا انه لا يظهر له خيط
ويتكون داخله قيح كثير ولا يبرأ حتى يبعج المحل بعجا غائرا ثلاثة
صفوف في كل صف ثلاث بعجات او اربع فينزل منها قيح كثير
وبالتدهين بالسمن والتدفية يبرء العليل ومنها **الدُقْرِي**
وهو مرض يخص الساق على طولها وهو ورم كورم السوتية الا ان
هذا يمتد على قصبة الساق وذاك مقصور على الركبة وعلاجه
كعلاج السوتية الا ان البعج يكون صفَّيْن من وحشية الساق
وصفين من إنْسِيّتها ومن الامراض عندهم التي تصيب الاطفال
الحَصْبا و**البُرْجُكْ** وهي القرمزية ومن الامراض العامة **وجع
الطحال** اعني كِبَرَهُ و **الاستسقاء** بانواعه واغلب الامراض

عندهم

عند هم الا الطاعون والسُلّ فلا يوجدان وان وجد السل فنادر واما الجراحة فمتقدمة بينهم لكثرة الفِتَن والحروب فتراهم يخيطون الجروح حتى ان من خرجت امعاؤه يردّ ونها ويخيطون عليها ويبرء وكذا يداوون الشِجاج بانواع وهناك ناس يسمون الشَلّاكين يعملون عملية الكَتَرَاتا من العين مع المهارة التامة ولكن لا اعلم كيفية العملية ولا الالات المستعملة عند هم لذلك وأعْرِفُ منهم رجلا شهيرا يسمى الحاج نور غير انهم لا يستعملون البتْر ولا القطع ولا الاستئصال وامراض الأدْرَة قليلة عندهم هذا ما انتهى اليه علمي في ذلك واطباؤهم مسنوهم فلا تجد فيهم طبيبا شابا الا نادرًا ومن برَع في صناعة الطب تَهرَع اليه الناس ولو من مسافة ايام ويكرمونه اكراما تاما واكثر علاجهم التشريط والكي ولا يستعملون من الباطن الا التمرهندي والعسل النحل والسمن البقري عجيبة اخبرني شيخي الفقيه مَدَنِي الفُوتَاوِي عليه سحائب الرحمة انه كان اصيب بالنِقرِس الذي هو وجع المفاصل وهو المسمى في كتب الطب بداء الملوك وان اعرابيا من البادية وصف له الوقوف في السمن البقري فقال امرت باحضار كثير من السمن البقري وسُخِّنَ على النار حتى ذاب

ذوبانا تاما فنزل عن النار وترك الى ان هدأ وصار يتحمله الانسان
وربط لى حبل فى سقف البيت وصارت طرفاه بيدى وأفرغ السمن
فى قصعة كبيرة وغسلت رجلى ووقفت فى السمن ومسكت
الحبل المذكور فكان معينا لى على طول الوقوف قال فلم اشعر الا والسمن
يسرى فى جسمى كسريان السم غير انه اولا صعد الى ساقى ثم الى
ركبتى ثم الى الفخذى ثم سرى فى النصف الاعلا فصرت أحس به
يصعد فى جسمى شيا فشيا حتى وصل الى عنقى فاخذنى دوار وغشى
على وكدت اسقط فتلقانى الخدم ودثرونى فى ثيابى واضجعونى
على فراشى وانا لا اشعر بشى من ذلك فقلت نهارى كله وليلى كذلك
ثم افقت عند الصباح وانا ناشط كانما حللت من عقال ورايت
انه خرج منى عرق كثير كريه الرايحة وبذلك شفانى الله واخبرنى غير
واحد ان اهل البادية كذا يفعلون حتى بلغ هذا الخبر مبلغ التواتر
ولكونهم يتعاطون السحر كثيرا يتداوون بالكتابة وعندهم اناس
مشهورون بذلك واكثرهم شهرة فلانا وكيفية الولادة عندهم
انه اذا اخذ المراة الطلق اتاها بعض العجائز من النسآء وربطوا لها
حبلا فى سقف البيت فتمسكه وهى واقفة وتعتمد عليه كلما
اشتد بها الوجع وتفرج بين رجليها حتى يسقط المولود فتتلقاه

أحدى

احدى النسآء الحاضرات وتقطع سُرَّهُ و تَضجُعن النُفَسَآء على
فراشها فاذا تم للولد اسبوع عملوا له عقيقة كل انسان على
قدر حاله فتجتمع النساء عند النفساء والرجال مع الرجل ويكون قد
ذبح شاة فتاكل النسآء والرجال لحم الشاة ويسمون المولودَ ثم
يتفرقون ويطعمون النفساء في ذلك الاسبوع عند الصباح المديدة
وهي الحريرة بلغة اهل مصر والحَسُوُّ بلغة اهل المغرب والكَرِيمْ
بلغة الافرنج وعند الظهر لحمَ دُجَاجة ان كانوا اغنياء فان كانوا
فقراء المديدة ايض وهي مركبة من دقيق الدُخْن ودقيق التَبَلْدِى
او اللَجَلِيج فان كانت من اللجليج كان بها مرار وان كانت من التبلدى
كانت حامضة فان تم للمولود شهران او ثلاثة حملته امه على
ظهرها وربطته بثوبها ويسمى ذلك الحمل قُوقُو فتحمله كذلك
وتذهب الى شؤونها من زرع وماء وحطب حتى يشب
ومن عادتهن انهن يُرضعن اولادهن حولين فاقل كالاسلام مبين
ولا يُزَوِّجْنَ بناتِهم الا اذا بلغت البنت الحُلُمَ وعرفت منفعة
الرجل ولقد مكثتُ عندهم سبع سنين ما رايت عروسا
تزوجت قبل بلوغها وانْ عقِد عقدها قبل البلوغ لا يبنى
بها الرجل الا بعد بلوغها لان عادتهم ان الرجل يملك ويترك

مدة فمنهم من لا يبنى بعرسه الا بعد سنتين ومنهم بعد ثلاث
والمستعجل منهم يبنى بعد سنة لانهم لا يملكون عليها الا إذا
نَهَزَتْ البلوغ هذا في البكر واما الثَيِّبُ فيبنى بها الرجل يوم
ملاكِه او غدِهِ واما قراة القران فمتاخرة جدا لانهم لا يقرؤون
القران الا بالليل في المكاتب فيكون الصبى في النهار سارحا بماشيته
من غنم او بقر وبعد ان يرجع في المسآء ياخذ لوحه ويذهب الى
المكتب وعلى كل صبى الاتيان بالحطب يوما فيقيدون النار
ويحيطون بها فيستضئون بضوئها وعلى ذلك الضوء يحفظون
ويكتبون وحفظهم غير جيد فلذلك قل من يحفظ القران منهم
حفظا جيدا واما قراة العلوم فمتاخرة ايض لعدم العلمآء واكثر
قراتهم للفقه والتوحيد واما المعقول فقليل جدا ومع قلته لا
يقرؤون الا قليلا من النحو واما المعانى والبيان والبديع والمنطق
والعروض فلا يعرفون منه الا الاسم ومن يعرفه منهم يكون
قد تغرب لبلد اخر كمصر وتلقاه فيه فاذا رجع الى بلده كان
هو العالم واكثر ما يعانونه الروحانى والسحر ويسمون علم
السحر علمَ الطب ومن مهر فيه سمى طَبَّابِى وهذا العلم يوجد
عند الفُلّان اكثر من غيرهم وقد نذكر ما وقع من الفقيه مالك في

اولاد

اولاد السلاطين وسحره اياهم حتى رجعوا الى الفاشر بعدما
هربوا منه وما وقع من الفقيه تمرو تنبيه اعلم ان دارفور
وان كانت كلها اقليما واحدا ومملكة واحدة هواؤها مختلف
واصحها القوز فلذلك تجد من فيه من اعراب البادية اقوياء
اجرياء لسلامة ارضه من العفونات والوخم لكن ماؤه قليل فقد
ذكرنا سابقا ان منهم من بينه وبين الماء مسافة يومين واكثر
ويليه في الصحة بلاد الزغاوة المسماة بدار الريح فلذلك تجد الزغاوة
والبديات القاطنين بها في غاية القوة وسلامة الاعضاء
وارداها هواء الصعيد لكثرة مياهها خصوصا جبل مرة ووخمها
وعفونتها لكن لا تكون ارضه وخيمة الا على من لم يعتدها واما
المولودون فيها تراهم اصحاء اقوياء لكن عندهم الحمى كثيرة واردى
من الصعيد المدن واقواها الفاشر ويليه كوبيه وكبكابية
واما سِلا وفنقرو وبيكا وشالا فاوخم الاماكن كلها لكثرة الرطوبة
عندهم واستمرار الامطار لانها لا تنقطع في السنة الا مدة شهرين
او ثلاثة ومع ما في دار الفور مما ذكرناه من الامراض كل منهم يحب
وطنه ويالف سكنه واذا تحول الى غيره يبكي عليه ويتمنى الرجوع
اليه وهذه غريزة جُبِل عليها الانسان وانطبع عليها الجنان

من قديم الزمان فلذلك كان المصطفى صلعم يحن الى مكة حنين
المشتاق ولولا ان الله امره بسكنى المدينة لاقام بمكة بعد الفتح
باتفاق لكن من حيث ان امراض بلاد السودان لم تكن وبائية قتالة
كانت اعمارهم اطول من اعمار غيرهم فلذلك تجد فيهم المسنين حتى تجد
من تجاوز المائة وعشرين واما ابناء السبعين والثمانين والتسعين
فلا يكاد ان يحصرهم العد ولا يوقف لكثرتهم على حد هذا مع ما
ابتليوا به من الفتن والحروب والمحن لان كل قبيلتين منهم بينهما
دم مسفوك وثار مطالب به غير متروك كما بين البرتي والزيادية
وبني عمران والميمة وفلاتا والمسابيط والمسبعية الحمر والرزيقات
والمجانين وبني جرار والزغاوة والحاميد مما لا يكاد يحصى هذا
خلاف فتن الملوك وخلاف ما يصير من القتل في مجلس الشراب
او في المعاندة على الكواعب الاتراب ولولا ذلك لكانوا في الكثرة
كياجوج وماجوج وضاق بهم الفضاء والمروج فان قلت اذا كان
الامر كما ذكر فما بال النساء العجايز قليلة مع انهن لا يقاتلن
ولا يحضرن حروبا فلو كان ما ذكر صحيحا في عدم كثرة الرجال كان
وجود النسا المسنات كثيرا مع انهن مثلهم او اقل قلت لما
كن يجزن على من قتل لهن من الرجال ويتحملن بعدهم الضر والنكال

كن

كن عُرضَة للامراض المُرْدِيَة الجالبة للمنية بسبب ما يحصل
لهن من الانفعالات النفسانية ومع ذلك هن اكثر من الرجال
المسنين ولقد كنت في بلدة اقل عمارا وسكانا وهو ابو الجدول
ورايت فيها من المسنين والمسنات كثيرا وكلما دخلت حلة
ارى فيها اكثر من ذلك مع ان معيشتهم في غاية الانحطاط لو تناول
منها احد من اهل بلادنا مرة واحدة لذهب منه النشاط لان
اكثر ما أكلهم اما مُرّة او متعفنة ويرون ان هذه هي النِعْمة المستحسنة
وكنت حين حللت ببلادهم ولم اعتد باعتيادهم صنعوا في الدار
وَيْكَة ودعوني ان اكل منها فابيت ولما سمع والدي بذلك قال لي
حيث لم ترضَ ان تاكل من هذا الأُدْم لم جئت هنا وصار متحيرا
فكان يتكلف ويصنع لي ارزا بلبن ولما توجهت الى الفاشر ونزلت
في بيت الفقيه مالك الفوتاوي حضر العشآء فرايت الادم مرا
فسالت ما هذا فقيل لي هذه وَيْكَة الهجليج فابيت ان اكل منها
فجاؤوني بادم اخر فشممت منه رائحة منتنة فقلت ما لهذا منتن
فقيل لي هذه ويكة الدَوْدَرِي وهي جيدة عندهم فابيت ان اكل
منها فاخبر الفقيه مالك بذلك فارسل لي لبنا حليبا عليه عسل
فاكلت منه ولما حضر في ديوانه للسَمَر قال لي لم لم تاكل من وَيْكَة

المجليج والدودري فقلت له احداها مرة وثانيتهما متعفنة
فقال هذا هو الطعام الذي يصلح في بلادنا ومن لم ياكل هكذا
يخشى على نفسه من الامراض والدودري ويكة تتخذ من عظام
الغنم والبقر وسائر الحيوانات وهو انهم ياخذون عظم الركبة
وعظم الصدر ويجردون ما عليها من اللحم ثم يضعون العظام في
خابية ويتركونها اياما حتى تعفن فيخرجونها ويهرسونها في هاون
حتى ينهرس العظم في اللحم ويصنعونه كرات في جرم البرتقان
الكبير فاذا ارادوا الطبخ اخذوا قطعة من كرة وذوبوها في الماء
فان كان فيها قطع من عظم صفوها من مصفاة ثم صبوا ذلك
الماء في القدر ووضعوه على النار حتى يصير له قوام فياتون
بقدر صغير يقطعون فيه قليلا من البصل ويقلونه في قليل
من السمن ويضيفونه لذلك ويضعون فيه شيا من الملح
والفلفل والكمبا ان وجدت وهذا طعام لا يوجد الا في بيوت
امرآء الفور واما ويكة المجليج فلا يخلو اما ان تكون من الورق
او من الثمر فالتي من الورق هو انهم يجنون الوريقات الطرية الحديثة
ويدقونها وتوضع في القدر على النار وتحرك بالمسواط حتى تمتزج
مع ما فيه من الماء والدهن وان كانت من الثمر فكيفيتها انهم

ياخذون الثر وينقعونه فى المآء ثم يهرسونه باليد حتى يذهب
لحمه كله فى المآء وياخذون ذلك المآء ويصفونه فى قدر فان كانوا
فقراء وضعوا عليه قليلا من الشحم واكلوا وان كانوا اغنيآء
قادوا النار حتى يصير له قوام ثم عملوا تقلية كالتى ذكرناها فى
الدَوْدَرِى واضافوا لها لحما مدقوقا من القديد وصبوا فيها
المآء وتركوا الجميع على النار حتى يحصل الاستراح التام فتنزل عن
النار وهذه من اعظم ويَاكِلهم هذا طعام اغنيائهم واما فقرآؤهم
فقد ذكرنا سابقا انهم ياكلون الدخن بغير تقشير وان ادمهم
قبيح جدا لانه اما كُوَلْ او ورق الهجليج الصغير الطرى المسمى عندهم
بالنِيَلْمُو او ثُفْل السمسم او ثمر الهجليج الاخضر المسمى عَنْقَلُّو او ثمره
الناضج وملحُ كلٍ مما ذكر الرماد المسمى بالكَنْبُو لقلة الملح وغُلُوِّهِ
واترف الفقرآء من تكون له شياه او بقرة يحلب لبنها وياخذ زبده
وياتدم بمخيضه ولا يعرفون اللحم الا بعد اشهر ان ذبحت فى البلد
بقرة او ثور واقتسموها فياخذ الفقير منهم قسما على قدر حاله
بامداد من الدخن لا بشىء اخر ولذلك تجد اكثر شبانهم يعانون
القنيص وقد ذكرنا سابقا ايضا انه فى كل سبت يضرب الوَرْنَاك
طبله وتخرج الشبان كلهم معه للصيد فكل منهم ياتى فى المسآء

بما تيسر معه لان غاباتهم فيها كثير من الحيوانات الوحشية
فاكثر ما يصيدونه الارنب ثم الغزال ثم ابو الحصين ثم بقر
الوحش وان وجدوا تَيْتَلاً مريضا واخذوه على غِرَّة قتلوه
واقتسموا لحمه والتيتل حيوان وحشى على صورة البقر الاهلىّ
الا انه اصغر جرما فاعظمه كالعجل وله قرنان صاعدان مائلان
قليلا اما للخلف وللامام طولهما بنحو شبرين واقل ومع وحشيته
فيه نوع بُلادة فلا يفر الا من ناس كثيرين واما من رجلين او
ثلاثة رجال فلا يفر بل يثبت مكانه وينظر اليهم نظر المتامل ومن
عادة الفور انهم اذا راوه ينادونه بصوتٍ عالٍ يا تيتل يا كافر
فيصير شاخصا اليهم كانه غير مكترث بهم فلا يبرح من مكانه
الا اذا يدنون اليه دنوًّا كليًّا فحينئذ يمشى رويدا رويدا فان
راهم جدوا فى طلبه هرول والفرق بين التيتل وبقر الوحش
المعتاد ان التيتل وان كان نوعا من بقر الوحش الا انه اصغر
حجما وقرونه تنبت معتدلة كقرن الغزال وبين القرنين من
الانفراج كثير ولون التيتل اصفر كله واما البقر الوحشى فمنهم
الاسود والاصفر والابلق الذى لونه مختلط ببياض كثير وقرونه
كقرون البقر الاهلىّ فى الغلظ والاعوجاج وجمه كجم البقر ايضا

وبهذا

وبهذا تعلم ان التيتل نوع من البقر وبينه وبين البقر الفروق
المذكورة وهناك اناس مشغولون بصيد الحيوانات لا حرفة
لهم سواها وكل منهم قد اعد لذلك عُدّة فاما الشبان
فيستعينون على الصيد بالكلاب والسفاريك لا غير واما
الحداد ون فيحتالون ومنهم طائفة الصيادين المذكورين لا حرفة
لهم سواها وهم على قسمين منهم من يتمحض لصيد ذوات الاربع
كالغزال وبقر الوحش والفيل والجاموس والضباع والسباع
والخرتيت ونحوها وهولآء يجتمعون فِرَقا فرقا كل فرقة منهم
خمسة انفار او ستة فياتون للطريق التي يمر عليها الفيل وغيره
حين وروده على المآء ويحفرون فيها حفرة عميقة اطول من
قامة ويدقون في مركزها وتدا مدبب الراس حاد السن كالرمح
ويصلّبون على الحفرة اعوادا ضعيفة ويغطونها بالحشيش
ثم يغطون الحشيش بالتراب فياتي الفيلة او السباع او بقر
الوحش او الجاموس او الخرتيت واردة للمآء فتمر على تلك الحفرة
فمتى ما ثقل على الاعواد الوطْء تكسرت تحت ارجلهم وسقط
في الحفرة منها حيوان او اثنان فمتى نزل الحيوان بثقله على الوتد
الذي في المركز دخل ذلك الوتد في لحمه فلا يقدر ان يتحرك حتى

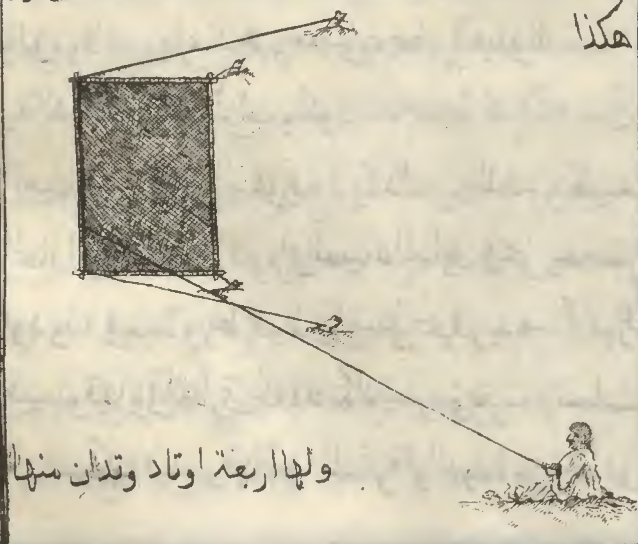
يأتي صاحب الحفرة فيتمم قتله ويأخذ لحمه بعد سلخ جلده
فيعملون اللحم قديدا وهو المسمى عندهم بالشراميط لانهم
يشرمطونه اي يقطعونه سيورا ويأكلون منه طريا فان
كان فيلا اخذوا اسنانه وجلده وقددوا لحمه وان كان خرتيتا
اخذوا قرنه وجلده وقددوا لحمه وهذا القديد يأكلون منه
ويبيعون منه وكل فرقة لها جماعة في البلد يفتقدونهم في
كل اسبوع ويأتونهم بما يحتاجونه من الزاد وغيره ويكون
معهم جمل يحملون ما يجدونه عندهم من القديد والجلود والقرون
وسن الفيل فيأتون بالجلود فيعملون منها الدرق والسياط
ويبيعون العاج وقرن الخرتيت والسياط للتجار ويبيعون
الدرق للعسكر وهم قوم لا عهد لهم ويسمون الدَرَامِدَة
فلا يناكحونهم ابدا ولا يتزوج الدَرْمُودِي الا من جنسه ومنهم
من يتحيل على الصيد بان يأتي لمحل الوحوش ويأتي بحبل من
قد متين ويجعله خرتة واسعة فاذا مر عليه شيء من
الوحش ودخلت رجله في الخرتة وهي دائرة اشبه بالعروة
فرفع الوحش رجله انخرطت عليه وهي ماكنة الاوتاد فلا يقدر
الوحش على قطعها ولا قلعها فيمكث حتى يأتون اليه

فيقتلونه

فيقتلونه ومنهم من يعلو على شجرة يقيل تحتها الوحش ويكون معه حربة او حربتان من الحراب
الواسعة الحادة التي هي هكـــذا

فيمكث في اعلا الشجرة حتى ياتي
الوحش ويقيل ويهدأ فينظر
لمن هو قريب منه ويطعنه وهو نائم في بطنه فتنفر باقي الوحوش التي معه ويمكث المطعون فينزل اليه الصياد ويتم قتله ومنهم من يتمحض لصيد الطير واحسن طير يصاد عندهم الحبارى وهو طائر عظيم اكبر من الدجاج الرومي لونه ابيض يميل الى الاصفر والخضرة يسمن في ايام الدرت سمنا مفرطا ويكون لحمه طريا لطيفا وهذا يالف دودا معروفا عندهم وحشرات صغيرة فياتي الصياد بذاك الدود او الحشرات ويكون معه خيط قد فتله من العصب فتلا جيدا وهو رفيع لا يكاد ان يرى للطائر ويقصد المحال التي يصيد فيها فمتى راى الصياد الحبارى في محل ربط حشرة او دودة في خيط وربط الخيط في اسفل شجرة ويذهب الحبارى فيسوقها وفي الحبارى بلادة لا تكاد تطير حتى يقرب الانسان ان يمسكها فيسوقها لجهة الحشرة او الدودة حتى تراها فمتى

ماراتها هرعت اليها وابتلعتها ولما صارت الحشرة في حوصلتها
وارادت تذهب يمنعها الخيط من الذهاب فياتي الصياد
فيذبحها ويضعها معه ويربط في الخيط حشرة اخرى ان كانت
هناك حبارى ويوجد ايضا طير اخر يسمى ابا طَنْطَرَة وهو ابيض
وهو طائر اكبر من الحبارى بقليل وله في عنقه كيس طويل مخروطي
الشكل اسفله واسع واعلاه ضيق يبتلع الحشرات ايضا كالحبارى
ومنهم من يصيد الطيور الصغيرة بالشباك وهذا اقل الدرامدة
كسبا لكونه يغرم حبًّا اذ العصافير وابو موسى وامثالها لا تقع
الا على الحبوب فياتي في المحل الذي يريد الصيد فيه بحيث يكون
قرب نهر او بركة وينصب شبكته وهي شبكة مربعة وصورتها
هكذا



ولها اربعة اوتاد وتدان منهما

مربوطان

مربوطان لِصْقَ ركنيها ووتدان مربوطان في حبلين طويلين في
ركنيها الاخريين فيدِق الاوتاد في الارض وفي قرب احدا ركانها
الوحشي حبل متين طويل جدا فينصب الشبكة ويبذُرُ الحبَّ
امامها وياخذ طرف الحبل الطويل ويمكث بعيدا عنه فمتى نزلت
الطيور وكثرت على الحب كَفَأَ الشبكة عليها بالحبل الذي في يده
وعيون الشبكة ضيقة جدا فلا يخرج منها عصفور ولا يفلت
منها شي فياتي صاحب الشبكة وياخذ الطيور منها فان كان
فيها ما هو غالي الثمن كالدُرّة او الببّغا ونحوه اخذ ريش جناحيه
وتركه في مِكْتَلِهِ وان لم يكن فيها ذلك ذبحها كلها وبذر حبا اخر
وحين كنت هناك كانت لي شبكة وكنت اصطاد بها في بيتي
فطالما شبعت من العصافير بصيدي بها وهناك من هو مغرم
بصيد القرود والنسانس في الجبال ولا اعرف كيفية اصطيادهم
بها واحسن من ذلك كله الصيد بالبارود لان الانسان هناك
متى ماكان معه بندقة جيدة يشبع من لحوم الحيوانات بغير
مشقة ومن الاغنياء من يشتري من الدرامدة عبدا ولا يكلفه
الا بالصيد فلما نصح ذلك العبد اشبع سيده من اللحم ولقد
رايت عند شيخنا الفقيه مدني عبدا يسمى سعيدا مسنا فاخبرني

انه صياد واطعمني لحم غزال وذكر انه من صيده وانه لابد له في كل
جمعة ان ياتي له باللحم مرتين او ثلاثا فصرت اتمنى ان يكون لي عبد مثله
فما عثرت عليه وقسم متمحض لصيد الزراف والنعام وهم اعراب
البادية كالمحاميد والزبدة والعريقات بدار الوادای والمجانين
والزيادية وبني جرار والعريقات بدار الفور وكل من هولاء يصطاد
على الخيل فاكثرهم صيدا اسبقهم جوادا ثم ان الانسان منهم اذا راى
صيدا وتبعه لا يقفو اثره بل يباريه حتى يحاذيه ومتى تمكن من فريسته
عقرها فاما النعام وان كان شديد العدو فيوجد من يلحقه واما
الزراف فلا يكاد يلحقه في العدو فرس ولذلك لا يلحقه الا الفرس
الذي يمر كالريح واعراب البادية في دارفور ودار وادای منعمون
فيما يشتهون لا يحتاجون الا الى الدخن والذرة والملبوسات
لكن يشترون ما يحتاجونه من ذلك بما زاد عن كفايتهم من
السمن والعسل والمواشي وجلود الصيد والبقر والابل حتى انهم
يجلبون لدار الوادای ولدار الفور الاجربة والقرب وبطط وحبال
مصنوعة من سيور الجلد ويسمون هذه الحبال الجلدية بالوجج
والسياط وغير ذلك واما السمن فمن انعامهم والعسل فمن
الاشجار لان النحل يعشش فيها وهم يجتنونه والصيد كثير فلذا ترى

ريش النعام عندهم لا قيمة له وكذا قرن الخرتيت وحين كنت
في دار الوداي جآء بعض التجار من فزان يطلب ريش النعام وطلب
من الشريف احمد الفاسي الذي توزر بعد ابي ان يكتب له كتابا الى
الشيخ شوشو شيخ المحاميد بالوصية عليه وان يامر الاعراب
بالصيد له برفق في الثمن وكان معه خمسون ريالا من الفرانسا
فكتب له الشريف بذلك فاخذ الكتاب وتوجه الى المحاميد بدليل
من العرب ومكث هناك ما شاء الله ان يمكث ولما جآء اخبرنا
بانه حين وصل الى حيهم وسال عن بيت الشيخ دل عليه فنزل
في اكرم ضيافة وارحب نزل ولما اراهم كتاب الشريف زاد الشيخ
في اكرامه وبالغ في التلطف واكبر به وافرد له بيتا من الشعر بفرشه
وجميع ما يحتاجه ووكل وصيفا ووصيفة لقضاء مهماته وكان
ذلك التاجر اخذ معه هدية للشيخ المذكور فقدمها له فقبلها
منه واثابه عليها ثم ان التاجر سلم للشيخ الخمسين ريالا فطلب
الشيخ العرب وقال لهم هذا رجل غريب اضافني والتجاء لي ويريد
ريش النعام فمن كان له ارب في الريالات فليغدُ للصيد من
الصباح وكل من اتى بجلد ظليم فله نصف ريال ومن اتى بربدآء فله
ربع ريال فاهتز العرب لمطلبه واصبحوا قانصين ففي يوم واحد

جاؤا بنحو عشرين ظليما فمكث عندهم نحو من عشرين يوما
تجمع فيها نحو مائة جلد ظليم وحملها له الشيخ على ابله وزوده
بزاد كثير وكان من جملة ماجآء به دهن النعام فانه جآء منه
بكثير واتى ومعه من العسل والكَنْبَاكَنْبَا والسَرْنَة والكَرْنُوشى
كثير وباع فى وارة الظليم بثلاثة ريالات ولم يبق معه الانحو عشرة
من الجلود وربح ربحا كثيرا واما الزراف لانفع فى المتجر الا بجلود ه
يبيعونها واما لحمه فياكلونه طريا وقديدا ويوجد عند العرب من
الارز والدِفْرَة والكُورَيْب والهَجْلِيج والترهندى والعسل والكرنو
والسرنة ما لا يوجد عند غيرهم واما اللبن فلا قيمة له عندهم
لكثرته ياخذون منه السمن ويرمون رائبه حتى ان من اتى الى
احيائهم وخصوصا احيآء الرزيقات ومسيرية الحمر والحبانية يجد
الغدران والبرك القريبة منهم كلها لبنا

فصل في معاملة اهل دار فور

قد تقرر فى علم التوحيد
ان الحق تعالت اسماؤه غنى عن المحل والمخصص فهو صاحب
الغنا المطلق لا يحتاج الى احد من خلقه وجميع الخلائق لفضله
محتاجون ولنواله سائلون وعلى ابواب رحمته مزدحمون فنظر
اليهم بعين رحمته ووهب لكل منهم ما يقوم به وبعائلته وفضل

بعضهم

بعضهم على بعض في الرزق فجعل منهم الملوك ومنهم الغني ومنهم
الصعلوك وجعل لهم اسبابا يتبعونها في طلب الارزاق وامر
بالسعي والاجتهاد خوف الاملاق ومن عظيم منّته ان جعل
البيع والشرآء حلالا بين الناس لينالوا ما في نفوسهم ويذهب
عنهم الباس فجعل في البلاد المتمدنة النقدين قُرّة للعين يتنالون
بهما ما يحتاجونه من امور معاشهم ويضطرّون اليه في ارتياشهم
وخص سبحانه وتعالى كل مملكة بسكة معروفة ودراهم ودنانير
بينهم مالوفة لكن لمّا كانت اهل السودان في بَوْن عن التمدن
العظيم وفي ظلمة وحشية كالليل البهيم كان اغلبُهم لا يميز
الذهب من النحاس ولا القصدير من الرصاص حتى من كان
في بلادهم معدن الذهب يبيعونه تبرا ويرون ان بيعه كذلك
احرى وسيما مملكة دارفور ليس بها شي من المعادن الا ما
جلب اليها من الاقطار حتى ان اعظم حلي نسآئهم كما تقدم من
انواع الاحجار فهم جديرون ان يكونوا بمعزل عن المعاملة بالفضة
والنضار لكن لما وطئت بلادهم التجار وتمصرت بالمتاجر فيها
الامصار احتالوا الى سكة بها يتعاملون ويشترون بها ما يشتهون
فانقسموا في ذلك اقساما واذهب كل قسم منهم بما اصطلح

عليه من المعاملة واما فاولها الفاشر وهو مقر السلطنة وتخت
المملكة جعلوا من القصدير خواتيم يشترون بها ما يحتاجونه
من لحم ودجاج وطيب وحطب وخضراوات وغير ذلك وتسمى
بالفوراوية تارنيه وهى على قسمين غليظة وتسمى تارنيه تونقانيه
ورفيعة وتسمى تارنيه بيّيا يتعاملون بها فى سفاسف امورهم كما
ذكرنا والامور المهمة يتعاملون فيها بالتكاكى جمع تكّيه وهى شقة
من غزل قطن طولها عشرة اذرع وعرضها ذراع وهى على نوعين
شيكه وهو منسوج خفيف غير مندمج وكنكات ومنسوجها
ثقيل مندمج فمن الاول كل اربع تكاكى بريال فرانسا ومن الثانى كل
اثنين ونصف بريال فرانسه وما عدا ذلك فبيعهم كله استبدال
شى بشى والامور العظام عندهم تباع بالرقيق فيقال هذا الفرس
بسداسيين او بثلاثة سداسيا والسداسى عندهم العبد الذى
اذا قيس بالشبر من كعبه الى شحمة اذنه كان طوله ستة اشبار
والسداسية كذلك وقيمة السداسى من التكاكى ثلاثون تكّيه ومن
الشواتر الزرق ستة والبيض ثمانية ومن البقر ستة ومن الريالات
فرانسا عشرة ريالات وكل انسان يشترى بما عنده ولا يعرفون
المحبوب ولا القروش ولا الفرانك ولا الخيرية ولا شى من معاملات

اهل

اهل المدن سوى الريال الفرانسا المسمى عندهم ابا مدفع واما
اهل كُوبيه وكبكابيه وصرف الدجاج فانهم يتعاملون بالخَرَش
وهو خرز ليس بالغليظ ولا بالرفيع منه اخضر ومنه ازرق يعمل
سبحا كل سبحة مائة حبة وقد قدمنا الشرح عليه في حلى النساء
وزينتهن فيتعاملون به في سفاسف الامور عوضا عن التارنية
في الفاشر ومن العجايب ان التارنية في هذه الاسواق الثلاثة
لا تسقى شربة ماء بل المعاملة بالخرش من خمسة حبات الى
مائة ومن سبحة الى عشرة الى ما لا نهاية له وقيمة التكية عندهم
ثمان سبح وبقية الاحوال كالفاشر واما قِرْلِي وما ولاها فيتعاملون
بالفَلْقُو وهو ملح صناعي مستخرج ترابا من الارض ويصبون
عليه الماء على غالب ظنى لرسوب الاوساخ والاتربة ويصفى
ويقطرون ماءه لنقص هذا الماء ويتلقون المقطر منه في قوالب
كالاصابع فيجمد بعد برودته ويصير كالاصابع وقد شاهدتُ
محال استخراج هذا الملح ورايت اوانى التقطير ويشابهون
البرام الافرنجية ولا نعلم من اوصل هذه الصناعة اليهم واهل
البلد لا يعلمون ايضا بل قُصارَى امرهم اذا سئلوا وقال لهم قائل
من علمكم هذه الصناعة ان يقولوا شيء وجدنا اباءنا يفعلونه

ففعلناه ولا نعرف اول من صنعه ولقد عاملت بهذا الملح
واشتريته وله لذة عجيبة في طعمه تخالف لذة الملح الطبيعي
الا انه غير شفاف وفيه سمرة وانواع الملح في دارفور ثلاثة
زغاوي وهو ملح طبيعي يخرج من بئر الزغاوي وقد قدمنا ذكره
وميدوبي وهو ملح طبيعي ايضا الا انه لونه احمر كالدم وقد
يستخرج قطعا كبارا كالحجار الطاحون في العظم والاستدارة
وثقله لا يحمل الجمل منه الا حجرين وله طعم لذيذ اكثر من النوعين
الاخرين واغلا ثمنا منهما ولا نعلم ما سبب احمراره وبالجملة
فاغلا الاملاح الميدوبي واوسطها الفلقو وادناها الزغاوي
فاهل سوق قرِلي وما ولاها يتعاملون بالملح الفلقو في سفاسف
امورهم كالحَرش في كُوبَيْهْ والتارنيهْ في الفاشر ولا يباع عندهم الملح
بكيل ولا وزن بل بالاصابع فيباع هذا الشي بفلقو به بفلقوتين
بثلاثة فلقويات وهكذا وباقي الامورهم كغيرهم واما سوق
كُسَا فيتعاملون فيه بالدخان ويسمى بلغتهم تَابَا كما يسمونه
الافرنج وهذا الاتفاق من العجائب ولا خصوصية لاهل دارفور
بل جميع السودان يسمون الدخان تَابَا واما اهل فزّان واهل
طرابلس المغرب فيسمونه تبْغا وفي سنة ١٢٣٢ رايت قصيدة

لبعض

لبعض البكريين فى حل شرب الدخان واظن تاريخ كتابتها فى
وسط القرن التاسع من الهجرة يقول فيها

من الطويل
وقد اظهر الله القدير بمصرنا نباتا يسمى التبغ من غير مرية
بتاء مثناة وباء موحد وغين وضبط الغين فيها بفتحة

ومنها

شرحه
ومن يدعى التحريم جهلا فقل له باى دليل ام باية آية
وليس بها سكر ولا الله ذمها فقولك بالتحريم من اى وجهة

ومنها

شرحه
فان تنتشق دخانها فترى الشفا فلا تنس باسم الله اول مصة
وقل بعد ذاك الحمد لله وحده لحمدك للمولى زيادة نعمة

انتهى وهذا التابا هو اقماع اهرامية الشكل مصنوعة من ورق
الدخان بعد دقه وهو اخضر فى مهراس من خشب حتى يصير
كالعجين ويجعلونه اقماعا ويجففونها فى الشمس وبعد جفافها
يبرزونها الى سوقهم ويتعاملون بها فى سفاسف امورهم وهذا
الدخان قوى الرايحة يكاد اذا شمه انسان ان ياخذه الدوار من
هذه الاقماع منها ما هو كبير ومنها ما هو صغير فكبيرها كاكبر
الكمثرى وصغيرها كصغيرها واما كريو والريال والشعيرية

فانهم يتعاملون فيها بالرُبَط وهى ربط غزل من قطن طولها
عشرة اذرع وفيها عشرون فتلة لاغير فيتعاملون بالربط
فى سفاسف امورهم ويتعاملون فى الامور التافهة جدا بالقطن
كما يجتنى من شجرته اى بغلافته التى خرج منها فيتعاملون بقطع
منه كاوقية واوقيتين وثلاث اواق على سبيل الحدس والتخمين
لا بالوزن والامور المهمة كباقى الاسواق واما سوق تُلْكِيَة وما
والاها فمعاملتهم بالبصل يشترون به جميع امورهم التافهة
والقطن ايضا والربط وباقى امورهم بالتكاكى ولا يعرفون
الشواتر ولا الريالات واما سوق راس الفيل فبالحشاشات
وهى قطع من حديد مصنوع
صفايح ولها انبوبة وصورتها هكذا



فيدخلون فى طرفها الانبوبى
قضيبا ويحرثون بها الزرع فتقطع الحشيش الذى فى الزرع
ولذلك سميت المحشاشة فيتعاملون بها فى سفاسف
امورهم وتافهها من حشاشة الى اثنين الى عشرين وما زاد
على ذلك فبالتكاكى والشواتر كباقى الاسواق واما توركه
فمعاملتهم بدمالج النحاس وهى فى مهمات امورهم وبالخدّ ورفى

سفاسف

سفاسف امورهم وقد تقدم تعريف الدمالج والخذّور في حلي
النسآء فلا اعادة واما اهل القوز فيتعاملون بالدخن في
سفاسف امورهم كلها كقبضة وحفنة وحفنتين الى نصف
مدّ الى مد وباقي امورهم المهمة بالتكاكي والريالات كباقي الاسواق
واكثر ما يتعاملون به البقر فيقولون هذا الفرس بعشر بقرات
او بعشرين فانظر ايها المتامل الى اهل مملكة واحدة كيف تنوعت
معاملاتها واختلفت احوالها فترى هولآء يرون شيا حسنا
وهولآء يرونه قبيحا والملك لا يحكم عليهم باجراء معاملة واحدة
في جميع الاسواق بل ابقى كل قوم على ما اعتادوا فسبحان الفعال
لما يريد ولنمسك عنان القلم عن الركض في ميدان المعاملات
لان ما ذكرناه فيه كفاية في الاعتبارات

باب في ما ينبت في دارفور من النبات وفي السحر والتعزيم وضرب الرمل وغير ذلك

اعلم ان الغني عن المتى والاين والكيف والمنزّه عن الجور والظلم
والحيف قسم الاشيا وعدّلها وانزل كلا منها منزلها فجعل
في البلاد الشمالية البرد الشديد وفي الجنوبية الحر الذي ما
عليه من مزيد لكن لرحمته بعباده منّ على اهل الشمال بالدفء

بالملابس وبالاكنات التي لا يبرد فيها المجالس ونظر لاهل الجنوب
بعين الاسعاف والتلطيف فجعل المطر ينزل عليهم وقت اشتداد
المَصِيف ولما كانت أرض الفور من هذا القبيل وفي وقت الصيف
يشتد فيها الغليل كان مدرار الوبْل مطفياً لوهج ذلك الحرور
لُطْفا من العزيز الغفور فيزرعون على مطر الصيف ويسمون
ذلك الفصل بالخريف فلذلك على ظني لا يزرعون بُرّا ولا شعيرا
ولا فولا ولا عدسا ولا حمصا ولا ينبت عندهم المشمش ولا
الخوخ ولا التفاح ولا الرمان ولا الزيتون ولا البرقوق ولا
الكُمَّثْرى ولا التُرُنْج ولا الليمون الحلو ولا البرتقان ولا اللوز
ولا البندق ولا الفستق ولا الجوز ولا الزعرور ونحو ذلك بل
يزرعون الدُخْن وهو حب صغير اصفر منه يقتاتون
هم ودوابهم ومواشيهم فهو الغذآء الرئيس عندهم ويزرعون
الذُرَة على اختلاف انواعه ويسمى عندهم المَارِيْق وهو انواع
فنوع منه يسمى العَزِير وهو الذرة الحمرا ونوع يسمى أبا
شَلْوَلَوْ وهو الذرة البيضا ونوع يسمى أبَا أبَاط وهو الذرة
المعروفة في مصر بالذرة الشامي ولا يزرع القمح عندهم الا في
جبل مَرّة لكثرة الامطار فيه او في كوبيه وكبكابية ويسقونه من

الابار حتى ينضجه كما تقدم ذلك **والدُخْن** عندهم نوعان نوع
يسمى **دِنْبي** وهو ما يزرعه اعجام الفور في الجبال وغيرها وهو
حب كالدخن المعتاد الا انه يميل الى البياض وسنبلُه اغلظ منه
وينضج زرعه قبله بنحو عشرين يوما وهو قليل في سهل دار
فور ولا يالفونه كالدخن الاصفر واما انواع الذرة فلا يالفون
منها الا الابيض ومع أُلْفتهم له لا يكثرون من تناوله واما **ابو
اباط** فيزرعون منه قليلا للشهوة فياكلونه مشويا ولا يخزنون
منه حبا واما **العَزِير** فهو مبغوض عندهم لا ياكله الا الفقراء عند
الاضطرار وينبت عندهم في البرك والغدران **ارز** ينبت بدون
زارع فيجمعون منه ما قدروا عليه في ايام الربيع فيطبخونه
باللبن من قبيل الترفّه وعندهم نوع اخر يقرب من الارز وليس بارز
ويسمى **بالدِفُرَة** وهو حب صغير اصغر من حب الارز وفيه بعض
فرطحة شديد البياض يالفونه اكثر من الارز ويزرعون من
السمسم شيا كثيرا ومن العجب انهم لا ينتفعون منه
بزيت بل ياكلونه حبا ويطبخون منه في اطعمتهم كما ان العسل
النحلي كثير عندهم ولا ينتفعون بشمعه بل ياخذون العسل
ويرمون الشمع وهم احوج الانام اليه والى زيت السمسم لانهم

يستصبحون فى بيوتهم بالحطب ومع كثرة الحطب عندهم لا
يفحّمون منه فحما ينفعهم ولا يعرفونه ويزرعون **اللوبيا**
و**البطيخ** مع الدخن سواء فاما اللوبيا فهى كاللوبيا بارض مصر
الا انها اكبر لانها عندهم تقرب من حب الفول المصرى واما
البطيخ فاكثره صغير الحجم كالبطيخ الذى يكون فى اخر فصل البطيخ
فى المقثاة واذا كسر يكون غير نضيج لكن الذى فى دار الفور مع
صغره نضيج ولهم فى البطيخ ثلاث منافع الاولى انهم ياكلون
منه حال نضجه كما ناكل بطيخنا ويشربون ماءه كذلك الثانية
انهم ياخذون البطيخة وينزعون قشرها بالسكين ثم يقطعونها
اربع قطع ويتركونها حتى تجف فيخزنون منه من هذا القبيل شيا
كثيرا وفى وقت الاحتياج يدقونه فى مهراس من خشب
حتى يصير دقيقا فيعملون منه حَسُوًّا بشرب وتسمى عندهم
مديدة وهى المسماة بعرف الأُورُوبّا بالكريمة وربما اكلوا منه
بغير دق ولا طبخ الثالثة انهم يجمعون من البزر شيا كثيرا
ويخزنونه ويدقونه وقت الاحتياج وينسفون قشره
وياخذون اللب فيطبخونه فى أُدْمهم او يعملون منه الكريمة
ايضا ويزرعون **البصل** و**الثوم** و**الفلفل** وهو حب

والكُسْبَرة وحب الرشاد في كوبيه وكبكابية وفي اودية
جبال الفور كما تقدم ويزرعون القرع بانواعه ويزرعون نوعا
من القثاء وفي كوبيه وكبكابية يزرعون الخيار والفقوس
الطويل والباذنجان والملوخية والبامية وفي غيرها لا
وهناك واد بين البلد المسمة بمَرْبُوطَة والفاشر يسمى وادى
الكُوع يفيض وقت الخريف من كثرة الامطار فلا يعبره الا من يعرف
السباحة وفيه تيار شديد فاذا فاض هذا الوادى وطفا الماء على
شاطئيه ثم نضب ينبت فيه من البامية شيء كثير فيهرعون
اليه من الجهات القريبة له يجمعون تلك البامية ويجففونها
ويدّخرونها لأُدُمهم العام كلها وهذا الوادى يشق دارفور بالعرض
من اولها الى اخرها ونشاؤه من جبال مرة وعلى شاطئيه سياج
من شجر السنط واذا فاض يعم من كل جهة من جهتيه ما
ينوف عن فرسخين الا في بعض المحال ضايقته الرمال وسعته
في بعض المحال كخليج مصر وفي بعضها اوسع بمرتين يسافر
المسافر على شاطيه نحو خمسة عشر يوما وانما ذكرت انه
بين مربوطة والفاشر لاني مررت به كثيرا من هناك والا فهو ممتد
كما ذكرت ويزرعون فولا قرونه تكون تحت التراب وليس

كالفول المسمى في مصر السنارى الان لان ذلك فيه الوان عجيبة
من احمر ناصع واصفر وابيض وبني كما تقدم ذلك **واما الاشجار**
فليس عندهم من الاشجار المعروفة الا **النخل** وهو في كوبيه وكبكابية
وسرف الدجاج ونُمْلَيه كما تقدم ذلك في التكلم على جبال مرة وفي نُمْلَيه
بعض شجر من **الموز** وفي قرلي شجرات من **الليمون** الحامض وبقية
الاشجار الموجودة هناك كلها نابتة طبيعة في الخلا فاعظمها منفعة
الهجليج وله نوعان الهجليج الاصفر والهجليج الاحمر وذلك بحسب
لون ثمرها وهذا الثمر كالبُسر الغليط والهجليج شجر يعظم كما يعظم
الجميز في ارض مصر اوراقه بيضية قليلا وله ثمر حلو الطعم ببعض
مرارة وله رائحة خاصة به ولهذا الثمر غلاف يكون عليه وهو قشرة
ليست بالغليظة ولا بالرفيعة فينزعونها ويمصون الثمر مصا لانه
خشب مكسو بشى كالطلاء يمتص ويبل بالماء فاذا ذهب صار
الخشب اى نواه ابيض وهو غلاف لشى كالصنوبر هيئة وبياضا
وهو بزر الا انه اكبر منه حجما لكنه مر الطعم فيعطّنونه في الماء نحو
ثلاثة ايام ويغيرون ماءه في كل يوم فتذهب مرارته وح بعضهم
يملحه بالملح وبعضهم يقلوه وبعضهم يطبخه بالعسل واذا كان
مملوحا كان طعمه كطعم اللوز المملوح وهناك نوع ثالث من الهجليج

وهو

وهو الهمجليج الاحمر فياخذون لبّه بعد نضجه ويضيفون عليه الصمغ
ويعجنونه به فيصير حلوًا مرًّا لذيذًا وعلى الاطلاق ياكلون ثمر الهمجليج
على كيفيات مختلفة ولشجر الهمجليج هذا منافع لا توجد عندهم في
غيره من الاشجار لا يرمون منه شيا بل ينتفعون بجميع اجزائه فاما
ورق فانهم يطبخون الطري الغض منه في ادمهم واذا كان بانسان
جراح فيه دود يمضغون من هذه الورق حتى يصير كالعجين وينفخونه
في الجرح فينتقي من الدود وينظف من اللحم النتن وياخذ في البُرْء واذا
أُخذ ثمر الهمجليج وهو اخضر وهرس في مهراس حتى صار كالعجين نفع
كالصابون في غسل الثياب فان له رغوة كالصابون يُنقي الاوساخ
وينظف الثياب المغسولة به الا انه يصفّرها قليلا واذا لم يكن
وقت الثمر توخذ جذور الشجرة وتدق ويغسل بها فتفعل ذلك
وخشبه يستصبح به في البيوت بالليل عوضا عن السراج لانه لا
دخان له ومن خشبه تعمل الواح القرآة ومن رماده يعمل الكَنْبو
وهو ملح سائل يوخذ من الرماد المذكور ويطبخ به الا ان به مرارا
وذلك عند اعوازهم للملح لقلته وغلوه والنَبْق وهو نوعان
عربي وكَرْنو والثاني اكبر حجما من الاول واكثر لحما ويخالفه في اللون
فان النبق المعتاد العربي اذا نضج احمر لونه والكرْنو اذا نضج اصفر

وهذا انفع من الاول ومن منافعه ان الثمر بعجينه يمسك اطلاق
البطن وقبل ما يُدَق ويعجن يُنحَت جلدته الظاهرة ثم يعملون
منه اقراصا ويجففونها وياكلونها واذا كسر نواه يوجد فيه
بزرتان في مسكنين والعرب ياخذون هذا البزر الصغير ويجففونه
في الشمس ثم يطبخونه بالعسل فيصير لذيذا ويبيعونه في دار
الفور ويسمى كَنْيَكَنِيا فيوكل كالحلوى واذا مضغ من به دود القرح
من ورق النبق الكرنو وازدرد ريقه قتل دود القرح واخرجه ميتا
والتَبلدي وهو شجر عظيم ضخم اجوف الجذع ينبت في الفيافي
واهل البادية اذا اشتد بهم العطش في غير وقت الامطار ياتون
الى التبلدي فيجدون في تجويفه ماء مجتمعا من المطر فيشربون منه
ويذهب اوامهم ولهذا الشجر ثمر مستطيل كبير كالالواز في باطنه
بزر احمر كحب الترمس في الحجم وكبزر الخَرّوب في اللون الا انه فيه
دقيق ابيض حامض الطعم يستف منه فيوجد مرا والاستفاف
منه على الريق يقبض اطلاق البطن وتعمل منه الكريمة مع الدقيق
فتصير لذيذة وشجر الدُلَب وهو المسمى في عرف مصر بالجوز
الهندي الا ان هذا الشجر لا يوجد في جميع دارفور بل لا يوجد الا في
الجهة الجنوبية منها ويسمى في عرف الفور بالدَلَيْب وهو شجر

طوال

طوال كالنخل او اطول وينتج جوزا كبيرا اذا كسر غلافه وجد ما فى
باطنه فى غاية اللذة لا سيما قبل تمام نضجه فانه يكون كاللبن
مع الحلاوة واللذة ومن اشجارهم الحُمَيْض وهو شجر شائك
كاضخم ما يكون وله ثمر كالتفاح الكبير الا ان له عجما وفيه حموضة
لذيذة ولونه ابيض يميل الى الصفرة ومن اشجارهم الدَوْم وهو
شجر معروف فى صعيد مصر ويسمى بالمُقْل ايضا ومن اشجارهم
العَنْدُرَاب وهو شجر متوسط فى الطول والغلظ يحمل
ثمرا اشبه بعنب الذئب الا انه احمر قانى الحمرة ولا عجم فيه
وهذا الثمر حلو الطعم جدا ينضج فى اول فصل الدَرَت اى الربيع
بلغتهم وهو اول فصل الخريف عندنا ومن اشجارهم القِدَّيم
وهو شجر اشبه شجر الرمان يحمل ثمرا صغيرا اذا فلقتين عليه جلدة
حمرا ناصعة الحمرة فى غاية الحلاوة وعجمه كبير ولا اجد له شبيها
فى فواكهنا امثله به ومن اشجارهم شجر المُخَيَّط وهو شجر صغير
يحمل ثمرا كالنبق فيه مرار فيوخذ وينقع فى الماء اياما فتذهب
مرارته فيرش عليه الملح ويطبخ ويوكل ومن الناس من يجففه بعد
النقع ويسحقه حتى يصير دقيقا وتعمل منه عصيدة وهذا الفعل
خاص بايام الغلاء واشتداد الكرب ومن اشجارهم اللُولُو وهو

شجر يقرب من شجر الجوز المسمى بعين الجمل يحمل ثمرا كثمر ابى فروة الا ان ثمر
ابى فروة فيه تفرطح وهذا كحب البندق لكنه اكبر من البندق فى
الحجم يساوى حجم ابى فروة وابو فروة هو المسمى فى بلاد الترك بالكَسْتَنَا
وفى تونس بالقصطل ولهذا الثمر لب دسم ولا يوجد الا فى الجهة
الجنوبية فى اخر دارفور اى فى جهة بلاد الفَرْتيت واهل تلك الناحية
يعصرون منه زيتا ولقد رايته ووجدته اكثر شبها بالشيرج
فى الهيئة وبزيت الزيتون فى الطعم فيدهنون منه ويجعلونه
أُدْما فى اطعمتهم ويوجد الخَرُّوب والجُمَّيْز لكنهما رديئين لا
ينفعان بشى ويزرعون القُطْن بنوعيه البلدى ويسمى عندهم
بالعربى والهندى ويسمى عندهم بِلَوِى وينتفعون عنه اتم
المنافع لان منه كساويهم وبه معاملتهم كما قدمنا ذلك فى باب
المعاملات واما الاشجار التى لا يوكل لها ثمر فكثيرة جدا تكاد ان لا
تدخل تحت حصر ولكن نذكر اشهرها وانفعها فنقول من
انفعها العُشَر وهو شجر قصير متعدد الفروع جذعه مكسو
بشى ابيض كالشحم اذا ضغط بين الاصابع يتفتت ورقه كبير واذا
كسر يخرج منه عصارة بيضا كاللبن وله ثمر كالكرة باطنه ممتلئ
بشى كالزغَب او الوبَر يتطاير فى الهوا لخفته ولهذا الشجر منافع منها

ان عصارته اذا وضعت على جلد حيوان ازالت شعره ويلحون
لحاأه فتوجد فيه خيوط رفيعة كالحرير فتجمع ويفتل منها خيوط
تنفع لخرز القرب ويفتل من اللحاء حبال فتنفع للربط والحمل
والوبر الذى فى الثمر تسد به خروق القرب ومن عادتهم اذا سرقوا
حمارا او فرسا وارادوا تغير شعر موضع منه يدهنون المحل الذى
يريدون تغيره بهذه العصارة فيذهب الشعر ويخلفه شعر
ابيض فيشتبه على اربابه لكن منهم من يعرف ذلك للاعتياد به
وخشبه خفيف كخشب القَفَل ورايتهم يسوّدون البارود بفحمه
وفى اسبتالية ابى زَعْبل شجرة منه وفى الصعيد كثير منه ايض ومنها
شجر يسمى الحَشَاب وهو شجر ذو شوك ومنه يوخذ الصمغ
العربى ولقد رايته واجتنيت منه الصمغ لينا يمتد كالعلك
وينبت فى الاماكن المعطشة الرملية ومنها السَنْط
وهو شجر القَرَظ وهو شايك ضخم ومنها الطَلْح وهو من فصيلة
السنط والطلح شجر يعلو اكثر من قامة ولحاؤه احمر وله شوك
طويلة كالابر وورقه مركب من وريقات صغيرة والسَيّال شجر
طويل يعلو اكثر من قامة لكن اصغر من الطلح ولون قشره اخضر
يضرب الى البياض وله شوك ابيض واوراقه مركبة كل ورقة من

وريقات صغيرة ومنها **الكِتر** وهو شجر ذو شوك وفروع كثيرة
وشوكه كالسنّارة وله صمغ يجتنى منه لكن صمغ الحشاب
اغلا واحسن منه ومنها **اللَوُوت** وهو شجر صغير ذو شوك
صغير وفروع كثيرة فيه اخضرار لا يفارقه وان جف اذا قشر
لحاؤه وتشم منه رايحة كريهة خاصة ومنها **القَفَل** وهو
شجر ليس بالكبير ولا بالصغير لكن اكثره ينبت في الجبال ومنها
الحَرَاز وهو شجر هائل الضخم والكبر ذو شوك يعظم جذعه حتى
لا يعتنقه الرجلان اذا مدا باعيهما ظله ظليل حتى ان منه
ما يجلس في ظله مائة رجل واكثر وبالجملة فالاشجار التي لا يوكل
لها ثمر تنفع في امور أُخَر فانهم يقطعون منها الاخشاب
لبيوتهم اما السنط فقَرَظُه للدباغ وشعبه الطويلة عمد لبيوتهم
واما اللَوُوت فلحاؤه يربطون به سقف البيوت وفروعه يجعلونها
في السقوف وفي الصريف والصريف عندهم عوض عن الحايط عندنا
واما الكِتر والحَشَاب فياخذون منها الصمغ واحيانا يقطعون
شوكهما يجعلون منه الزرايب لمواشيهم ولبيوتهم لان لكل بيت
زريبة غالبا وهي كناية عن السور وصريفا وهو كناية عن الحايط
والبيوت في الوسط اشبه شي بالخيم والطوزْلُك المضروب حولها

والبيوت

والبيوت إما من قصب الدخن أو من قصب رفيع يسمى
المرهبيب والثانى لا يعمل الا للاغنياء واكابر الدولة وهو قصب
ناعم قليل الكعوب رفيع كالسمار ابيض يميل الى الصفرة ذكى الرائحة خصوصا
بعد نزول المطر واعلم ان النبات فى بلاد السودان كثير لا يحصى
افراده العد ولا يوقف له على نهاية ولا حد ولا اعرف منه الا ما
اشتهر وذاع وملأت شهرته البقاع لانى كنت اذ ذاك فى سن
الشباب والجهل سابل على جلباب لكن لكثرة مخالطتى بهم
واسفارى معهم عرفت ما عرفته بالاسم ولا اقدر ان اميزه تميزا
كليا فمنه شجر الشاو وهو شجر كبير وصغير وصغيره اكثر من كبيره
وهذا الصغير اطول من القامة وقشوره خضرا بالنسبة للكبير
لان قشرة كبيرة مغبرة اعنى ان لونها اغبر وهو اللون الذى يقرب
للبياض وليس ابيض ناصعا ويحمل فى ابان حمله عناقيد تاكل منها
اهل السودان وهذه العناقيد فيها حب كاصغر العنب ما
نضج منه يكون اسود وما قرب للنضج يكون احمر ومالم يقرب
منه يكون اخضر وطعمه حلو فيه بعض حرافة وورقه يغلب
على ظنى انه بيضى او يقرب من ان يكون بيضيا اخضر الظاهر
والباطن والبطوم شجر كبير هائل المنظر اغبر اللون غليظ

الساق صلب الخشب اوراقه صغيرة بيضية في حوافيها تسنن
وترى قشرة الساق من اسفل مشققة شقوقا غير منتظمة
وثمرة كثمر الشاو وعناقيده ايضا الا ان هذا الحبه اذناب طويلة
ولا يوكل ثمره وهو اصغر من ثمر الشاو وتعلو ساقه اكثر من
قامتين ويتفرع فروعا كثيرة واما الأَبْنُوس فهو شجر متوسط
وقشرته خضرا داكنة والابنوس قلبه فاذا حُيِّتْ القشرة
انكشفت عن عود اسود الا انه يكون سواده خفيفا وهو
اخضر فكلما يبس ازداد سوادا واحسن الابنوس ما اخذ من
الجذور وهذا النبات لا يوجد في دار الفور وانما يجلب من دار
الفرتيت اليها والجُوخَان او الجُوغَان كذلك الا ان الجوخان
له ثمر كالبندق في الحجم حلو الطعم فيه بعض يبوسة كالغضروف
واما الجُعْجَع فهو شجر متوسط ايضا ولون ساقه يميل الى
الحمرة وفروعه ليست كثيرة التفرع وفيه شوك طويل واذناب
اوراقه قصيرة فربما ظن انها ملتصقة بالفروع لقصر اذنابها
وهذه الاوراق مستديرة مسننة تسننا غائرا وثمره كثمر
الزعرور وفيه مساكن الا انه غضروفي او فيه خشبية واغلب
ظني ان في كل ثمرة اربعة مساكن بينها حواجز واما دار فرتيت وهم

مجوس السودان المحاذون لجنوب دارفور فينبت فيها **القنا**
ومنها يصنعون اعواد حرابهم واكثر اعواد حراب اهل الدولة في
دارفور من القنا وهو جميل جدا ويجلب من دار فرتيت واما النباتات
التي فيها الخواص فمنها شجرة **كِيلِي** وهي شجرة متوسطة لا شوك
فيها تثمر ثمرا كالزعرور الا انه خشبي يوخذ الثمر وينقع في الماء ويسقى
المتهوم ولون هذا الثمر كلون الرمان الحامض اذا جف و**الشَعْلوب**
وهو شجر نصف خشبي كثير الفروع لينها ورفيعها تمتد فروعه
وتشتبك ببعضها متراكمة حتى تصير الشجرة وحدها كالاكمة
وله ثمر كالبلح الكبير الاخضر ولا عجم ولا نوى فيه وفيه عصارة
لبنية ببعض لزوجة لطعمه بعض حلاوة ابتداء وحرافة انتهاء
اخضر لا يفارقه لون الخضرة ولو جف اذا مضغه شارب
الخمر ازال ريحتها وقد تقدم ذلك ومنها دَقَرَة وهو نبات
حشيشي ينبت في الاراضي الصلبة اوراقه رقيقة فيها نوع
استدارة اذا دق الورق في هاون وعصر ماؤه في العين الرمدا
المتورمة بالتهاب حاد ثلاثة ايام صباحا ومساء ابراه ولقد
كنت في سوق نُمْلَيْه في غير روية الجبل ومسكت بيدي الفلفل
وصرت اعبث به ثم هبت ريح فقذيت عيناي فدعكتهما

بيدى ونسيت امر الفلفل فتالمتُ الماً عظيما والتهبا فى الحال
وورما فركبت وسافرت فلم اقدر على الركوب من شدة الالم
فدخلت فى بلدة وبت عند امراة عجوز فيها فلم اكتحل بنوم
وانقلب الجفنان وغلظا حتى خشيت على عينى من العما وصرت
لا اعرف ما ينقذنى من ذلك فلما اصبح الصباح جاتنى عجوز ونظرت
عينى وتوجعت لى ثم قالت هذا امر سهل ثم دعت بابنة لها
صغيرة تكاد ان تكون ابنة سبع سنين او ثمانية وقالت لها
بلغة الفور اذهبى الى اسفل الجبل وائتينى باوراق من النبات المسمى
دقرة فذهبت الصبية وغابت قليلا ثم جاءت ومعها اوراق
كثيرة فاخذتها العجوز ودقت بعضها بين حجرين حتى صار
كالعجين وامرت بفتح عينى ومسك يدى ثم عصرت فى عينى من
عصارة النبات المذكور فنزل فى عينى باردا ثم ابتدا ياكل بغير الم
حتى كانما فى عينى دود واريد ادعكهما بيدى فلا استطيع للضبط
على فعانيت من ذلك مشقة حتى اضمحل الاكلان وجاءنى النوم
فنمت واستغرقت فى نومى مدة عظيمة فلم افق الا قرب
العصر فاحسست فى عينى خفة وذهب الالم ولما كان من
الليل جاءت وعصرت لى من تلك العصارة وبت بانعم ليلة وفى

الصباح

الصباح عصرت لى منها ايضا فانفتحت عيناى وكانى لم ارمد
بهما فذبحت اذ ذاك كبشا سمينا وليمة لشفاءى واعطيت
العجوز جديا سمينا وغالب النبات والشجر يثمر فى اخر زمن الخريف
وهو الصيف عندنا لانهم يسمون صيفنا خريفا وخريفنا دَرَتًا
وفى عرفهم يعنون به الربيع وربيعنا صيفا ولم يوافقونا الا فى
الشتآء فان الشتاء عندهم هو الشتاء عندنا وفى الصيف
الحقيقى تُمطِر السمآء عندهم ويزرعون لان اول سقوط المطر
عندهم فى الجوزآء ويسمونه الرُشَاش وفى السرطان تنفتح
عزالى السحاب ويكثر المطر وتمتلاء الاودية وبذلك تعلم سبب
زيادة النيل المبارك ومما يوكد ان كثرة الامطار عند اهل السودان
هى السبب فى كثرة نيل مصر ما وقع من الاتفاق ان سنة ١٢٥٣
هجرية وقع فى مصر غلاء عظيم حتى ابيع الاردب من القمح بمائة
وخمسين غرشا بل اكثر وسببه عدم فيضان النيل كعادته
وكنت متشككا هل وقع ذلك بارض السودان ام لا وبقيت
على الشك الى سنة ١٢٥٧ فجآء القاضى الدليل قاضى القضاة
بمملكة الوادى فاخبرنى انه فى تلك السنة قل القطر حتى اجدبت
الارض وغلت الاقوات واكلت الناس الجِيَفَ والكلاب وهو

اتفاق عجيب ادل دليل على ان زيادة بحر النيل من امطار تلك البلاد
ولله في ذلك حكمة لا يعلمها الا هو وفي وقت الرشاش يكثر
هبوب الرياح والموتفكات واكثر مجيئها في اوقات العصر واذا هبت
ترى من بعد كالسحاب فتارة تكون حمرا وقد سدت الافق من
الجهة التي تاتي منها وغالب الموتفكات تاتي من قبل المشرق ونادرا
ان تاتي من الجنوب وفي مجيئها من الشرق تحمل رملا كثيرا من القوز
الذي تمر عليه وكل موتفكة تاتي بمعية مطر لان قبل ذهابها يرعد
الرعد وبعد الرشاش ينزل المطر برعد قوي حتى انه ربما نزلت منه
صواعق فضرت ولقد رايت صاعقة نزلت على شجرة هجليج
فكسرت منها فرعا عظيما وساخت في الارض واخرى نزلت
على بيت فدخلت نار من خلال البيت واصابت رجلا فاحرقت
ذراعه وساخت في الارض وسمعت منهم ان من كان معه
حديد لا تقربه الصاعقة وهذا خلاف راي الافرنج وفي فصل صيفهم
الذي تسميه ربيعا تكثر الزوابع والسراب في الارض ولا اعلم ارضا
يكثر فيها الزوابع والسراب كارض السودان واحسن المطر عندهم
واهناه ما يقع بالليل والناس نيام وهو وان كان يحصل فيه رعد
الا انه لا يضر كما يضر الرعد الذي ياتي بالنهار ويكثر قوس قزح

عندهم

عندهم في وقت نزول المطرحتى انه يكون في الساعة الواحدة
في اربعة محال او خمسة منها ما يكون كالقوس ومنها ما يكون
على خط مستقيم وهو قليل واكثره يكون على خط منحنى والرشاش
عندهم نحو خمسة عشر يوما وفيه يزرعون الدخن والذرة بانواعه
واطول خريف عندهم ستون يوما غير ايام الرشاش واوسطه
ستون يوما بايام الرشاش واقله لاحد له واغلبه ان يكون
خمسة واربعين او خمسين يوما واقل من ذلك قحط وجدب فهو
كالعدم الا ان جاءت في تلك المدة امطار غزيرة روت الارض ريا
عظيما خصوصا عند آخر الفصل وختام الزرع واذا طالت مدة
الخريف وكثرت امطاره سموه خريف التيمان واسماء الشهور
في بلاد الفور والوادى بالعربية فلا يعرفون الاشهر الرومية
ولا القبطية ولا الاعجمية فاهل العلم منهم يسمونها كما سمتها
العرب قديما بالاسماء المشهورة الآن كمحرم وصفر وربيع الخ واما
عوام الناس فيسمون الشهور باسماء أخر وهذه الاسماء وان
كان معناها عربيا لكنها مستهجنة ويبدؤن في حساب
السنة بشوال لكن باسم اخر فيسمون شوالا بالفطر وذى
القعدة فطرين وذى الحجة بالضحية ومحرما بالضحيتين

وصفر بالوحيد وربيعا الاول بالكرامة وربيعا الثاني بالتوم وجادى
الاول بالتومتين وجادى الثاني بسايق التيمات ولم يسلم من
التغيير الارجب ورمضان فيقولون رجبا ويسمون شعبان
القصير ورمضان رمضان انتهى وبالجملة فخواص النبات في دارفور
عجيبة حتى اني لخشى ان ذكرتها يكذبوني ولا اجد لي شاهدا على ذلك
واكثر الخواص في الجذور وهناك معلمون نباتيون لهم تلامذة
عديدة اكثر اوقاتهم مسافرون يصعدون اعالي الجبال ويتخللون
بطون الاودية يحفرون على النبات ويعلمون تلامذتهم وهولاء
القوم يسمون بالمقراقيين ولهم في دارفور شان ولهم معاندة
مع بعضهم كل منهم يريد ان يرتفع صيته وجميع الجذور التي ياخذونها
يضعونها في قرون الغنم بل وفي قرون البقر وهي على انواع منها
ماهو للمحبة والقبول والجذور التي لذلك تسمى نارة وكان
في ايامنا اشهر الناس بها رجل يسمى بكرلوكو وكان مقره بجديد
السيل وكان من عشق صبية وامتنعت عليه بغضا فيه
ذهب الى بكرلوكو فاخذ منه نارة ودلك بها وجهه ويديه وذهب
الى محبوبته ومسح بيده على كتفها او شي من جسمها فوقع حبه
في قلبها بحيث لا تقدر تفارقه فيفعل بها مايريد وان خطبها

وابا

وابا ابواها فرت معه حيث يريد وتزوجته قهرا عنهما ومن كان
له حاجة بباب الملك وخشي ان لا تقضى وذهب الى بكرلوكو واخذ
منه قطعة من النارة ودلك بشي منها بين كفيه ومسح على وجهه
احبه الملك وقضى حاجته وان كان ضامر له سوءً واشتهر
بَكُرْلُوكُو بهذا الامر حتى ان النسآء ليغنين به ويقلن

بكرلوكو أَبَاً
بنتين بسَدَا

ومعناه ان بكرلوكو ان اراد ان يرخص مهور البنات يجعل الرجل
يتزوج بنتين بسداء واحدٍ والسدا هو عشرة اذرع غزلا فيما
ومما اتفق لي في ذلك انه في يوم من الايام جائني رجل معه نارة
يدّعي انها عظيمة جدا وانه اخذها من بكرلوكو وعرفها علي للشرآء
فقلت له يا هذا انما يحتاج الى النارة من تبغضه النسآء وانا في
شبابي هذا وتيسير حالي لو اردت ابنة الملك لما تعذرت عليّ
فكيف بغيرها ويحتاج اليها من يخشى سطوة الملك وانا في
امن من ذلك لاني غريب وشريف ولي عند الملك حرمة فاعرضها
على غيري فهو اولى بها مني لاني انا في نفسي نارة فما اصنع بالنارة ه
ومنها ما يستعمل للمضرة وهو على انواع نوع يستعمل لقتل العدو

وكيفية ذلك ان يوخذ الجذر الذى فيه خاصية القتل ويغرز فى
ظل راس المراد قتله ففى الحال يتاثر ويلتهب المخ ويبقى الشخص
لا يعى شيا فان لم يتدارك سريعا بضد ما فعل له مات واذا
اريد ابطال عضو منه يغرز الجذر فى ظل العضو المراد ابطاله كاليد
او الرجل ففى الحال يتالم العضو ويلتهب وينتفخ وربما حدثت فيه
غدة كغدة الطاعون وان لم يتدارك سريعا ينفتح وينتهى
بفقد احساس العصب وبطلان الوظايف كلها واذا اريد ان
يصاب بالدوار وبالقئ هناك جذور توضع على الجمر ويتلقى
دخانها ولو فى كم الثوب ويطبق عليه طبقا جيدا ويتوجه
للشخص المقصود فيفتح كمَ الثوب ونحوه بقرب انفه فتسطع
رايحة دخان الجذر فى انفه فيقع فى الحال حتى تبقى رجلاه اعلا من
راسه فان لم يتدارك فى الحال بقى كذلك اياما ومنها جذور
خاصيتها جلبُ النوم وهذه الجذور تستعملها السارقون
وتجعلها فى قرون فيدخل السارق بالليل على المحل واهلـــه
مستيقظون فيُشير اليهم بالقرن الذى فيه الجذر ثلاث
مرات فيضرب الله على اذانهم فلا يعون شياً فيدخل السارق
وياخذ ما يريد اخذه وربما ذبح الشاة وسلخها وشوا من

لحمها

لحمها واكل ووضع فى يد كل من ارباب المحل قطعة من الكبد ثم اخذ
ما اراد وخرج وبعد خروجه من الدار يفيقون ويسال بعضهم
بعضا عن الرجل الذى كانوا رأوه فكل منهم يقول رايته ولا ادرى ما
فعل فاذا بحثوا فى محلهم يرون انه ما ترك لهم شيا وقد فاز بما
اخذ فيعضّون انامِلهم تلهُّفًا وقد امتنع عليهم وبالجملة فهذا
الامر فى دار فور مشهور لا ينكر وكنت سالت عن تلك الخواص
استاذى الفقيه مَدَنِى الفوتاوى اخا الفقيه مالك الذى تقدم ذكره
فاخبرنى ان الكتبَ المنزّلة على ادم وشيث وابراهيم وغيره من
الانبيآء دُفِنتْ فى الارض وابنتَ اللهُ هذه النباتات فى المحل
الذى دُفنت فيه وانتشر بزرُها بهبوب الرياح فى الارض فعم
نباتُها وانتشر واستفيدت منها هذه الخواصُ بالتجربة
اقول وهذا نوع من انواع السحر وضرب من ضروبه ومنها نوع
يعمل بالكتابة والتعزيم على الاملاك العلوية والسفلية ومن
هذا النوع تظهر امور كثيرة خارقة للعادة لقد اخبرنى الثقاة بدار
فوران فى محاربة الخليفة للسلطان عبد الرحمن كان للخليفة عدة
رجال يقوّسون بالبندق فسحرهم جماعة السلطان حتى ان البارود
كان يخرج من البندق كالمبلول لا يسمع له صوت ورصاصه كان لا

يضر و بند قجماعة السلطان بعكسه فى الصوت والضرر
ومما وقع من هذا القبيل ان لما توفى السلطان عبد الرحمن
وولّى ابنه السلطان محمد فضل مكانه ابى عليه اولاد السلاطين
كاولاد السلطان تيراب واولاد السلطان ابى القاسم واولاد
الخليفة واولاد السلطان عمر وخرجوا عن الطاعة وركبوا خيولهم
وخرجوا الى القرى وجيشوا جيشا عظيما فخشى الشيخ محمد
كرّا من خلل يقع فى البلاد فدعى بالفقيه مالك الفوتاوى واعلمه
بما يخشاه من غائلة هذا الامر فضمن له ان ياتى بهم الى بين
يديه اذلاء فاخرج الشيخ محمد كرّا جيشا لنظر الملك محمد دلدن
ابن عمة السلطان محمد فضل وذهب الفقيه مالك فعمل من
سحره ما عمل وكانت اولاد السلاطين فى محل بينه وبين الفاشر
مسيرة يومين فلما عمل فيهم السحر ركبوا خيولهم عند المسا خوفا
من الملك محمد دلدن ان يهجم عليهم بجيشه وارادوا البعد
فعموا عن الطريق وباتوا ليلتهم تلك سارين الى جهة الفاشر
والملك دلدن فى اثرهم فما اصبحوا الا وهم تحت الفاشر ولما اصبح
الصباح وراوا انفسهم بقرب الفاشر ندموا على سريانهم
وسمع بهم الشيخ محمد كرّا فارسل لهم جيشا وحينما وصل الجيش

اليهم

اليهم اطبق عليهم جيش الملك محمد دَلْدَن لانه فى اثرهم ولما صاروا
بين العسكرين انهزمت الناس الذين كانوا التفّوا عليهم وبقيت
اولاد السلاطين فى نفر قليل فقبض عليهم الملك محمد دلدن وتوجه
بهم الى الشيخ محمد كرّا فامر بهم الى السجن واكتفى شرهم وكان ذلك
من السحر ولولاه لجاسوا خلال دارفور وعاثوا فيها واتسع الخرق
على الراقع والمخصوص بالاعمال السحرية فى دارفور هم قبيلة الفُلّان
ولقد رايت منهم رجلا يسمى الفقيه تَمُرُّو بفتح المثناة الفوقية
وضم الميم واخرُه راء مشددة مضمومة يذكرون عنه امور
عجيبة ويفيضون ذكرها مع التصديق لها حتى بلغت هناك
مبلغ التواتر الذى يمتنع تكذيبه فمنها ما اخبرنى به الثقة من
فقهاء دارفور انه سافر مع الفقيه تَمُرُّو المذكور من جديد كريو
الى الفاشر ورجع معه الى جديد كريو فقال لما كنا فى اثناء الطريق
اشتد علينا حر الشمس وكان الفقيه تمرّو راكبا على جمل فاخذ
ملحفته وفردها ثم رجع وضمها بين يديه وقرا عليها بعض اسماء
ثم قذفها الى اعلا فانفرد على راسه كانها ظلّة وظللته هو وصاحبه
من حر الشمس كانها ممسوكة من اطرافها بين رجُلَيْن تتبعهما
اينما توجها كالمظلة وهذا الامر من اغرب ما يسمع واعجبه

ومنها بينما هما سائران في سفرهما ذاك اذ نزل عليهما المطر
فقال الفقيه تمرو لخادم كان معهما ائتني بقبضة من التراب
فناوله اياها فاخذها بيده وقرأ عليها بعض كلمات ثم نثر التراب
حول راسه فانقشع السحاب وصار المطر ينزل عن يمينهما
ويسارهما وهما يمشيان في اليبس لا تنزل عليهما قطرة ومما
بلغني ان المساليط اقتتلوا مع الفُلّان في بعض الاحيان وهزموهم
واقتفوا اثرهم ليستاصلوهم فعمل الفلّان شيا من سحرهم
فسحر واعين المساليط حتى انهم كانوا يرون اثر الذهاب معكوسا
كانه اثر المجيء ولقد بلغني من شيخنا الفقيه مَدَني الفوتاوي
عليه سحائب الرحمة ان ملك البَرْنُو كان له كاتب جليل القدر على
غاية من التَّقْوَى والصلاح فجاء اليه الوزير الاعظم وقال له ان الملك
يامرك ان تكتب كتابا لفُلَان مضمونه كذا وكذا فابى الكاتب عليه
وقال لا اكتب الا ان يقول لي السلطان بنفسه او يرسل لي
علامة تدل على صدق رسوله فذهب الوزير الى السلطان واخبره
بما قاله الكاتب فدعاه السلطان وقال له قد اذنتك ان كلما
قال لك وزيري هذا اكتب لكذا وكذا على لساني ان تكتب له
وكان الخاتم الذي تختم به الاوامر السلطانية مع الكاتب المذكور

فامتثل

فامتثل امره وصار يكتب له كلما اراد حتى انه جآء اليه يوم من الايام
وقال له ان الملك يامرك ان تكتب الى فلان الملك ان يتوجه الى
العامل فلان ويقتله ويستصفي امواله ويرسلها صحبة راسه
فكتب له ذلك والسلطان لا يعلم بشيء من ذلك فما راعه الا
وقد امتلات البطحاء بالاموال والرقيق والبقر والابل والغنم
وراس شخص موضوعة على سن رمح فسال السلطان عن الخبر
فاخبر ان هذا راس فلان وهذا ماله وقد قُتِل حسبما امرتَ
فانكر السلطان ودعا بالكاتب وقال من امر بقتل فلان واستصفا
امواله فقال له انت فقال له في اي وقت امرتُك بذلك قال في
الوقت الفلاني جآءني وزيرك فلان وقال لي اكتب الى فلان العامل
بالجهة الفلانية ان يتوجه الى فلان العامل بالجهة الفلانية
ويقطع راسه ويرسلها على رمح ويرسل امواله كلها فقال
لم آمُرهُ بذلك وكيف مع عقلك وحسن تدبيرك انك كتبت
له بغير استئذان مني فقال ايدك الله مولانا انك قد دعوتني
في اليوم الفلاني وقلت لي كلما قال لك وزيري هذا اكتب لكذا
وكذا على لساني فاكتب له فامتثلت امرك من ذلك الوقت
وصرت اكتب له كلما امرني به فغضب السلطان وقال اني

لم آمرك ان تكتب له في مثل هذا الامر المهم بل امرتك ان تكتب
له في الامور التي لا ضرر فيها على الدولة أَو مثل هذا الامر يكون بغير
استئذان فقال الكاتب ان مولانا لم يستثنِ امرا من الامور حين
امرني بطاعته فزاد غضب السلطان وامر بالقبض على الكاتب
فلم يقدر احد على القبض عليه وما ذاك الا انه كل من مد اليه يدا
ليقبض عليه تَيْبَس فلا يقدر ان يثنيها وتصير كانها قطعة خشب
فلما راى السلطان ذلك قال له اعف عن هولاء فقال لا اعفو عنهم
الا ان اعفاني السلطان من الخدمة فاعفاه من الخدمة وعفا عنهم
هو ايضا فلانت ايديهم ورجعت كما كانت وهذا مصداق قوله
صلى الله عليه وسلم من خاف من الله خاف منه كل شيء
ومن لم يخف الله خوّفه اللهُ من كل شيء ه ومما ينخرط في سلك
هذه الاعجائب ما شاع على السنة اهل دار فور من ان هناك
قبيلتين من رعايا الفور احداهما تسمى مسلاط والثانية تَيْمُورْكَهْ
يتشكلان باشكال الحيوانات لكن المشهور ان مسلاط تتشكل
بشكل الضبع والهر والكلب واما تيموركه فتتشكل بشكل السبع
لا غير واعجب من ذا ان هذه القبيلة يقولون عنها ان الميت
منها يقوم بعد ثلاثة ايام من قبره ويتوجه الى بلد اخر ويتزوج بها

ويعيش

ويعيش زمنا ولقد اشيع على السنة اهل دارفور ان للسلطان
طائفة من هذه القبيلة يرسلها في مهمات اموره وان لها ملكا
حاكما عليها ويبالغون في هذه الطائفة حتى انهم يقولون انها
تتشكل بجميع انواع التشكلات حتى الرجل منهم اذا ضاق عليه
المجال وخاف من الضبط عليه يبقى ريحا ولقد ادركت حاكم هذه
الطائفة وكان يسمى على كرتب وكان رجلا مسنا ضعيف الحركة
من فقرآء الجند لا يظهر عليه اثر الثروة ثم انه مات وولي ابنه مكانه
وكان شابا جسيما وخشن الخلقة لكن يظهر عليه اثر الثروة
وكان يركب العتاق من الخيل وله خدم وأُبَّهة فانعقدت بيني
وبينه صحبة وذهبت الى داره عدة مرار وكان يسمى عبد الله كرتب
فاتفق اني خلوتُ به في بعض المرار وسالته عما تقول فيه الناس
من التشكل وانه يسافر مسيرة عشرة ايام في برهة فنشاغلني
بكلام اخر ولم يفدني بشيء فتركته في ذلك الوقت وسالته ثانيا
في وقت اخر فتبسم وقال سبحان الله ما كنت اظن انك تصدق
هذا القول ثم شاغلني بغير ذلك حتى خرجت من عنده ثم انكر
معرفتي بعد ذلك وصار يمر علي ولا يلتفت لجهتي وتركته انا ايضا
لما رايت من تنكره ولا اعلم لذلك سببا سوى تكرار سواله في

هذا الشان ولقد سافرت للغزو مع ملك من الملوك اسمه
عبد الكريم بن خَميس عَرْمان وكان ابوه من اعظم وزرآء السلطان
ونقم عليه وابّد سجنه حتى مات وصار ولده خادما للدولة حتى
أُرسِل للغزو في الفرتيت وكان لي عليه دين فذهبت معه
لاستوفاه منه فتوغلنا في بلاد الفرتيت مدة ثلاثة اشهر وكنا
في محل لا يوجد فيه شيء من البقول ولا الخضروات فدعاني ذات
يوم من الايام فلما دخلت عنده وجدت بصلا اخضر وفقّوسا
وكل منهما كانما اخذ من مَقْثَأته الآن فسالته عنهما ومن اين وصلا
له فقال من دارفور فسالته عمن اتى له بهما وكيف بقيا طَرِيّين مع
بعد المسافة سيما الفقوس فانه كان غضًّا بالكلية فقال قد
جيء بهما في اقل زمن وانظر الى تاريخ هذا المكتوب فاخذت
المكتوب منه ونظرت اليه فاذا هو من بعض احبابه بدارفور وتاريخه
صبيحة ذلك اليوم فبهتُّ وصرت متعجبا من ذلك فلما راى
عجبي قال لي لا تعجبْ فان معنا جماعةً من التيموركه وفيهم قوة
التشكل يذهبون الى ابعد محل في اقرب زمن فقلت اريد ان تريني
اناسا منهم فقال لك ذلك ثم لما قفلنا نريد دارفور ووصلنا اليها
بتنا بظاهر بلد من بلاد التيموركه نسيت اسمها ولما كان عند

الصباح

الصباح جاءنا اناس كثيرون يسلمون على الملك وانا جالس معه
فرحب بهم واكرمهم وكسا رؤساءهم ثيابا حسنة ففرحوا بذلك
ولما اردنا الرحيل قال رئيسهم إنّا نوصيكم ان رايتم في طريقكم
سباعا فلا تمسّوها بسوء لان جميع ما ترونه من السباع في هذه
الجهة منا فقال الملك اذ ذاك نحن نريد ان نسمع من بعض اصحابك
الآن فقال سمعا وطاعة ثم ندب ثلاثة انفار منهم سماهم فقاموا
وتوجهوا الى الخلاء فغابوا قليلا ثم سمعنا زئير اسد عظيم ازعج
القلوب وافزع الدواب فقالوا هذا صوت فلان سموه ثم
سكت وزار اسد اخر يقرب منه ثلاث زارات فقالوا هذا فلان
ثم سكت وسمع بعد ذلك زئير اعظم من الزئيرين السابقين
حتى كادت ان تنخلع القلوب لسماعه فقالوا هذا صوت فلان
سموه واعظموا امره ثم بعد قليل جاءوا على هيئتهم الادمية وقبلوا
يد الملك ففرح بهم واكرمهم وحـ كساهم ثيابا فاخرة وودّعناهم
وارتحلنا وحـ قال لي الملك هولاء الطائفة هم الذين اتونا بالبصل
والفقوس ونحن في اخر دار فرتيت م ومما يلحق بهذه العجايب
ما يقوله الرمّالون حين يضربون تحت الرمل لانهم يقولون
كلاما وقع للانسان لا يعلم به احد الا الله تعالى ويقولون على امور

تقع كانه يراها بعينه فمما دعاني الى صدق اقوالهم اني حين
اردت الانتقال من دارفور والسفر الى دار واداي كان في البلدة التي
كنت فيها رجل يقال له سالم له صهر في بلد اخر يقال له اسحاق
ماهر في علم الرمل وكنت ضيق الصدر لتعسر امور السفر علي
فقال لي سالم المذكور هل لك في ان تتوجه معي الى صهري اسحاق يضرب
لك الرمل ويقول لك ما يظهر له فاجبته لذلك وتوجهت معه لبلدة
صهره المذكور فدخلناها ضحى فرايناه غايبا في زرعه فصبرنا حتى
قدم فرحب بنا واكرمنا واتى لنا بغذآء حسن ثم قال له صهره سالم
ان الشريف قد جآء يلتمس منك ان تضرب له رملا فقال السمع
والطاعة وضرب الرمل وقال لي كلاما كنت اكذّبه فيه فوالله
لقد وقع جميع ما قاله وكانه تكلم من اللوح المحفوظ لم يخطئ
في كلمة فمن ذلك انه قال لي انك ستذهب الى دار وداي عن
قريب بجميع اهل بيتك ما عدا امراة ابيك فانها لا تذهب
معك وكنت اكذبه واقول كيف لا تذهب مع انها احوج الناس
للذهاب فصدّق الله قوله فلم تذهب معنا وعملت علينا
حيلة وهي انها بقيت معنا حتى كانت ليلة الرحيل ففرت
وتركت ابنتها بنت سبع سنين فلما اصبحنا طلبناها فلم

نجد

نجد لها اثرا وسافرنا ولم نستقر لها على خبر ومن ذلك انه قال
لى ليلة قدومك على بيت ابيك ياتونك بجارية صفتها كذا وكذا
فوقع كما قال ومنها انه قال لى لا تجتمع بابيك فى دار ودى فكان
كذلك ولم اجتمع معه الا فى تونس ومنها انه قال لى ان بيت ابيك
حيطانه حمر كانها طليت بِمُغْرَةٍ فرايتها كذلك والمُغْرَة نوع حجر لونه
احمر هش يسحقونه ناعما فيطلى به البيوت ويصنعون به
ايضا الحبر الاحمر يخلط مع الصمغ فى المآء ومنها انه قال لى انك تركب
هناك جوادا اخضر فكان كذلك وقال لى ان السلطان ينعم عليك
بجوار وغيرها فكان كما ذكر ومن اعجب ما وقع حين كنا عنده جاءته
نسوة يتخاصمن مع بعضهن ويريدن ان يضرب لهن رملا يظهر
به مالا ضائعا لتعلم كل منهن من اخذه فضرب الرمل وقال قد
ضاع لكن خرز احمر منظوم فى خيط وهو مخبآ فى رتاج البيت الفلانى
فقامت امراة واتت به من الرتاج المذكور كما قال لكن لم يقل من
الاخذة له منهن وله فى خط الرمل باع طويل ومن هذا القبيل
ما حدثنى به عمى السيد احمد زروق ان والدى عليه سحائب
الرحمة والرضوان لما كان صحبة المرحوم السلطان محمد صابون
فى محاربة جبل تامة ضاع له جمل بازل وارسل العبيد والخدم ليفتشوا

عليه فذهبوا وغابوا طويلا ثم رجعوا بالخيبة فيئس المرحوم والذى
منه وكان ممن صحبه رجل يعرف خط الرمل فقال له بعض الحاضرين
انك رجل رمال فان كنت عارفا بيّن لنا الجمل يأتى ام لا فضرب الخط
وقال ان الجمل هاهنا غير بعيد فقوموا وانظروه فى ابل جيراننا
فذهبت العبيد الى ابل الجيران فوجدوا الجمل باركا فى وسطها وعرفوه
وجاوا به الى محله وهذه غاية الاتقان فى علم الرمل ومن هذا
القبيل ايضا ما حكى لى بعض الاشراف فى داروداى ان جماعة من
العلماء كانوا مجتمعين فى محل وفيهم من يعرف علم الرمل معرفة
خبير وفيهم من يدعيه فتذاكروا فى علم الرمل والذى يدعيه
يقول انا ضربت الرمل لفلان الملك ولفلان القايد واخبرتهما
بكذا وكذا فطلب منه احد الحاضرين ان يضرب له فضرب
وقال كلاما لا يغنى شيا فالتفت العارف الى الخط المضروب
وتامله ثم قال انى مبشرك انك فى غد تقبض من السلطان
ستين راس رقيق وكان الامر كما قال واذا انجر الكلام الى علم
الرمل فلنذكر منه نبذة يقف بها المتامل على ماهيته واشكاله
واسمائه والاشكال السعيدة والنحسة والمتوسطة
فنقول اما اشكاله فهى ستة عشر شكلا اولها الطريق

وصورته

وصورته هـــــــكذا ......

وهي جيدة لمن اراد السفر واجود منها لمن

يسال عن قدوم الغائب وردية لمن كان مريضا فانها تدل على

طريقه للقبر وثانيها الجماعة وصورتها هكذا ....

وهو شكل سعيد الا في المريض فانــه

يدل على اجتماع الناس لجنازته وثالثها اللَحيَان

وصورته هــــــكذا ....

وهو شكل سعيد في جميع الاحوال ورابعها

النكيس وصورتـه هـــكذا ....

وهو شكل نحس في جميع الاحوال الا في

الحامل فانها تلد ذكرا وخامسها الإجتمـــاع

وصورته هـــــكذا ....

وهو شكل سعيد في جميع الاعمال الا في قبض

الدراهم وسادسها العُقْلَة وصورته هكذا ....

وهو شكل نحس الا في السوال عن الحامل

وسابعها العَتبَة الداخلة وصورته هكذا ....

وهو شكل سعيد في جميع الاحوال فمن

كان اول خطه هذا الشكل او ثانيه ان كان مغموما زال غمه
وان كان مترقبا لمجي غائب قدم عليه سريعا وان كان معسرا
زال عسره وثامنها العتبة الخارجة وصورته
هكذا .... ⁖

وهو شكل نحس يدل على موت المريض
وتعطيل الحاجة و اضطراب الامور وطلاق الزوجة وتاسعها
القبض الداخل وصورته هكذا .... ⁖

وهو شكل ممتزج يدل على قبض
الدراهم و الظفر بالعدو ولكنه يدل على موت المريض
وحبس المطلوب للحاكم وعاشرها القبض الخارج
وصورته هكذا .... ⁖

وهو شكل يدل على عدم رجوع ما
خرج من اليد وذهاب الابق واباق الرقيق لكنه يدل على
الخلاص من الحبس وعلى السفر والانتقال من مكان
لاخر وحادى عشرها البياض وصورته
هكذا .... ⁖

وهو شكل جيد في كل الاحوال الا في

المريض

المريض فانه يدل على الكفن وثاني عشرها الحُمْرة وصورته
هـــــكذا ....

وهو شكل يدل على اهراق الدما وعلى
القبر للمريض لكنه سعيد للحامل فانها تلد ذكرا ويدل على
الثياب الحمر كما ان البياض يدل على الثياب البيض وثالث عشرها
الجَوْدَلة وصورته هـــكذا ....

وهو شكل سعيد يدل على الفرح والسرور
وان الحامل تلد انثى وان الامر ياتي على احسن حال ورابع
عشرها نقي الخدّ وصورته هكذا ....

وهو شكل نحس ويدل على الشباب
والعدو المجهول وطول المكث في الحبس وقبض روح المريض وخامس
عشرها النُصْرَة الداخلة وصورته هكذا ....

وهو شكل سعيد يدل على النصر والظفر
وقضا الحاجة ونجاة المريض والمسجون والحامل وسادس عشرها
النُصْرَة الخارجة وصورته هكذا ....

وهو شكل يدل على امور حميدة الا في
محاربة العدو فانه يدل على انهزام الجيش وعدم الظفر به فاذا اردت

الانسان ان يضرب الرمل المذكور ياتي برمل نظيف نقي ويبسطه
على الارض ثم ينقط فيه بالاصبع الوسطى اربعة اسطر من غير عدد
بالاسطر من اليسار الى اليمين هكذا
ثم يتتبعه زوجا فزوجا حتى ينتهي الى الآخر فان كان الاخر زوجا اثبته
وان بقي فردا اثبته فيثبت ما تحصل من السطر الاول اولاً وما تحصل من
الثاني تحته وهكذا حتى تتم الاربعة اسطر فيتحصل منها شكل من الاشكال
الستة عشر المتقدمة ومن لم يجد رملا ضرب الخط بفول وحمص وهو انه
ياخذ قبضة من غير عدد ويسقطها زوجا زوجا ويثبت الاخير ان كان
زوجا او فردا واما تولدات اشكاله واتصالاتها وما يتعلق بها من
الاسما والحروف والكواكب والعاقبة وعاقبة العاقبة فذلك كله منوط
بمؤلفات علم الرمل فلا نطيل الكلام عليها وانما ذكرنا هذه النبذة اليسيرة
ليكون للناظر في رحلتنا هذه الالمام بماهية الرمل في الجملة ولئلا تخلو
هذه الرحلة عن مثل هذه الفائدة والله عـــــالم

وقد طبع بالحجر هذه النسخة الجليلة المنمقة الجميلة بدار طباعة
السيد كَيْبِلَيْنْ الفاخرة الكائنة بمدينة پاريز الباهرة وذلك برسم وخط
السيد پَيْرُونْ بنعمة الله وعون وكمل طبعه على ذمته ونظره وهمته في سلخ
شهر نونبر سنة خمسين وثمانمائة بعد الالف المسيحية والحمد لله في البدء
والنهاية ونسأله من الخير بلوغ الغاية امـــــين

« Chose dont la magnificence est admirable, est sublime, chose à laquelle nous croyons, sur la parole révélée par le Koran le livre de la toute sagesse ;

« Chose dont le nom est tracé par quatre lettres, en poésie ; rappelle-toi le dans son emploi prosodique et métrique.

« Je m'arrête ici ; j'attends de toi une réponse précise, belle comme le sens du mot de mon énigme. Que Dieu te maintienne dans tes hautes pensées de bien. »

— Page 423, ligne 2 « ... conjugable dans tous les temps. » c'est-à-dire qui a son emploi régulier dans les cas voulus au *refa'* et au *nasb*.

— Page 38, ligne 25, lisez Adnân, au lieu de Adouân.

— Page 47. Dans la lettre de Mohammed Kourra, deux ou trois membres de phrases sont passés. Mais ici, de même que dans plusieurs autres endroits du volume, le texte arabe est facile à comprendre, et, pour cette raison, je me dispense, comme je m'en dispenserai ailleurs, de donner la traduction des passages ou membres de phrases omis, ou éliminés à dessein.

— Page 112, ligne 9, au lieu de « Dieu ne t'écouterait pas... » lisez : « Dieu ne m'écouterait pas. »

— Page 119, à la ligne 18, le renvoi à la note F, de la page 425, est omis. Cette note est la traduction du passage وكان في شهر رمضان الخ jusqu'aux mots ومن عاميته الخ.

— Page 168, ligne 5, après le mot « résistant ! » mettez : « O toi qui disperses les montagnes (et leurs habitants), sans avoir besoin, pour cela, du secours de l'or ! » (*Dyouân*, administration ; — état ou registre où sont inscrites les troupes stipendiées, &c.)

— Page 176, ligne 9, au lieu de « singulier de *doumloudj*, » lisez : dont le singulier est *doumloudj*.

— Page 231 ; les neuf premières lignes ne sont pas en accord avec le texte arabe.

Perron

Novembre 1850.

appartiennent les grandes choses comme choses qui le sont naturelles (et faciles).

« Donne, donne sans cesse les productions de ta pensée, ce sont autant de perles précieuses que nul ne peut revendiquer. »

— Le logogriphe suivant commence, dans le texte arabe, par :

« Allons ! dis à qui est riche de science, à qui (sait y voir et) devine facilement le logogriphe, et en découvre le mystère :

« Voyons ! je t'en prie : Quel est le mot de trois lettres... &c

. . . .

« Par la transposition de ses lettres, tu peux, regarde bien, composer trois mots ; c'est chose vraiment remarquable !

« Savoir : un qui a deux sens &c. »

— Page 422, ligne 3 :

« Allons ! dis à qui a la perfection et l'intelligence du langage, et à qui le Seigneur des cieux a fait don de la Science :

« Quel est, je te prie, toi homme d'un esprit supérieur, etc.....

« Elle devient malade, mon cher ami, à mesure que &c......

« ..... Synonime de ghadâ (le matin) ; sois intelligent et pénétrant. (Certainement tu me comprends, tu m'as deviné.)

« Il suffit (j'en ai dit assez), je me suis assez expliqué ; donne-moi la solution. Du reste, le mot est dans notre sainte révélation (le Koran). Réfléchis un moment. J'ai fini. »

— Voici encore un de mes logogriphes ; il est sur le mot semâ, le ciel :

« O toi qui t'es élevé au ciel de la science et de la sagesse, toi dont la générosité descend sur les hommes comme la pluie des nuages,

« Devine nous quel est le nom de la chose dont l'aspect est pur et clair, dont la beauté est passée en proverbe chez les arabes et chez les barbares,

« Chose immensément élevée, où n'auront asile que ceux qui aiment celui dont la puissance a créé les zéphirs ;

« Chose à laquelle appartiennent les flambeaux étincelants qui nous guident dans les ténèbres de la nuit ;

ter, j'étais inquiet de mon dénûment absolu.»

— Note C, se rapportant à la page 28, et placée à la pag. 420
«... réviseur des traductions à l'école vétérinaire fondée auprès de l'école de médecine par le Souverain, prince du bonheur (Mohammed Aly). Voici le logogriphe :

« Dis-moi, mon cher Kessâb, maître (accapareur, kessâb) en science et en piété, toi qui es un océan des connaissances qui sont si douces et si agréables aux hommes,

« Voici un mot &c. — Au quatrième vers : « Il a un synonyme &c.» — Au 7.e vers : « Et bien entendu, mon cher ami, tous ces mots &c.» — Au 8.e vers : «... j'en suis sûr, toi intelligence remarquable de notre époque ; je te demande donc quel est le mot (de mon logogriphe).»

— Page 421, ligne 6 : « Maintenant donne-moi le mot de l'énigme ; ne te laisse pas demander, mon vertueux ami, la solution (car je suis sûr que tu la tiens).»

Dans la réponse du cheykh Moustafa Kessâb, les cinq premiers vers et les deux derniers ont été retranchés presque en entier :

« Toi, homme de science et d'esprit, aimé de tous pour tes vertus, tes qualités, tes talents,

« Toi qui par ton profond savoir es connu à l'Orient et à l'Occident, tu nous surprends par l'aisance de tes vers,

« Et pourquoi n'en serait-il pas ainsi ? Mon ami, en effet, a tout l'art des poëtes ; il a à ses ordres ce qui échappe et manque à tous.

« Certes ! ni Kouss, ni Imrou-l-Kays n'auraient pu jadis mesurer un langage qui, à l'égal du tien, eût ému et enflammé les désirs des amants.

« Tes vers me sont venus comme un doux zéphir. Qui prétendrait en pouvoir composer de pareils, serait certainement un menteur.»

Les deux derniers vers sont :

« Voilà le mot de ton logogriphe, mon cher Mohammed El-Tounsy, toi le guide et le modèle des hommes, toi à qui

Observations.

J'étais encore en Égypte lorsque Mr. Jomard publia la traduction de ce voyage, que je lui avais envoyée. Il parut à propos de retrancher quelques longueurs, deux ou trois passages trop lestes, des répétitions des expressions synonimiques, qui plaisent aux arabes et que le lecteur français réprouve. Je rétablis ici le plus important, afin d'être utile aux arabisants encore peu versés dans les études arabes. Certaines inexactitudes de concordance entre le texte et la traduction qui d'ailleurs a été imprimée ainsi surtout en vue du public, seront facilement appréciées par les arabisants spéciaux.

Dans ma traduction, j'ai relégué à la fin du volume, sous le titre de notes, les digressions qui interrompent trop longuement le récit. Dans le texte arabe, je les ai laissées à leur place, afin de présenter la relation originale telle qu'elle est.

— Aux notes et éclaircissements, page 405, ligne 19, avant les mots « En Égypte, &c. », doit être restitué le passage suivant: « Abou-l-Câcem El-Haryry a raison de condamner les pièces d'or comme chose inutile si celui qui les possède ne les fait pas circuler:

« C'est un mal attaché à la nature même des pièces d'or,
« Qu'elles ne servent, dans les moments de nécessité et de péril,
« Que quand elles fuient de ta main comme un esclave qui s'échappe. ———

« Honneur à toi qui sais (les dépenser et) les jetter par-dessus les monts!

« Honneur à toi si, te disant te chuchotant leurs cajoleries à l'oreille,
« Tu leur dis résolument et sans détour:
« Je ne veux pas de votre intimité; filez. »

A Tunis est en usage ce dicton populaire: « Mets de l'or à la gueule du malheur, tu le fais taire. » En Égypte &c.

— Page 23 du texte français, ligne 18, au lieu de: « J'étais réduit &c. » il faut: « Je ne savais où trouver de quoi subsis-

Voyage au Dârfour

ou

l'aiguisement de l'esprit,
par le voyage au Soudan et parmi les arabes du centre de l'Afrique,

par

le cheykh Mohammed ibn-Omar el-Tounsy,

Autographié et publié par M. Perron.

Paris
chez Benjamin Duprat
libraire de l'institut de France, de la bibliothèque nationale, de la société asiatique de Paris, &c.
Rue du cloître Saint-Benoît, No 7.
1850.
Imprimerie lithographique de Kaeppelin,
17, Quai Voltaire.

